

## المقدمة

حمدا لمن جعل مكة مهوا أفئدة المؤمنين تحقيقا لدعوة  
ابراهيم عليه السلام وشرفها ببعث خاتم الانبياء والمرسلين  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومعد ...

تهنؤ أفئدة المسلمين فى شتى بقاع الأرض الى الأرض المقدسة  
حيث الكعبة المشرفة فى مكة ومشى النبى الكريم فى المدينة المنورة .  
وحق علينا أن نبحت فى تاريخ الحجاز فى العصور المختلفة على امتداد  
العصر الاسلامى . وكان لى شرف كتابة رسالة لدرجة الماجستير  
عن مرافق الحج والخدمات المدنية فى الأرض المقدسة منذ السنة الثامنة  
للهجرة حتى سقوط بغداد . فشعرت أن تاريخ بلاد الحجاز لا يزال  
بحاجة الى بحوث عدة . فكان اختيارى لموضوع بلاد الحجاز منذ بداية  
عهد الاشراف حتى سقوط بغداد ، موضوعا لبحث جديد اتقدم به  
لدرجة الدكتوراه .

فقد ظل أمر مكة والمدينة فى يد ولاية من رجال الدولة الاسلامية  
يعينهم الخلفاء الأمويون ثم العباسيون من غير أهل البلاد غالبا ، ودون  
العلويين من آل الحسن أو آل الحسين ابنى على بن أبى طالب بصفة

خاصة • فهو "لا" قد ابعدوا تماما على أية ولاية لهم على مكة أو المدينة وظلوا مجرد رعايا يعيشون بالحجاز أو يخرجون الى مختلف الأمصار • ولا شك أن هو "لا" العلويين كانوا غير راضين عن ابعادهم عن أمور الولاية فضلا عن انقلاب الخلافة الى بني أمية ثم بني العباس دونهم • ثم ان بطش الخلفاء بهم وفشل ثورتهم الجأت فريق الشيعة الاسماعيليين الى مبدأ تستر الأئمة وأسلوب الدعوة السرية الى الامام المهدي في مختلف أنحاء العالم الاسلامي في المشرق والمغرب ، حتى أعلنت الخلافة الفاطمية في افريقيا وأواخر القرن الثالث الهجري •

ولما كانت الخلافة الفاطمية توءم بسيادتها الشرعية على العالم الاسلامي دون الخلافة العباسية في بغداد أو الخلافة الأموية التي أعلنت بالاندلس في العقد الثامن من القرن الرابع الهجري ، فانها دخلت في صراع طويل لتحقيق تلك السيادة • فكان امتداد الخلافة الفاطمية نحو المشرق بد • ١ • ببرقه ثم مصر والشام وكذا الجزيرة العربية •

وإذا كان الفتح الفاطمي لمصر والشام قد تم بالقوة العسكرية ، فان النفوذ الفاطمي في الحجاز قد جاء بطرق سلمية مهد له الفاطميون بحندق

ومهارة • فنراهم يشجبون أعمال القرامطة دعاة الاسماعيلية الذين هاجموا مكة عام ٣١٢ هـ واعملوا النهب والقتل ، وأكثر من ذلك اقتلاع الحجج الاسود ، حتى أعادوه الى مكانه عام ٣٣٩ هـ بمساعى الخلفاء الفاطميين المهدي ثم القائم ثم المنصور •

كذلك سمى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع الى عهد الصلح بين الأسرات العلوية المقيمة بالحجاز واصلاح ذات بينهم وتحمل ديات القتلى منهم عن طريق سفاره أرسلها لهذا الغرض • وقد رجحنا أن لهذه السفاره غرضا سريا آخر وهو الاتفاق على دخول السيادة العلويين فى تبعية الخلافة الفاطمية بسبب ما قدمته من أيادى بيضاء وما بينهم من قرابه ، على أساس توليتهم أمر مكة والمدينة ومساعدات مالية وعينية ترسل اليهم سنويا • وتحدد تنفيذ هذا كله بنجاح الفتح الفاطمي لمصر •

فما أن تم ذلك الفتح عام ٣٥٨ هـ حتى بادر جعفر بن محمد وبنى سليمان من آل الحسن بن على بن أبى طالب بتقلد أمر مكة والدعوة باسم الخليفة الفاطمي فى خطبة الجمعة وكذلك طاهرين مسلم من آل الحسين

ابن علي بن أبي طالب بالمدينة عام ٣٦٠ هـ .

وهكذا جاز تولى السادة من آل البيت شؤون الحجاز بشكل استقلال ذاتي في إطار التبعية في الخلافة الفاطمية صار يطلق عليهم لقب الاشراف .

وان كان الفصل الأول من هذا البحث الذي تناول الناحية السياسية قد تعرض لتلك الظروف التاريخية التي أدت الى قيام حكم الاشراف في الحجاز فقد صاحب ذلك بداية فكر اسلامي جديد مؤداه أن من يدعي باسمه على منابر الحوامين الشريفين فهو صاحب السيادة الشرعية فسي كافة أنحاء العالم الاسلامي . ومن ثم ظهر التنافس الشديد بين الخلافتين العباسية السنية والفاطمية الشيعية حول الحجاز . ووجد الاشراف في الاعتراف بهذا الخليفة أو ذاك وسيلة لضمان وصول الاعطيات السنوية دون انقطاع ولهذا تعرض البحث الى تلك التطورات التي صاحبها استخدام القوة العسكرية أحيانا مما أدى الى بعض الاضطرابات .

وكما أنهى صلاح الدين الايوبي الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ فقد اهتم أيضا بأمر الحجاز واليمن لاسباب سياسية واقتصادية واستراتيجية أيضا . فدخل اشراف مكة في طاعة الايوبيين ، كما حكم فرع ايوبي بلاد

اليمن وقام الايوبيون بواجبهم فى حماية الاراضى المقدسة من اعتداءات الصليبيين . وبلغ النقود الايوى ذروته بالحجاز عن طريق هذا الفروع الايوى فى اليمن الذى أتاحت له فرصة التدخل المباشر فى ظروف النزاع بين الأخوة على منصب الامرء فى مكة بأن أوجد له نائبا مقيما فيها بجوار الشريف الذى لم يكن شيئا مذكورا بجانب هذا النائب الذى صار له امرة الحرمين وقيادة الجند وادارة المال .

ولم يلبث أن ورث بنو رسول الايوبيين حكم اليمن مستمرا فى تثبيت نفوذهم على مكة ولهذا شاهدت مكة صراعا بين اليمن ومصر ظهر فى مواسم الحج من كل عام . لمن يكون له شرف التقدم والرئاسة لأمير الحج اليمنى أم لأمير الحج المصرى .

كذلك تضمن هذا الفصل دراسة الأحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف أولا لبحث العلاقة بين الاشراف حكام مكة ، وهل كان الوئام والاتفاق يسود سائر بيوتات العلويين بالرضا عن الشريف القائم بالحكم ؟ واثبت البحث أنه بجانب انتقال الحكم الى ثلاث أسر متعاقبة من آل الحسن هم بنو سليمان ثم الهواشم ثم بنو قتاده ، فقد أصاب هذه الأسرات

آفة الصراع بين أسراتها وخاصة في عهد الهواشم وبنو قتاده وصل الى حد اغتيال الابن وأبيه وعمه ، والنزاع بين الأخوة وأولاد العم ، واستنجساد الاطراف المتنازعة بقوة خارجية بشكل أخطت الاضطرابات والقتال الكثيرة والمعارك التي سقطت فيها كثير من القتلى والجرحى .

كذلك تعرضنا لدراسة العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة ، وظهرنا مدى تطلع بني قتادة حكام ينبع سابقا الى ضم امرة المدينة اليهم بجانب امرة مكة حتى يصبحوا ملوك الحجاز . ثم انتقلنا الى دراسة وضع عرب الحجاز سواء بنصرة بعض أشراف أو الانقضاء عليهم من ناحية ، وتأثير ذلك على حالة الأمن والفساد من ناحية أخرى .

كذلك شملت هذه الأحوال الداخلية سياسة الأشراف بحكم الحجاز وخاصة في مسألة المكوس التي كان الأشراف يعتبرونها حقا من حقوقهم يحصلونها من الحجاج والتجار الذين يفدون في الموسم من كل عام . بمورد مالى بجانب ما يرد اليهم من أعطيات الخلفاء الفاطميين أو العباسيين . وكما لعبت تلك الاعطيات دورها في اقرار الاشراف التبعية لائمن الخليفين كذلك ظهر أثر انقطاعها أو قلعها الى التجار الاشراف الى تعويضها بفرض المكوس

وخلصنا من استعراض تاريخى لفرض المكوس أو الغائشها الى ما كان هناك — من قلاقل واضطرابات تحدث بشأنها رغم سياسة الايوبيين فى وقف مثل هذه المكوس فى نظير المساعدات المالية السنوية .

ثم جاء دراستنا لبعض النواحى الحضارية ببلاد الحجاز بادئين ببحث اماره الحج ، وخدماته والوظائف التابعة لامير الحج ونظام الامارة منذ نشوئها فى عهد الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — والمهام التى يقوم بها أمير — الحج فهى اماره وقتية يتم تعيين أمير الحج فى كل سنة مع خروج الركب — ومع أهميتها بالنسبة لأداء الركن الخامس من أركان الدين ، هذا مع بيان الاشخاص الذين يعملون مع أمير الركب لمساعدته فى تقديم الخدمات اللازمة للحجاج من مبشرين وحاملى المشاعل والطباخين وغيرهم . ثم تحدثت عن كسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة ونفقات هذه الكسوة وأمكنة صناعتها مع ابراز أهم المنسوجات التى تصنع منها هذه الكسوة والآيات القرآنية التى تكتب على الكسوة مع بيان فترة التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية ومحاولة كل خلافة كسب ولا أمير مكة بالاسراع فى ارسال الكسوة اليه ، ودور الكسوة فى صبح هذا التنافس بين الخلافتين بطابع دينى سياسى .

كذلك شمل هذا البحث طرق الحج في مصر والشام والعراق واليمن مع وصف عام لكل طريق والخدمات التي قدمت في هذه الطرق ودور الاعراب قاطني هذه الطرق وكيف كانوا يملأون الطرق بالأمن والاستقرار اذا أرسلت لهم الاعطيات ويملاؤها بالرعب والخوف اذا تأخرت عنهم الاعطيات .

وتناول الفصل الثالث ( الأحوال الاقتصادية ) وتشمل النشاط التجاري في مدن وموانئ الحجاز التجارية والسلع التي كانت ترد إلى بلاد الحجاز والعلاقات الاقتصادية بين الحجاز والمدن الإسلامية . ثم تعرضت للضرائب والكوس وطرق جبايتها المختلفة . وأبرزت الحرف التي كانت متوفرة في بلاد الحجاز وأهمية هذه الحرف بالنسبة للسكان عموماً والصناعات التي كانوا يزاولونها وأهمية هذه الصناعات في الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز وأخيراً تحدثت عن دار ضرب العملة الذي أنشئ في مكة المكرمة ودور اعطيات الخلفاء لولاية الحجاز وأهمية هذه الاعطيات بالنسبة لولاية مكة والمدينة .

وناقش الفصل الرابع ( الحياة الاجتماعية ) في بلاد الحجاز إذ أبرزت فيه طبقات المجتمع الحجازي في كل من المدينتين المقدستين مكة المكرمة



والمدينة المنورة وما امتازت به هذه الطبقات في هذا المجتمع الذي يعتبر هو حصيد خليط المجتمعات الاسلامية التي أتت الى مكة وجاورت فيها واستقرت حتى أصبح أفراد هذه المجتمعات الواقعة جزءاً من السكان الاصليين — ثم ناقش البحث العادات الدينية التي امتاز بها سكان الحجاز وانتشرت بينهم حتى أصبحت أعياداً يقومون باحيائها في كل عام كما تحدثنا عن العادات الاجتماعية في هذا المجتمع الذي يعتبر خليط من عادات المجتمعات الاسلامية المختلفة بجانب الأعياد والمواسم والاحتفالات المختلفة والأطعمة والأشربة التي كانت منتشرة في هذا المجتمع ثم تحدث عن المنشآت الاجتماعية في مكة والمدينة والتي تشمل في الأريطة ودورها في الحياة العلمية .

وتناول الفصل الخامس الحياة العلمية والعمرانية مبرزاً المراكز العلمية وعلى رأسها المسجدين الحرام والنبوي الشريف ثم الكتاتيب والمدارس وأشهر العلماء الذين تصدوا للتدريس في هذه المراكز ، وكذلك العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ، ثم تحدث عن الحياة الأدبية وأشهر الأدباء والعلماء والمجاورين بالحرمين الشريفين ومشاهير القضاة والحياة

العمرائية مبتدءا بتوسعة المسجدين الحوام والنبوى وأيضا تحدثت عن بناء المساجد وتجديدها وبناء الأسوار حول المدن والاعلام وأخيرا بناء القلاع والحصون وتجديدها وأهمية هذه القلاع والحصون فى صد غارات المعتدين على هذه المدن الاسلامية .

ويجدر بنا أن نقدم دراسة نقدية لأهم مصادر البحث التى أمدتنا بالمادة العالمية لهذه الرسالة وأهمها المصادر المخطوطة .

ابن فهد : كتابه ( اتحاف الورى ) :

أمدنا بمعلومات وافية عن الحوادث التى وقعت فى مكة ورتب كتابه حسب السنين وأيضا أمدنا بمعلومات عن الحياة العلمية فى بلاد الحرمين وذكر لنا أشهر العلماء .

الرشيدى : ( حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى اماره الحاج ) :

اشتمل كتابه على معلومات وفيرة عن اماره الحج وطرقه الرئيسية وأهم الحوادث التى وقعت فى هذه الطرق وورد بعض الأمراء فى القضاء على هذه الحوادث .

الصباغ : ( تحصيل المرام في أخبار البلد الحوام ) :

استفدت من كتابه في معرفة بعض الواقديين والمجاورين وأهمية الأربطة

في الحياة العلمية •

ابن الضياء ( تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ) :

تحدث المؤلف في كتابه هذا عن تاريخ مكة المكرمة ووصفه الكعبة المشرفة

وحجر اسماعيل عليه السلام واهتم بوصف المدينة المنورة وركز على وصفه

المسجد النبوي الشريف والاصلاحات التي طرأت عليه والاضافات التي

عملت له كما ذكر لنا وصفا دقيقا عن الحجرة النبوية الشريفة •

محمد بن علي الحسيني ( اتحاف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ) :

وهو من جزءين يهمننا في بحثنا الجزء الأول منه الذي خصصه مؤلفه

للحديث عن تاريخ مكة وأمراءها من بني الحسن حتى سنة ٦٦٠ هـ وقد اهتم

المؤلف في هذا الجزء بابرار محاسن أمراء بني الحسن ولم يذكر شيئا عن

مساوئهم كما تحدث عن الحياة السياسية في مكة •

الفاسى ( تحفة الكرام فى اخبار البلد الحرام ) :

هذا الكتاب مختصر لكتاب المؤلف ( شفاء لغرام ) وقد أبرز فيه  
المنشآت التى أقامها سلاطين بنى رسول بالحجاز مثل الآبار والسبيل  
والأربطة والمدارس.

ابن الأثير ( الكامل ) :

من أهم المصادر التاريخية التى أمدتنا بمعلومات تاريخية عن بلاد الحجاز  
فى العصرين الفاطمى والايوبى .

ابن واصل ( مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ) :

أمدنا بمعلومات قيمة عن بلاد الحجاز فى العصر الايوبى لذا يعد من أهم  
الكتب لموضوع البحث.

ابن أبيك ( كنز الدرر وجامع الغرر ) :

المؤلف من علماء القرن الثامن الهجرى ذكر لنا فى كتابه تراجم الحكام  
والخلفاء والسلاطين حتى منتصف القرن الثامن الهجرى .

الفاسى ( العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين ) - ( شفاء الغرام ) :

اهتم المؤلف فى الكتاب الاول بذكر التراجم لعسوم العلماء والقضاة  
الذين عاشوا فى مكة .

وفى الكتاب الثانى اهتم بأخبار البلد الحرام وبالنواحى الاجتماعية  
والسياسية والعمرائية وأمدنا بمادة علمية وفيرة .

ابن النجار ( الدرة الثمينة فى أخبار المدينة ) :

هذا الكتاب من المصادر الهامة لموضوع البحث لانه يمتاز بذكر الحياة  
الادبية بالمدينة المنورة وقد أمدنا بمعلومات فى الفصل الخامس من هذه  
الرسالة .

الفاكهى ( المنتقى فى أخبار أم القرى ) :

اهتم المؤلف فى الحياة الاجتماعية والعلمية فى مكة المكرمة وأمدنا بدراسة  
عن النواحى الاقتصادية لبلاد الحجاز .

النهرالى ( الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ) :

هو محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن محمد بن قاضى خسان

ابن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن على ولد سنة ٩١٧ هـ وتوفي سنة ٩٩٠ هـ كان من أعيان سكان مكة عمل مدرساً بالمدرسة السليمانية ولله مؤلفات كثيرة منها تراجم طبقات الحنفية • وكتابه الأعلام أمدنا بمعلومات عن الحياة الاجتماعية والعلمية والعمرانية في بلاد الحجاز •

ابن ظهيرة ( الجامع اللطيف ) :

ألقى المؤلف في هذا الكتاب الضوء على النواحي السياسية لبلاد الحجاز أم النواحي الاقتصادية فقد جاءت مختصرة •

ابن خلدون ( العبر وديوان المبتدأ والخبر ) :

أمدنا بمعلومات عن أمراء مكة فترة التنافس بين الفاطميين والعباسيين كما أمدنا بمعلومات عن أمراء المدينة من بني مهنا وأحوال بلاد الحجاز في عهد صلاح الدين •

المقريزي :

من مؤرخي تاريخ مصر • أمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية والحج وأمارته والمنشآت الاجتماعية المختلفة التي أنشئت بمكة •

وللمقريزى عدة مؤلفات أهمها :  
-----

- ( ١ ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
  - ( ٢ ) اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .
  - ( ٣ ) السلوك بمعرفة دول الملوك .
  - ( ٤ ) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .
- وقد استفدت من الكتاب الأول بما ذكره المؤلف عن بناء أسوار حول المدن وعن النواحي العلمية .
- أما الكتاب الثانى فقد أمدنى بمادة علمية تبين اهتمام خلفاء الدول الإسلامية الفاطمية ببلاد الحجاز والتنافس الذى حدث بين الخلافتين العباسية والفاطمية .
- ومن الثالث مددت بمعلومات وفيرة عن العصر الأيوبي والحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز .
- ومن الرابع أخذت معلومات تاريخية عن كل من حج من الخلفاء من بغداد أو القاهرة وما جهزه الخلفاء وما قدموه لأهالى الحرمين .

السمهودى ( وفاء الوفا ) :

من الكتب المتخصصة فى تاريخ المدينة ••

ذكر لنا الزيارات التى حدثت للمسجد النبوى الشريف وزودنا بمعلومات

وفيرة عن الحياة الاجتماعية والعمراية والعلمية •

المسحاوى ( التحفة اللطيفة ) :

من الكتب المتخصصة فى تاريخ المدينة

اهتم بالتراجم والحديث عن العلماء والقضاة الذين جاؤوا فى المدينة •

الخزرجى ( العقود اللوئية فى تاريخ الدولة الرسولية ) :

يتحدث المؤلف عن نشأة دولة بنى رسول وعلاقاتهم الخارجيين

والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى عهد دولتهم ومدى تأثير اليمن

بالحجاز فى هذه الحقبة الزمنية •

ابن الديبع ( قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ) :

يتحدث هذا الكتاب عن تاريخ بلاد اليمن منذ عصر الولاة حتى نهاية دولة

بنى رسول وقد أمدنا بمادة علمية وفيرة عن الحياة السياسية فى عصر الصليحيين



ومدى علاقاتهم بأمراء الحجاز وخلفاء الدولة الفاطمية ودورهم فى نشـ

المذهب الشيعى ثم تنافس بنى رسول والايوبيين على بلاد الحجاز .

يحيى بن الحسين ( غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ) :

رتب المؤلف فى كتابه الحوادث ترتيبا زمنيا وتحدث عن سيطرة

الايوبيين على بلاد اليمن ثم سيطرة بنى رسول وأمدنا بمعلومات قيمة عن

الأحوال السياسية فى هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث .

ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ) :

تحدث هذا الكتاب عن فترة تنافس العباسيين والفاطميين وعن الحياة

العلمية فى بلاد الحجاز .

أما كتب الرحلات فقد كان لها دور بارز فى معرفة الحياة الاجتماعية والعلمية

لبلاد الحجاز وأهم هذه الكتب :

١- سفرنامه ( ناصر خسرو ) :

من أقدم كتب الرحلات وقد ولد مؤلفه ناصر خسرو سنة ٣٩٤ هـ وقام

برحلته فى الفترة من ٤٣٧-٤٤٤ هـ مبتدئاً من مدينة ( مرو ) بخراسان

حتى وصل الى بلاد الشام وفلسطين ومصر ثم أتى الى مكة حاجا وقصد المدينة  
ثم عاد الى العراق وايران والى كتابه فى عهد الخليفة المعتنصر الفاطمى  
ونذكر لنا الاعطيات التى كان يرسلها الخليفة لامراء مكة والمدينة كما ذكر لنا  
وصفا دقيقا عن أحوال المجاورين بالمدينتين المقدستين .

## ( ٢ ) الرحلة ( ابن جبير ) :

تحدث مؤلف هذا الكتاب عن أحوال بلاد الحجاز زمن صلاح الدين  
ووصف لنا الطريق البحرى المؤدى الى مكة وصفا دقيقا موضحا الصعوبات  
التي كانت تواجه الحجاج فى هذا الطريق كما أمدنا بمعلومات عن الاعتداء  
الصليبي على البحر الأحمر وموقف السلطان صلاح الدين من هذا الاعتداء  
وأىضا رسم لنا صورة حسنة عن الحياة الاجتماعية فى كل من المدينتين مكة  
المكرمة والمدينة المنورة .

## ( ٣ ) ابن بطوطة :

من أشهر كتب الرحالة التى أمدتنا بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية  
والعادات الدينية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .  
كما حدثنا مؤلف عن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز ودور المدارس  
والكتاتيب والارطة فى هذه الحياة .

ولا يسمعنى فى النهاية الا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان  
بالجميل لأستاذى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد أمين  
صالح أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة لتفضله  
بالإشراف على هذه الرسالة وإثارة الطريق لى بتوجيهاته وإرشاداته  
وفتح أمامى مغاليق ما استعصى من هذا البحث بغزير علمه فجزاه  
الله عنى وعن طلابه خير الجزاء •

كما أشكر أساتذتى الأفاضل الذين شاركوا فى قراحة هذا البحث  
وتحملوا مشقة مناقشتى رغم مشاغلكم وأسأل الله سبحانه وتعالى  
التوفيق والسداد •

انه سميع مجيب الدعاء •

\* \* \*

# الفصل الأول

## الحياة السياسية في بلاد الحجاز

## أولا : الحجاز قبيل حكم الأشرف

### توطئه :

زالت الأهمية السياسية لبلاد الحجاز التي كانت مقرا لدعوة الاسلام ومركز الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في مواجهة الأمصار الاسلامية الناشئة ، فتحولت بلاد الحجاز الى مجرد ولاية تابعة لسلطان الأمويين ثم العباسيين ، ومع كل فقد ظل الحجاز ذا مكانة دينية خاصة في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض الذين يأتون كل عام لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة (١) .

ومع كل فان العلويين من آل الحسن وآل الحسين ابن علي بن ابي طالب سكان هاتين المدينتين المقدستين كانوا يشعرون أنهم أصحاب حق مهضوم لانقلاب الخلافة الى غيرهم من الأمويين ثم العباسيين ، فشهدت أرض الحجاز ثورة ابن الزبير في العصر الأموي وكذا ثورتين علويتين في العصر

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ١٢١ .

الفاس : شفاء الغرام ج٢ ص ١٨٠ القاهرة ١٩٥٦ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ص ٦ القاهرة ١٩٧٧ .

السباعي : تاريخ مكة ج١ ، ص ٢٣ القاهرة ١٩٦٢ .

العباسي تمكن الخلفاء العباسيون الأوائل من إخمادها بالبطن والقوة جعلت العلويين في خوف شديد على حياتهم فلجأوا إلى السكون وأن عمد الأئمة من آل البيت من نسل الحسين إلى أسلوب الدعوة السرية لتحقيق أهدافهم في تولي إمامة المسلمين (١) .

ومن ثم شهد القرن الثالث نشاط الدعوة الإسماعيلية في جهات متفرقة من العالم الإسلامي وأثمرت الدعوة بإعلان قيام الخلافة الفاطمية في المغرب عام ٢٩٨ هجرية في وقت ضعفت فيه الخلافة العباسية أمام سيطرة العناصر التركية على مقدرات الدولة ، وبأت الحجاز على أبواب تطورات سياسية خطيرة (٢) .

---

(١) الفاكهي : المنتقى في أخبار أم القرى ٧٦ دار الكتب اللبنانية ١٩٦٠ .

- الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ١٨٤ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٦١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٧٣ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ١٢٣ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ١٨٤ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٦٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٧٤ .

ففى مطلع القرن الرابع الهجرى قامت ثورة علوية بزعامة محمد بن سليمان من آل الحسن فى مكة المكرمة وأعلن نفسه خليفة على أرض الحرمين (١) .

ففى موسم الحج عام ٣٠١ هجرية انتهز فرصة تجمع الحجاج واستولى على الامارة التى كانت بيد الوالى العباسى وأعلن نفسه خليفة فى خطبة أوردتها ابن خلدون (٢) وقال فيها " الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز زهرة الايمان من أكمامه وكمل دعوة الرسل بأسباطه مشيرًا الى خلافة بنى العباس كانت غير مشرعية وأنهم اغتصبوا الحق من أهله وهم آل بيت النبوة .

غير أن المصاد والتاريخيه لم تشر الى تفاصيل كثيره تبين لنا أهداف هذه الثورة فهل كانت قاصرة على الحجاز وحده أم كان محمد بن سليمان هذا نيوى استكمال معداته والقضاء على الخلافة العباسية . بل أن تلك المصاد رتجاهلت الحديث عن مصير هذه الثورة فظلت مكة تابعة للخليفة

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ١٣٠ .

ابن خلدون : العبر ج٤ ١١ دار لبنان ١٩٧٤ .

القاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٨٥ .

سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ١٩ القاهرة ١٩٧٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٢ .

العباسى الذى كان يعين واليا عليها كما يؤكد ذلك ابن خلدون<sup>(١)</sup> من أن أميرالركب العراقى كان يتولى أمر الخطبة فى الموسم بمكة .

ولم يلبث أن تعرض الحجاز الى هجوم خطير من جانب القرامطة دعاء الفاطميين فى شرق الجزيرة العربية ففى عام ٣١٧ هجرية دخل القرامطة مكة بقيادة أبى طاهر القرمطى واستطاعوا هزيمة ابن محارب الوالى العباسى على مكة الذى لم يستطع لهم وفقا وانتهى الأمر بقتله واستولى القرامطة على مكة<sup>(٢)</sup> .

ومتنازع المؤرخون الرأى فى الأسباب التى دعت الى قيام أبى طاهر القرمطى مجملته على مكة فيدعى بعض المستشرقين من أمثال أولبرى دى لاسى<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) ابن خلدون : العبر ج٤ ٣٨ .  
 الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٨٧ .  
 ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٧٠ .  
 السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٢١ .  
 (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٠٠ .  
 الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٨٦ .  
 ابن خلدون : العبر ج٤ ٦٨ .  
 السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٢١ .  
 ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ٩٨ .

(٣) A Short History of the fatimid Khalifate p. 86.



ان تلك الحملة كانت بتحريض من عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي في المغرب ويدل على ادعائه بأن أبا طاهر القرمطي قد دعا للخليفة الفاطمي في خطبته عقب احتلال مكة .

ولا شك أن هجوم القرامطة كان من شأنه إضعاف هيئته الخلافة العباسية ويدل على عدم قدرتها على حماية الحج في الحجاز وهو ما كان يهدف اليه القرامطة والفاطميون معا ومع أن الدكتور سرور<sup>(١)</sup> ينفي أن يكون هناك علاقة سرية بين القرامطة والفاطميون في القيروان في أول الأمر إلا أنه عاد في موضع آخر وأقر بخضوع القرامطة لسلطان الفاطميين . ونرى أن القرامطة أرادوا التقرب للخليفة الفاطمي بهذا الهجوم الذي شنوه على مكة وكتبوا للخليفة الفاطمي ليبارك لهم هذا العمل غير أن الخليفة الفاطمي استنكر هذه الأفعال الشنيعة التي ارتكبوها من قتل ونهب وسلب وانتزاع الحجر الأسود من مكانه فرد عليهم الخليفة بقوله " والعجب من كتب الينا ممثلا علينا مما ارتكبه واحترمه باسمنا في حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تنزل الجاهلين تحريم أراقصة الدماء فيها واهانة أهلها بل تعديت ذلك وقلعت الحجر الأسود وحملت إلى أرضك ورجوت أن تشترك فليسعناك شمس لعناك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل في يومه ما فعله في حساب غده " (٢) .

---

(١) سرور : سياسة الفاطميين الخارجيين ٤٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ٨٩ .

ومهما يكن في أمر ان الحجاز بات في شبه عزلة اذ لم يستطع الركب العراقي الحضور للموسم مدة عشرين عاما بسبب اعتداءات القرامطة المستمرة على قوافل الحجاج علاوة على غارات الأعراب المعتادة في وقت غياب السلطة الرادعة .

ومع كل فان الخلافة العباسية سرعان ما أعدت العدة للقضاء على القرامطة وذلك عاد نفوذ العباسيين وأقيمت الخطبة فيها للخليفة الراضى عام ٣٣٧هـ (١) ولأن الخليفة غير قادر على استمرار حماية الحج والحرمين فقد أسند ولاية الحرمين الى والى مصر محمد بن طنج الاخشيدى الذى يقيم الدعوة فى المنابر المصرية للخلافة العباسية وان كان يذكر اسمه مع الخليفة فأصبحت مقام لابن طنج أيضا فى مكة والمدينة مع الخليفة ولم يعارض المتقضى أخو الراضى هذا الاجراء بل أيد به بضم الحجاز كله الى ولاية الاخشيديين (٢) .

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ٣٤٠ .  
أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ٣٨ .  
المقرئى : الخطط ج ١ ٢٣٠ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٣٧ .  
دحلان : خلاصة الكلام ٢٧ .  
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ٣٤٨ .  
أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ٤٨ .  
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيين ٢٠ .  
سيده كاشف : مصر زمن الاخشيديين ١٥٣ .

على أن ولاية الحجاز لم تدم طويلا أيضا للاخشيديين فعندما  
حاز بنو بويه على السلطة في مقر الخلافة العباسية وصارت الأمور اليهم  
حاولوا ذكر أسمائهم مع اسم الخليفة في الخطبة في بغداد وسائر  
الأماكن الإسلامية ، وظهر بوضوح هذا النزاع في الحجاز سنة ٣٤٢ هـ  
حيث حاول كل من أمير الحج المصري وأمير الحج العراقي أن يذكر اسم  
صاحبه فقط ولم ينته الأمر الا بعد قتل غنيف انتصر فيه الجانب العراقي  
ودعى لأل بويه مع الخليفة على مثابرمكة (١) .

\* \* \* \*

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ٥٠٦ .  
الفاسي : شفاء الخرام ج ٢ ١٨٩ .  
الجزيري : درر القوائد ٢٤٤ .  
سيده كاشف : مصر زمن الاخشيديين ١٥٥ .

### الحجاز بين الخلافتين الفاطمية والعباسية

من المعلوم أن الخلافة الفاطمية كانت تعتقد في سيادتها الشرعية الوحيدة على العالم الاسلامي دون العباسيين في المشرق أو الامويين في الأندلس ، وأن تمسكها بشرعيتها هذه دفعها الى عدم اقتناعها ببسط سيادتها على بلاد المغرب فحسب بل مواصلة سياسية الحرب لاختضاع جميع العالم الاسلامي تحت سلطاتها المباشرة . ومن هنا كان اهتمامها بأمور المشرق منذ البداية سواء تم ذلك بنشاط الدعوة الاسماعيلية أو بتوجيه حملات مباشرة في اتجاه الشرق بدءا ببرقة ومصر (١) .

ولا شك أن بلاد الحجاز كانت ضمن برنامج الخلافة الفاطمية اذا كانت مركز الحج ومقر الحرمين الشريفين .

وبالرغم من أن القرامطة دعاة الاسماعيلية قد غزوا مكة ودعوا للخليفة الفاطمي فان ما اقترفوه من آثام وقتل ونهب بل ونزع الحجر الأسود من مكانه . جعل الخليفة الفاطمي يرفض أن تأتي سيادته على الحجاز بهذا

---

(١) المقرئى : اتعاظ الخلفاء ج١ ١٠١ .

الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٠ .

البرادى : الدرر السنية ١٠ .

السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٧٠ .

الطريق الدموي • ومن ثم فانه ندد بأعمال القرامطة وناشدهم باعادة  
الحجر الأسود الى مكانه • وكانت استجابتهم لندائه واعادة الحجر الى  
مكانه في عهد الخليفة المنصور الفاطمي قد رفعت ومن شأن الفاطميين دون  
العباسيين الذين فشلوا في هذا المعن وهناك عامل آخر رفع صويت  
الفاطميين بالحجاز حينما نجحت سفارة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي  
لحل المنازعات الأسرية بين العلويين من بني الحسن (١) ونجحت هذه  
السفارة بم عقد الصلح بين العلويين في المسجد الحرام وتحمل الخليفة الفاطمي  
ديات القتلى منهم جميعا (٢) •

واذا كان المعز لدين الله الفاطمي قد أنهى مشاكله في القرب وتفرغ  
لفتح الشرق فأننا نعتقد أن هناك هدفا سريا من وراء هذه السفارة الفاطمية

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢١٧ •  
الجزيري : درر القوائد ٢٤١ •  
البرادعي : الدرر السنيه ١٢ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٧١ •  
(٢) الجزيري : درر القوائد ٢٤٣ •  
الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ١٨٩ •  
سرور : سياسة الفاطميين ٢٤ •  
البرادعي : الدرر السنيه ١٣ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٧٢ •

للحجاز لإبرام الصلح بين أفراد العلويين هناك وهو الاتفاق على توقيت إعلان تسمية الحجاز للخلافة الفاطمية وارتباط ذلك بنجاح الفتح الفاطمي لمصر • ولا شك أن عامل القرابة قد لعب دوراً في إبرام هذا الاتفاق الذي يحقق المصلحة المشتركة لكلا الفريقين على أساس منح العلويين ولاية الحرمين الشريفين علاوة على مساعدات مالية •

فما أن تم الفتح الفاطمي لمصر عام ٣٥٨ هجريه حتى أعلن كبير الأشراف الحسينيين جعفر بن محمد بن الحسن بن بنى سليمان من آل الحسن بن علي ابن أبي طالب استقلاله بأماره مكة والدعوة للخليفة الفاطمي في خطبة الجمعة (١) ومالبث أن حذا آل الحسين الفاطنيين المدينة المنوره حذو بنى الحسن بأن أعلن طاهرين مسلم الحسينى استقلاله بأماره المدينة عمام ٣٦٠ هجريه وخطب أيضاً للخليفة المعز (٢) الفاطمي •

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٨ •  
المقرزى : اتعاط الحنفا ج ١ ١٠٤ •  
الجزيرى : درر القوائد ٢٢٤ •  
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ •  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢١٩ •

- (٢) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ١٩٠ •  
الجزيرى : درر القوائد ٢٤٤ •  
البرادعى : الدرر السنيه ١١٣ •  
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ •  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٠ •

وهكذا تولى السادة من آل البيت<sup>(١)</sup> أمانة المدينتين المقدستين  
بالحجاز وأصبح يطلق لقب الأشراف على العائلة التي تحكم مكة أو المدينة  
نسبة الى تشرفهم بأمانة مكة أو المدينة تمييزاً لبقية الاثرات العلوية الذين  
لم يتولى الامارة .

وظهرت بوادر الخير بالنسبة لأهل الحجاز عندما بدأت الخلافة  
الفاطمية بإرسال الأموال والخلق الى أشراف الحجاز وأصرائهم وكذلك شحنات  
من الحبوب والبقول لسكان مكة والمدينة والقرى المجاورة لهما<sup>(٢)</sup> .

ومما تجدد الإشارة اليه أنه منذ بداية النفوذ الفاطمي في الحجاز بدأت

---

(١) آل البيت هم العلويون آل الحسن وآل الحسين ولدى علي بن أبي طالب  
كرم الله وجهه من زوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه  
وسلم واستقرت هاتان الأسرتان في مكة والمدينة واستطاعت بمناصرة  
الفاطميين الاستقلال بأمانة مكة والمدينة وحينما تولت أمهم والمدينة  
أطلق عليهما الأشراف لتشريفهم أمانة مكة أو المدينة وأما الأسرات التي لم  
تتولى منها حكم مكة أو المدينة فيسمونهم السادة آل البيت انظر البرداعي :  
الدره السنيه ص ٤ .

(٢) الجزيري : درر القوائد ٢٤٥ .  
سرور : سياسة الفاطميين الخارجي ٢٤ .  
البرداعي : الدره السنيه ص ١٤ .

ظاهرة جديدة فى التاريخ الاسلامى وهى التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على اقامة الخطبة لأى منهما على منابر الحرمين الشريفين وقام هذا التنافس على مبدأ أن السيادة الشرعية على العالم الاسلامى تكون لم يدعى باسم هلى منابر الحرمين الشريفين دون الآخر وما يؤكد هذا ما يرسل سنويا من أموال وأعطيات وهدايا وخلع الى الحكام والأهالى حتى اذا ما انقطع ارسال هذه الأموال فان السيادة تصبح فى خطر (١) .

ولعبت هذه الأعطيات دورا بالغ الأهمية فى تحديد واستمرار العلاقة المذهبية والسياسية فى الحجاز لكل من الخلافتين العباسية أو الفاطمية . فقد واطب المعز لدين الله على ارسال هذه الأعطيات سنويا مع موسم الحج دون انقطاع . فاستمر الدعاء له على منابر الحرمين طوال عهده . وما أن انقطعت هذه الأعطيات فى عهد ابنه العزيز تحولت الخطبة للخليفة العباسى الذى أنتهز هذه الفرصة وادربا ارسال أموال كبيره لقمان تبعية مكة له . فاضطر الخليفة العزيز بالله الى ارسال باديس بن زيرى الصنهاجى اميلا على

- 
- (١) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٢ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٧ .  
القاسى : شفاء الغرام ج٤ ٢٩٤ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١٨٢ .  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٢٤ .



ركب الحاج المصرى عام ٣٦٧ هجرية وأمره بالاستيلاء على الحرمين فما  
مرت هذه الحملة مكة وضيق الحصار على أهلها وأسفرت نتائجها عن إعادة  
الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمى بدلا من الخليفة العباسى (١).

ولم تتأثر المدينة بانقطاع أعطيات الخليفة العزيز الى شريفها بسبب  
ما فى أرضها من خيرات زراعية فظل الأمر فيها مستقرا بالولاء للفاطميين  
حتى توفى أميرها طاهر بن مسلم الحسينى وخلفه ابنه الحسن الذى سار  
على نهج والده باعلان تبعيته للخليفة الفاطمى (٢).

وفى سنة ٣٨٤ هـ تولى أمر مكة الشريف أبو الفتح الحسن بن جعفر  
الذى بدأ عهده مخلصا فى ولائه باقامة الخطبة لهم على منابر المسجد  
الحرام بمكة (٣).

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٩ .
  - ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٠ .
  - دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ٢٤ .
  - السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٧٣ .
  - (٢) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠١ .
  - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ٣٣٨ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ٢٥ .
  - السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٧٣ .
  - (٣) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٤ .
  - الجزيرى : درر القوائد ٢٤٧ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٩٥ .
  - السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٧٤ .

وما لبث أبو الفتح أن خرج عن طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٤٠٠ هجرية وتم هذا باغراء من الوزير أبي القاسم حسين بن عيسى المغربي الذي خرج عن طاعة خلفاء البيت الفاطمي وجعله ينتحل لقب الخلافة وأخذ له البيعة من قبائل بني سليم وبني هلال وبني عوف وبني عامر<sup>(١)</sup>. وقد شد أبو الفتح رحاله بقوة عسكرية لازمته وانتهى به المطاف الى منازل بني الجراح بالرملة بفلسطين واتحد مع أمير طيء هيايعه ال الجراح وأقيمت الخطبة له له في منازلهم وفي مدن كثيرة من بلاد الشام أيضا<sup>(٢)</sup>.

صخرج أبي الفتح وانتحله لقب الخلافة ومناخدة كل من الامير حسان ابن الجراح والوزير أبو القاسم ، جعلت الخليفة الحاكم بأمر الله يصدر أوامره

- 
- (١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٥٤٠  
ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٨٠  
دحلان : كلامة الكلام ٢٥٠  
سرور : سياسة الفاطميين ٢٦٠  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٣٠  
البرادعي : الدرر السنية ١٩٠  
(٢) ابن خلدون : العبر ج٤ ١١٣٠  
المقرزي : اتعاظ الحنفا ج٢ ٩٥٠  
الجزيري : درر الفوائد ٢٥١٠  
سرور : سياسة الفاطميين ٢٧٠  
المباضي : تاريخ مكة ج١ ١٧٥٠

بعزل أبي الفتوح عن ولاية مكة وعين بدله ابن عمه أبي الطيب داود وشجعه  
على التخلي عن نصرة أبي الفتوح . وبالتالى انصرف عامة الاشراف فسى  
مكة عن خلافة أبي الفتوح ودخلوا فى طاعة الحاكم بأمر الله واستمر الحاكم  
بأمر الله فى تعليم أظافر أبي الفتوح باستمالة حلفائه فى بنى طى \* مما  
جعلهم ينحرفون عن أبي الفتوح الذى شعر بحرج مركزه وذهب الى الوزير  
أبي القاسم وقال له " أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى فسى  
أيدى هؤلاء وأوقعت بينى وبين الخليفة الحاكم والواجب عليك أن تخلصنى  
كما أوقعتنى " وذهب الى والد حسان رأس المتخلين عنه ، وأعلن  
التجاء اليه فأكبر مفرج ذلك وأخذ على عاتقه تسوية الأمور فتوسط بينه وبين  
الخليفة الفاطمى بالصلىح وتنازل أبو الفتوح عن دعوته بالخلافة لقاء عزل  
أبي الطيب عن ولاية مكة وإخلاصها من خصومه وعودته الى حكمها عام  
٤٠٣ هجرى (١) .

- 
- (١) ابن خلدون : العبر ج٤ ١١٥ .  
الجزيرى : درر القوائد ٢٥٣ .  
مسرور : سياسة الفاطميين ٢٧ .  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٤ .  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٨٦ .



بعد شكر ليتحكم في أمر مكة ولا يدعو لأى من الخليفتين في خطبة الجمعة  
ما أوجد فراغا سياسيا وأصبح أمير كل ركب يدعو باسم الخليفة التابع  
لسوءه ، وبهذا زاد الأمر سوءا حينما انتزع الشريف محمد بن جعفر من  
الهواشم حكم مكة من بنى سليمان ودعا للخليفة القائم العباسى ٤٥٤ هـ  
والتجأ بنو سليمان الى اليمن ومعهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور  
وصفائح الذهب من الباب والميزان .<sup>(١)</sup> الأمر الذى تطلب تدخلا حاسما  
من جانب الخلافة الفاطمية .<sup>(٢)</sup>

فكان أن عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى داعيه على بن محمد  
الصليحي حاكم اليمن بمهمة التى تمكن من إعادة النفوذ الفاطمى فى مكة عام

---

(١) الفاسى ، شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٨ .

ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٥ .

(٢) ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ١ ص ٢٣٠ .

الفاسى ، شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

محمد أمين صالح ، علاقة الفاطميين بالصليحيين فى اليمن ص ٦٢ .

٤٥٥ هـ . وناقلا لمنصب الشرافة الى بدأ أسرة جديدة المعروفة  
بالهواشم . وأوجد بجانب الشريف محمد بن جعفر قوة عسكرية مدربة  
لتوطيد حكم الهواشم وضمان السيادة الفاطمية على مكة وخصص لهم  
المرتبات وجعل قيادتهم بأمر أمير مكة . (١)

---

(١) علي بن محمد الصليحي هو الملك الكامل أبو حسن علي بن محمد بن علي  
ابن يوسف بن عبد الجبار الصليحي كان والده قاضيا سني المذهب يقيم  
في حراز وكان له شهرة عظيمة أرسل ابنه عليا الى سليمان بن عبد الله  
الزواجي وتعلم ابنه علي يد هذا الداعية الذي استطاع أن يجنب هذا  
الابن بعد وفاته مذهب السنة وفقهه في مذهب الشيعة الاسماعيلية  
وقبيل وفاته أوصى اليه بالدعوة وأوصى له بكتبه وعلومه ولقد عكف الصليحي  
على هذه الكتب لأنه كان يتمتع بنصيب وافر من الذكاء وحسن الدراية  
وهذا استطاع أن يكون داعي الخليفة الفاطمي في اليمن والحجاز  
لابل في الجزيرة العربية واستطاع أن يوحد اليمن سياسيا وطبيعيا  
وامتد سلطانه الى سواحل البحر الهندي وإلى عمان شرقا وإلى مكة  
شمالا وإلى عدن جنوبا وأحمد عليه خلفاء الدولة الفاطمية بأن  
يكون داعيهم في الجزيرة العربية . انظر :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥١ .

ابن الديبع ، قوة العيون ج ١ ص ٣٩ .

عمارة اليمن ، المفيد ، ص ٩٩ .

خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٠٩ .

واختلفت سياسة الهواشم عن بنى سليمان فى علاقاتها مع الخلافتين  
السنية والشيعة • وان لعبت الاعطيات دورها فى خدمة تلك السياسة •  
فقد ظل الهواشم يحكمون مكة طوال العصر الفاطمى الثانى الذى يمتد  
بضعف الدولة الفاطمية سياسيا واقتصاديا • فكان الهواشم يعرضون نقــــص  
الاعطيات الواردة من مصر بقبول اعطيات أخرى ترسلها الخلافة العباسية (١)  
وبالتالى تذبذبت علاقتهم المذهبية والسياسية مع الخلافتين كما مارسوا  
بعض المظاهر الشيعة فى الخطبة وقت تبعيتهم للخلافة الفاطمية (٢) •  
ويوضح ذلك ما ذكره المؤرخون عن عيد الهواشم الشريف محمد بن جعفر  
الذى انقطعت عنه اعطيات مصر بسبب ما حل بها من أزمة اقتصادية أيام  
المستنصر الفاطمى فقبل اعطيات العباسيين والدعوة لهم مع استمرار ذكـــر

- 
- (١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ •  
القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٤ •  
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢٠٧ •  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨٤ •  
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٦ •  
محمد أمين صالح : علاقة الفاطميين بالصليحيين ص ٦٤ •

عبارة "حتى على خير العمل" بالآذان رغم طلب الخليفة العباس حذف تلك العبارة الشيعية من الآذان . يريد ذلك الاحتفاظ بعلاقته المذهبية مع الخلافة الفاطمية حتى تحين له الفرصة لإعلان تبعية السياسة أيضاً كما حدث عام ٤٦٧ هـ مما جعل أبا المحاسن يصفه بالتلون أو التأرجح (١)

وعلى أثر وفاته سنة ٤٨٦ هـ خلفه ابنه قاسم بن محمد الذي بدأ عهد بولائه للخليفة العباسي واستمر خلفاء الدولة العباسية يواصلون إرسال أعطياتهم إلى أمراء مكة لينالوا ولاءهم (٢)

وحينما قطعت الخطبة عن الخليفة العباس وأعلن ولائه للخليفة الفاطمي اضطر الخليفة العباسي إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة أصمهد بن سارتيكين واستطاع إجلاء أمير مكة عنها ولكن أميرها عاد وأجلى أصمهد عنها بمناصرة القبائل العربية له مما جعل أمير مكة يحتفظ بولائه للفاطميين واستمر خلفاء الدولة الفاطمية اغداق أعطياتهم إلى أمير مكة حتى نهاية عهده

---

(١) المقرئزي : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ١٢٩ .

الجزيري : درر القوائد ص ٢٥٩ .

سرور : سياسة الفاطميين ص ٣٥ .

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ١٤٢ .

المقرئزي : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ١٥ .

الجزيري : درر القوائد ص ٢٦٨ .

الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٢ .



ووفاته أسندت إمارة مكة إلى الأمير فليته بن قاسم الذي امتاز عهده بإقامة الخطبة للخليفة العباسي ، مع بقاء وده للخليفة الفاطمي بأن جعل الآذان مستمرا كما هو بـ\* حتى على خير العمل\* وبهذا كسب ود الخلافتين العباسية والفاطمية وهو الأمير الذي استطاع أن يجمع علاقات طيبة بين الخلافتين في مكة . (١)

وفي سنة ٥٢٥ هـ توفي فليته وخلفه ابنه هاشم الذي بدأ عهده بأعـلان الخطبة للخليفة الفاطمي الحافظ الذي لم ينهج سياسة والده ، إذ أصبح متأرجحا في علاقته بين الخلافتين حسب وفرة الاعطيات قلة وكثرة . (٢)

ومن الثابت أن أمراء مكة لم يقطعوا جبل المودة مع الخلافة الفاطمية وما يزيد ذلك وضوحا السفارات التي قام بها الشاعر عماره اليمنى بيـن

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ، ٢٥١ .  
الخزرجي : العقود اللوئية ج ١ ص ٤٠ .  
الفساني : المسجد المسبوك ص ٢١٠ .  
القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .  
(٢) المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٥ .  
الفساني : المسجد المسبوك ص ٢١٤ .  
الخزرجي : العقود اللوئية ج ١ ص ٤٢ .  
محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين والصليحيين ص ٧٢ .

أمير مكة والخليفة الفاطمي سنة ٥٥٠ هـ أن الخليفة الفائز ووزيره الصالح  
طلائع بين رزك الذي أرسله أمير مكة الأمير هاشم برسالة إلى الديار المصرية  
ونظم قصيدة في مدح الخليفة والوزير توضح أنه سيسير من مكة إلى القاهرة  
واستقبله الخليفة في قصره وعاد إلى مكة ومعه الأعليات والخلع من الخليفة  
حتى أن وإلى قوس أعطاه مائة أردت من القمح ليوزعها على فقراء مكة<sup>(١)</sup>  
ثم توجه إلى زبيد وفي السنة التالية أتى عمارة اليمنى من زبيد إلى مكة حيث  
أدى مناسك الحج فأوفده أمير مكة إلى الوزير الفاطمي طلائع بن رزك يعتذر  
فيها عما ارتكبه الأعراب مع حجاج مصر والشام ، واستطاع أن يمتص غضب  
الوزير ونجا عن الوزير والأعراب الذين نهبوا الحجاج<sup>(٢)</sup> .  
وأقام عماره في مصر حتى آخر أيامه وأصبح من أشهر شعراء  
البلاط الفاطمي في عهد الخليفين الفائز والعاقد بالرغم من أنه كان

- 
- (١) المقرئ : اتعاظ الخفا ج ٣ ص ٢٢ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٣٠ .  
ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٦ .  
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ص ٢٨٦ .  
ذوالنون المصري : عمارة اليمن ص ٤٢ .  
محمد أمين صالح : العلاقة بين الدولة الفاطمية ص ٧٢ .



### النفوذ الايوبي في الحجاز

بعد أن أنهى صلاح الدين الايوبي الخلافة الفاطمية في مصر عام ٥٦٧ هـ أخذ يتطلع الى مد نفوذه الى بلاد الحجاز ويعيدها الى نطاق الخلافة العباسية السنية حتى يبدو في نظر المسلمين انه حامي حرمين الشريفين مما يتيح له فرصة بسط سيادته على العالم الاسلامي من ناحية والسيطرة على تجارة البحر الاحمر من ناحية ثانية ، وكذا من أجل الحرب ضد الصليبيين بالشام من ناحية ثالثة (١) .

وقد شجع صلاح الدين على تحقيق ذلك عدم استقرار الامور ببـلاد الحجاز وانتشار الاضطرابات والقوضى في أواخر العصر الفاطمي بالاضافة الى ضعف امراء مكة وانحيازهم تارة الى الخلافة العباسية السنية في بغداد وتارة أخرى الى الخلافة الفاطمية الشيعية بالقاهرة . وسبق القول أن ولاية مكة كانتوا يخطبون باسم الخليفة الذي غيرهم بالمال ويدفع أكثر من الآخر (٢) .

- 
- (١) حسنين ربيع البحر الاحمر في العصر الايوبي ندوة تاريخ البحر الاحمر جامعة عين شمس ص ٢ ٦ ع ٣ .
  - (٢) ابن الاثير الكامل ج ١١ ٣٩٦ .
  - ابن واصل مفتح الكروب ج ١ ٢٣٧ .
  - القاسي شقاء الغرام ج ٢ ١٩٨ .
  - ابن ظهيرة الجامع اللطيف ١٢٢ .
  - باقاسي بلاد الحجاز ٤٢ .

ومن المعلوم أيضا أن صلاح الدين أخذ يتطلع الى بلاد اليمن  
التي اشتهرت آنذاك بكثرة مواردها ووفرة خيراتها وكذلك ثغر عدن ومثل ذلك  
يستطيع السيطرة على تجارة البحر الاحمر .

ووصلت حملة صلاح الدين الى الحجاز ثم اليمن بقيادة أخيه توران  
شاه عام ٥٦٩ هـ فدخل مكة دون قتال اذ رحب الشريف عيسى بن فليته  
وأعلن دخوله في طاعة صلاح الدين وتعهد بالخطبة له بعد الخليفة العباسي  
(١)  
ولم يعمد الايوبيون الى تغيير نظام الحكم القائم بالحجاز أو استبدال  
الامراء بغيرهم انما أقروا الهواشم ثم بنى قتادة من بنى الحسن على التوالي  
في أمانة مكة . وكذلك بنى مهني من آل الحسين في حكام المدينة من قبل  
ورحل توران شاه من الحجاز لفتح اليمن ولم يكن هناك من شرط بين الايوبيين  
والاشراف سوى وقف تحصيل المكوس من الحجاج والتجارة الامر الذي أدى الى  
تدخل الايوبيين أو الخلافة العباسية بسبب المكوس . مما أوجد بعض  
الاضطرابات الداخلية التي ستتعرض لها فيما بعد (٢) .

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٤٢٠ - ابن جبير الرحلة ٥٥ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ - البتانوني الرحلة الحجازية ٦٨  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ٨٩ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٣٩ - الطبري : الاربع المسكوة ٣٦٤  
الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ٣٥٠ - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩١

ولم تحدث خلافات خطيرة بين الايوبيين وأشرف مكة الا ما حدث فى  
فى مناسبتين منفردتين : الاولى عام ٥٨١ هـ عندما أرسل صلاح الدين أخاه  
سيف الاسلام طغتكين حاكما على اليمن وكلفه بتنفيذ بعض الاوامر فصار سيف  
الاسلام الى اليمن عن طريق الحجاز فى القى فارس وخمسائة رجل وخلال مسيرته  
مريكة المكرمة ودخلها فى شهر رمضان المبارك فى نفس السنة ثم استأنف مسيره  
الى اليمن (١) .

ف ( وأول عمل قام به فيها حذف الجمل الزائدة من الاذان ) ص على  
خير العمل ( وأيضا استطاع تأديب العبيد الذين كانوا يفسدون فى مكة المكرمة  
وقتل المتمردين منهم ) غير أن خلافا حدث بين سيف الاسلام طغتكين وحسين  
عودته لاداء فريضة الحج وبين مكث بن عمى أمير مكة الذى أصدر أمره الى  
سادن الكعبة بخلق بابها أمام سيف الاسلام . وترجع أسباب هذا الخلاف  
الى أن أمير مكة كان يرغب فى استمرار فرض الكوس على الحجاج لانها تعتبر  
المورد الرئيسى لامارة مكة (٢) . لذلك لم يكن هناك مفر من تحصيلها

---

(١) ابن فهد اتحاف الورى ورقة ٢٤٣

الغسانى المسجد المسبوك ٢٦٥

يحيى بن الحسين غاية الامانى ج ٢ ٣٢٨ .

(٢) الطبرى الاربع المسكى ورقة ٢٤٤

ابن الجوزى مرآة الزمان ج ١ ٣٧٠ .

القاسى شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ .

أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٦ ١٠٣ .

الجزيرى درر الفوائد ٢٦٥ .

السليمان العلاقات الحجازية ١٤

ولا يمكن الغاؤها وكان الشريف مكثّر بن عيسى أمير مكة يأخذ المكوس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب أو جدّه • ولم يرغب أمير مكة الغاء المكوس عن الحجاج الا بعد أن ضمن السلطان صلاح الدين الايوبي ارسال اموال الامير مكة وسلعاً ومواد غذائية ولهذا الغيت المكوس فترة من الزمن ثم أعيدت بعد ذلك على يد الشريف مكثّر بن عيسى ولم يكف عن ظلم الحجاج مما جعل سيف الاسلام طفتكين يعمل على تأديبه باسم السلطان صلاح الدين (١) • وأقيمت بعد ذلك الخطبة على منابر مكة باسم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ثم يذكر بعده اسم السلطان صلاح الدين الايوبي (٢)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ١١٠ •  
القاسي : العقد الثمين ج ٧ ٢٧٤  
البتانوني : الرحلة ٧٠  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ٩٢ •  
السليمان : العلاقات الحجازية ١٤  
(٢) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ •  
دحلان : خلاصة الكلام ٢٢  
البتانوني : الرحلة الحجازية ٨٤

وفي سنة ٦١١ هـ بدأت علاقة الشريف قتادة بن ادريس فـسـى  
الاستياء مع الملك عيسى بن العادل الايوبي حيث عزم الملك عيسى في هذا  
العام على أداء مناسك الحج وقام بتوزيع الاموال على الاعراب ومحوه السـى  
المدينة استقبله اميرها استقبالا حافلا وأنزله في داره تكريما وصبحه في سفره  
الى مكة المكرمة وسأل الملك عيسى امير مكة قتادة عن المكان المعد لاقامته  
فأجابه قتادة مشيرا بأصبه هناك ( يريد الابطح ) . فشعر الملك عيسى  
الايوبي بأن الامير قتادة يحتمون به فأسرها في نفسه وبعد عودته الى دمشق  
أرسل جندا من الشام لمساعدة الامير سالم بن قاسم في نزاعه القائم بينه وبين  
الشريف قتادة فاستطاعوا ايقاع الهزيمة به واستولوا على كثير من أسلحته وعتاده  
وفي اثناء تتبع هذا الجيش توفي الامير سالم بن قاسم امير المدينة فانسحب  
الجيش عائدا الى المدينة ثم الى الشام (١) .

غير أن قتادة بن ادريس قتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٢ هـ وقام  
النزاع بين الاخوين الحسن وراجح اللذين التجأ الى مساعدات خارجية (٢) .  
فلقد التجئ الحسن الى الخلافة العباسية والتجئ راجح الى الملك المسمود

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ١٠١ .

أبو المحاسن : النجوم ج ٧ ٢٥٠ .

الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٥ .

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٢٩ .

باقاسي : بلاد الحجاز ٦٠ .

(٢) انظر العلاقات بين الاشراف في هذا الفصل .



الايهى صاحب اليمن الذى بادر بارسال قوة عسكرية انتزعت امرة مكة من  
الحسن (١) .

وقد وصل النفوذ الايهى ذروته بمكة على يد الفرع الايهى باليمن  
اذ قام الملك المسعود الايهى بتولية نورالدين عمر بن رسول نائبا عنه فى  
مكة . وجعل له ولاية الجند ومدير أموالها وهى نفس السلطات التى اعطيت  
الى نائبيه الثانى ياقوت المسعودى . حتى حينما تولى عمر بن رسول  
ملك اليمن صارت مكة تابعة لنفوذهم دون الايهميين فى مصر والشام وبدأ حكم  
بنى رسول فى اليمن ومكة (٢) .

- 
- (١) انظر تفصيل ذلك فى فصل النزاع بين الاشراف .
  - (٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ٢٠٥ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ١٧٩ .

### حماية الايوبيين للبحر الاحمر :

على أن أهم ما قام به الايوبيون هو حماية الاماكن المقدسة — من الاعتداءات الصليبية • فقد تعرضت بلاد الحجاز لخطر الصليبيين أكثر من مرة وفي عام ٥٧٧ هـ قامت المحاولة الاولى بقيادة أحد الامراء الصليبيين يدعى أرناط (١) صاحب امارة الكرك الواقعة شرق البحر الميت بحملة صليبية في صيف هذا العام • وكان الغرض منها غزو بلاد الحجاز وسيط سيادة الصليبيين على البحر الاحمر وتحويل التجارة الى الموانئ الصليبية في خليج العقبة • والهدف الاساسي من ذلك هو ضرب المسلمين في مقدساتهم (الحرمين الشريفين) والاستيلاء على طريق الحج البحري والسيطرة عليه (٢) •

- 
- (١) أرناط : كان يحكم امارة الكرك شرق البحر الميت وكان شابا مغامرا متحمسا لتحقيق اغراض الصليبيين في الاحتفاظ بالامارات اللاتينية ومن طبعه الغدر وعدم الوفاء بالعهد انظر عاشور : الايوبيون والمماليك ص ٩٤ ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٧٠ ، ربيع ا : البحر الاحمر ص ٤ ، ٥ ، ٥٠
- (٢) الفسافي : المسجد المسبوك ٢٤٦ •
- دحلان : خلاصة الكلام ٢١
- عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٨٤ •
- عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين ١١٠
- سماد ماهر : البحرية الاسلامية ١٠٥ •
- السلیمان : النشاط التجارى ٣٣ •

وتتلخص حملة أرناط أنه أحضر الاخشاب من عتقلان وحملها على  
الجمال الى ميناء اسنة على خليج العقبة ثم بنى أسطولا يتألف من خمس  
سفن كبيرة وعدد أكبر من السفن الصغيرة حملها آلاف من الفرسان ثم أبحر  
في البحر الأحمر بقصد الاستيلاء على مكة والمدينة (١) .

وقد منيت هذه الحملة بالفضل الذريح لأسباب عدة من بينها تعرض  
رجالها للحر الشديد ، وانتقارهم للماء الوفير مما جعلهم يتوقفون مجهدين  
عند واحة تيماء ، وفي الوقت نفسه استغل القائد العربي المسلم عز الدين فرخشاه  
ابن أخي صلاح الدين ونائبه في دمشق هذا الموقف ، اذ أسرع بقواته وحاصر  
حصن الكرك ونهب أمواله ، مما اضطر أرناط الى التخلي عن استمراره في حملته  
المذكورة وطاد مسرعا لحماية أمارته من السقوط وقام خلال عودته بالاعتداء على  
قافلة اسلحية كبيرة ونهب معظم ثروتها وهي في طريقها من دمشق الى مكة  
المكرمة (٢) .

(١) القوصي : تجارة مصر ١٥٣ ، ١٥٥ .

عزیز سوریاں : العلاقة بين الشرق والغرب ٦٥ .

Kammerer Lamer Rouge p. 23 .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٤٩٠ .

ابن واصل : فوج الدروب ج ٢ ١٢٩ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٥ .

القوصي : تجارة مصر ١٥٦ .

السليمان : العلاقات الحجازية ١١ .

وكانت محاولة أرناط الثانية في العام الثاني مباشرة أن جهز اسطولا وأعد سفنا مفككة الاجزاء وحملها على ظهور الدواب وأوصلها الى خليج العقبة ثم ربط اجزاءها وركبها بعد أن ملأها بالرجال وما يلزمهم من معدات حربى وقاد الحملة بنفسه وهاجم جزيرة ايله بسفينتين حربيتين (١) . بينما استأنف بقية الاسطول ابحاره ملتزما جانب الساحل الافريقى للبحر الاحمر وذلك من أجل غزو والموانى الواقعة على هذا الجانب ونهبها . فأثارت غزواته العرب والفرع بين سكانها وبعثت فيهم العجب والتساؤل لانه لم يسبق لهم قبل هذا الوقت أن شاهدوا سفنا فرنجية في حوض بحر القلزم (٢) . وكانت اول الموانى التى هاجمها اسطول أرناط الصليبي مينا عذاب المواجه لمينا جدة ثم هاجم سفنا تجارية وهى فى طريقها بين جدة وعدن والهند (٣) .

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ١١ ٥٥٠ ، ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ١٣٣

أبو شامة : الروضتين ج ٢ ١٤٥ ، عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٦

العرينى : مصر فى عصر الايوبيين ٦٩ ، ربيع : البحر الاحمر ٥

محمود رزق : العلاقات بين أرناط ١١٠ .

(٢) ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ١٣٩ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٦ .

دراج : عذاب ٥٨ .

(٣) ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ١٣٩ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٧ .

مخبرنا ابن جبير والمقريزي أن هؤلاء الصليبيين قد استولوا على  
مركبين من مراكب تجار اليمن ، كما أنهم أشعلوا النيران في كميات كبيرة من  
الطعام الملقاة على ساحل عيذاب . وكان الهدف من تخزينها في هذا الميناء  
الاستعداد لنقلها الى بلاد الحجاز (١) .

ثم واصل اسطول أرناط الصليبي أعماله العدوانية متقلدا من عيذاب  
الى ساحل بلاد الحجاز فأشعل النار في السفن الراسية في مينائى المدينة  
وهما ميناء الحوراء وينبع (٢) .

ثم نزل رجال الاسطول الصليبي على ساحل الحوراء قرب ينبع  
وأخذوا في غزو المناطق المجاورة والاغارة على القوافل المارة وأغلوا في المسير  
حتى أصبحوا على بعد مسيرة مرحلة واحدة من المدينة المنورة . يريدون دخولها  
ونهب قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأخراج جثمانه الطاهر من الضريح المقدس  
ثم نقله الى بلادهم ودفنه عندهم ، حتى لا يستطيع المسلمون زيارته الا بعد  
دفع اتاوة باهظة . غير أنهم لم يحققوا اهدافهم وحلت بهم الهزيمة والاسر (٣)

(١) ابن جبير الرحلة ٥٧ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٧٩ .

دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .

(٢) الحوراء ينبع هما مينائان يقعان قرب المدينة المنورة على ساحل البحر الاحمر  
ترسو فيهما بعض السفن التجارية وسفن الحجاج انظر

ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤١٠ ، ج ٣ ص ١١٥

حمد الجاسر : بلاد ينبع ص ٢٨ .

(٣) ابن واصل : مفتح الكروب ج ٢ ص ١٤٠ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٧٩ .

ابن جبير : الرحلة ٥٩ ، سعاد ماهر : البحرية الاسلامية ١٠٧ ،

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٨٦ ، ربيع : البحر الاحمر ٧ ،

سوريال : العلاقات بين الشرق والغرب ٦٥ .

ذلك أن طاح الدين الايوبي وهو في الشام آنذاك كان قد أمر نائبه  
على مصر أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب أن يجهز أسطولاً كبيراً بالمعدات  
والرجال ويسير به لقتال أسطول الصليبيين في البحر الأحمر من ناحية مسرد  
الصليبيين عن غزو المدينة المنورة من ناحية أخرى (١) .

ولقد استجاب الملك العادل لأوامر أخيه صلاح الدين وعهد إلى  
حسام الدين لؤلؤ بأعداد الحملة المذكورة فنقل حسام الدين لؤلؤ أجزاء  
السفن المفككة على الجمال إلى ميناء السويس حيث تم تركيبها وربط بعضها  
ببعض حتى غدت أسطولاً يتألف من سفن كثيرة وقام بتقسيمه إلى قسمين الأول توجه  
إلى ميناء إبله واستولى على المراكب الصليبية التي كانت راسية هناك وأسر من  
كان في الميناء من الرجال (٢) . أما القسم الثاني من الأسطول الايوبي فقد  
أبحر جنباً خلف سفن الأسطول الصليبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ فوجد

---

(١) ابن واصل : مغرر الكروب ج ٢ ص ١٤٠ .

المقريزي : السلوك ج ١ ص ٢٩ .

أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٥ .

ربيع : البحر الأحمر ٧

القوصي : تجارة مصر ١٥٦ .

(٢) ابن واصل مغرر الكروب ج ٢ ص ١٤١ ، المقريزي الخطط ج ٢ ص ٨٥

ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن جبير : الرحلة ٦٣

جزء منها في عذاب واستولى عليها وأطلق سراح أسرى المسلمين وأعاد اليهم ما سلبه الصليبيون منهم ، ثم أبحر الى رايق واستطاع الاستيلاء على بعض السفن الخاصة بالاسطول الصليبي الراسية في هذا الميناء ، فاخذهم على حين غرة وأسر بعضهم ، وفر البعض الآخر واحتشوا بالرجال ، الا أن رجاله قد تابعوهم وألقوا القبض عليهم ، ولحقوا بالباقيين برا على بعد مرحلة واحدة من المدينة وكان عددهم ثلاثمائة رجل ، فأسروهم ، وأرسل اثنان نحرا في مسمى يوم عيد الاضحى المبارك كما تنحرا البدن التي تساق هديا للكعبة ، اما بقية الاسرى الصليبيين فقد عاد بهم الى مصر (١) .

وما تجدر الاشارة اليه أن السلطان صلاح الدين أمر بقتل هؤلاء الاسرى ليكونوا عبرة وعظة لمن تسول له نفسه الاعتداء على حرم الله في مكة وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، وقد تم تنفيذ امره بقتل جميع الاسرى بعد أن استعرض بهم في شوارع مدينة الاسكندرية وذلك في اواخر شهر

- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٥١٠ .  
ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ص ١٤٣ .  
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٧ .  
أبن أيك : كنز الدرر ج ٢ ص ٧٢ .  
ربيع : البحر الاحمر ٨

ذى الحجة عام ٥٧٨ هـ . وقد ظل صلاح الدين يعمل جاهدا على حماية  
البحر الاحمر وبلاد الحجاز من الخطر الصليبي كما ظل حريصا على أن تبقى  
تجارته في أيدي التجار المسلمين دون غيرهم (١) .

\* \* \*

- 
- (١) أبوشامة الروضتين ج ٢ ص ٣٨ .  
ابن أبيك : كنز الدرر ج ٢ ص ٧٥ .  
ربيع : البحر الاحمر ٨  
السيمان : العلاقات الحجازية ١٢  
باقاسى : بلاد الحجاز ٥٠ .



### الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف :

يكاد الباحث في الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف أن يقرر عدم فاعلية هذه الطبقة الجديدة التي حكمت كلا من مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل استقلال ذاتي . فلم تشهد أية اصلاحات جذرية أو حركة عمران تنسب اليهم . وأيضا عدم القدرة أو النجاح في تأمين الحجاج بتأليف العربان ومنعهم من الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار اثناء موسم الحج وغيره من الاوقات . هذا بالإضافة الى سياسة فرض المكوس والنزاع المستمر بين الاسرات المختلفة منهم على منصب الشراقة . وأدى هذا الى انتقال الشراقة الى ثلاث بيوت في الفترة موضع البحث . وكذا الاحتكاك بين اشراف مكة من آل الحسن واشراف المدينة من آل الحسين في مناسبات شتى (١) .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١١٠

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٠٥ .

السليمان : العلاقات الحجازية ١٦ .

باقاسي : بلاد الحجاز ٦٢ .

De Goury, G, Rulers of Mecca, p.30,1972.

فقد حكم بنو سليمان مكة المكرمة من سنة ٣٥٨ هـ الى سنة ٤٥٣ هـ

ثم تلاهم أسرة الهواشم من سنة ٤٥٥ : ٥١٢ هـ ثم بنو قتادة بن ادريس  
من ٥١٢ حتى نهاية حكم الاشراف (١) .

اما المدينة فقد تولى امرها أسرة واحدة من أبناء الحسين بن عيسى  
ابن أبي طالب وهم أحفاد طاهر بن مسلم الحسيني الذي أعلن قيام حكم  
الاشراف بالمدينة سنة ٣٦٠ هـ وعرفت هذه الاسرة فيما بعد بأسرة بني مهدي  
ولم تنتقل الامارة الى غيرهم طوال الحقبة الزمنية لهذا البحث (٢)

وفي دراستنا للاحوال الداخلية بالحجاز تمت حكم هؤلاء الاشراف  
سوف نعرض أولا الى العلاقة بين افراد الاسرة الحاكمة دون غيرها من البيوت

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٩

ابن خلدون : العبر ج ٤ ٩٩

ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٩

المبايعي : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٦ .

De Gaury Rulers of Mecca. p.44.

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ١٠٠

ابراهيم العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ٣٠

عبد القدوس الانصاري : أثار المدينة ٤٣ .

العلوية الاخرى • وهل كان هناك نزاع بينهم على منصب الشرافة بما يؤدى الى تدخل قوى خارجية تذييل الحكم من أسرة الى أخرى • وثانيا العلاقة بين أشـراف مكة وأشـراف المدينة وهل كانت طيبة ودية يظهر فيها التعاون والاخاء بمـا يقتضيه واجب القرابة القريبة من ال الحسن والى الحسين وكلهم عليون • وثالثا تعرض الى سياسة الاشراف بصفة عامة فى حكم الحجاز وهل حققوا نـوعا مـن الامن والامان من اعتداء الاعراب على طرق القوافل فى موسم الحج والتجارة ثم أخيرا سياستهم الضريبية فى قضية المكوس التى كانت سببا للاحتكاك والصدام مع القوى الخارجية أصحاب السيادة على الحجاز (١)

\* \* \*

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٠ •  
دراج : ايضاحات ١٩٥ •  
القوصى : تجارة مصر ١٠٤ •  
السباعى تاريخ مكة ج ١ ١٢٠ •  
باقاسى : بلاد الحجاز ٨٢ •

أولا : العلاقة بين الاشراف حكام مكة :

بالنسبة للأسرة الاولى من بنى سليمان التى قامت فى ظل التبعية الفاطمية لم نلاحظ تنافسا يذكر بين أفرادها على منصب الشرافة فى الفترة التى حكمت فيها وبلغت قرنا من الزمان الا خمسا ٣٥٨ - ٤٥٣ هـ اللهم الا فى الفترة الاخيرة (١) من عهدها اثر وفاة شكر ابن أبى الفتح عام ٤٥٣ هـ الذى لم يترك وريثا فتنازع بنو سليمان فيما بينهم مما أدى الى سيطرة أحد عبيد شكر على امر مكة فضلا عن عدم رضا أهل مكة عن سياستهم (٢) .

ما أتاح الفرصة لظهور أبوهاشم محمد بن جعفر حميد الهاشم لتولى منصب الشرافة ويدعو باسم الخليفة بالعباسى عام ٤٥٤ هـ . فالتجأ بنو سليمان

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٠ .
  - السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٧٣ .
  - البرادعى : الدرة السنية ١٢
  - (٢) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ١٠٢ .
  - المقريزى : اتعاط الحنفا ج ٢ ٩٥ .
  - المقريزى : الخطط ج ٢ ١٥٧
  - السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٨٢ .
  - البرادعى : الدرة السنية ١٤ .

الى اليمن كما ذكرنا من قبل حاملين معهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح  
الذهب من الباب والميزاب • فكان ان عهد الخليفة المستنصر الفاطمي الى  
الصليحي الداعي والحاكم في اليمن بمهمة إعادة النفوذ الفاطمي الى مكة (١) •

وشيد المؤرخون بما قام به الصليحي من أعمال طيبة في مكة عام  
٤٥٥ هـ بدأ بكسوة الكعبة ثيابا بيضا • ورد أمتعة الكعبة بعد ان اشتراها  
من بني سليمان كما أنه أظهر العدل في الاهالي برفع الظلم

كما أدب القبائل التي كانت تعتدي على الحجاج حتى رخصت الاسعار  
وساد الامن والطمانينة • هذا فضلا عن نجاحه في إعادة النفوذ الفاطمي  
الى مكة • اذ انضم اليه وحيد بن جعفر الملقب بأبي هاشم وأعلن التبعية

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢٣ •

القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ٢٧٠ •

الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠١ •

ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩١

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٤ •

سرور : سياسة الفاطميين ٢٦

ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٨ •

والدعوة للفاطميين وبدأ بذلك حكم الاسرة الثانية وهى الهواشم من آل الحسن (١)  
وأصاب هذه الاسرة الثانية آفة الصراع بين جماعات الاشراف سواء من  
أفراد الاسرة السابقة او من الهواشم انفسهم (٢) .

ففى عام ٤٥٧ هـ ثار حمزة بن دهاش احد بنى سليمان على الشريف  
محمد بن جعفر سنة ٥٥٦ هـ فوقعتم اضطرابات بين أفراد الاسرتين من بنى  
الحسن ما يقرب من عام كامل . حتى تمكن الشريف محمد بن جعفر من القضاء  
على مناوئيه من بنى الحسن . واستمرت آثار هذه الاضطرابات بين الاشراف  
حتى تولى الشرافة قليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٢ هـ فاستطاع اصلاح الامور بين  
جماعات الاشراف كي يعمد الامن المفقود فى مكة (٣) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ .
  - الفسانى : المسجد المسبوك ٢٨٦
  - ابن الديبع : قرعة العيون ج ١ ص ٣٩ .
  - عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ٩٩
  - القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٢ .
  - محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين ٧٢
  - (٢) القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٣ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٣
  - القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٧١ ، السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .
  - (٣) القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٦ ، دحلان : خلاصة الكلام ٣٦
  - البرادعى : الدرة السنية ١٨ ، السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٦ .

كذلك أدت المظالم التي أحدثها الشريف القاسم بن هاشم ٥٤٩ هـ -

٥٥٧ هـ واستتجاد الأهالي بعمه عيسى بن فليته ، إلى قيام هذا الأخير  
بالثورة ضد الشريف وتوالى امرة مكة دونه (١) .

ثم ظهر النزاع على منصف الشراقة بين الاخوة . نجدها أولا في ثورة  
مالك بن فليته ضد أخيه عيسى عام ٥٦٥ هـ ، وتولى مالك حكم مكة مدة عام  
واحد . ثم عاد الامر مرة اخرى إلى عيسى بن فليته حتى توفي فخلفه ابنه داود  
ويبدو ان الخلافة العباسية قد دخلت طرفا اخر في هذا النزاع بين أفراد الهواشم  
بالتدخل المباشر في شئون البلاد بالمزل والتولية بما أدى إلى تفاقم النزاع  
واشتداد التنافس وبالتالي تعرضت مكة إلى اخطار جسام (٢) .

ورغم ان داود بن عيسى بن فليته كان حسن السيرة والعدل الا أنه

- 
- (١) انظر تفصيل ذلك في فصل المكوس .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٢ .  
ابن الاثير الكامل ج ١١ ٢٧٩ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٤  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٧  
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ٤٨٦ .

تعرض لانقلاب اخيه مكث بن عيسى عام ٥٧١ هـ نتيجة تحريض الخليفة  
العباسي له ضد اخيه واغرائه بأمانة مكة . فأخرج مكث اخاه داود من مكة  
فالتجأ الى وادي نحلة (١) .

وفي نفس الوقت كانت الخلافة العباسية تقرب اليها أبناء عمومة الشريف  
عيسى بن فليته . فاعتبر مكث بن عيسى بن فليته هذا التقرب عملاء ضده .  
فأخذ يستعد لشراء الاسلحة والذخائر ويدرب الرجال . وكذا بناء قلعة  
في أعلى جبل قبيس واتخذها حصنا منيعا يلجأ اليه اذا حاول أمير الحج العراقي  
عزله (٢) .

ومن الطبيعي ان هذه الاجراءات او الاستعدادات التي اتخذها  
مكث أمير مكة لم توافق هوى الخليفة العباسي وعزم على خلعها . فقد جهز  
الخليفة جيشا كبيرا زوده بالمنجنقات واللات النفط وعهد بقيادته الى أمير

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٢٨٩ .  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٩ .  
(٢) القاسي : تحصيل المرام ورقة ٨٠ .  
الجزيري : درر القوائد ٢٧١ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٧٦ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٩ .



الحج العراقي طاشتكين في موسم ٥٧١ هـ وكلفه بعزل مكثر وهدم الحصن الذي بناه في أعلى جبل أبي قبيس • ودار قتال بينهما عنيف بعد انتهائهما الحج وأسفرت النتائج عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى (١) •

وفي ظروف هذه الفتنة أمر مكثر بن عيسى بنهب الحجاج والاستيلاء على أموالهم وأموال التجار المقيمين في مكة وأحرق كثيرا من دورها • وعندما حلت الهزيمة بالشريف التجأ إلى حصنه بأعلى جبل قبيس حيث حاصره طاشتكين واستولى على الحصن فهرب مكثر من مكة وحل محله أخوه داود بن عيسى (٢) •

وأغلب المصادر التاريخية لا توضح مدة ولاية داود على مكة • وبعضها يذكر أن مكثرا وأخاه داود ظلا يتداولان حكم مكة رغم عداوة الخلافة العباسية وكذا إصلاح الدين لمكثر بن عيسى بصفة خاصة بسبب سياسته في فرض المكوس

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٣٠١ •  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٩ •  
الجزيري : درر الفوائد ٢٧٣ •  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٧ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٠ •  
(٢) الجزيري : درر الفوائد ٢٧٢ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٠ •  
ياقاسي : بلاد الحجاز ٥٣ •

" انظر فصل المكوس بهذا الفصل " ومع كل فقد انفرد مكث بن عيسى بأمانة مكة طوال عشرة سنوات ٥٨٧ : ٥٩٧ هـ حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثلاثة من أسرات الحسينيين (١) .

وقد جاء انتقال الامارة الى هذه الاسرة الثالثة نتيجة عداة الخلافة العباسية المستمرة لشريف مكة مكث بن عيسى (٢) .

ولم تلجأ هذه الخلافة هذه المرة الى القوة العسكرية بل الى تحريض من يدعى قتادة بن ادريس من بنى الحسن صاحب ينبع الذى استطاع ان يجمع الاشراف الحسينيين حوله ويوحد كلمتهم تحت لوائه وكذلك الاعراب الذين التقوا حوله . فانتزع امرة مكة من مكث فتهرب هذا الى وادى نخلة قرب الطائف حيث

توفي هناك ٥٩٩ هـ (٣) .

- 
- (١) ابن فهد اتحاف الورى ورقة ٢٣٩ .  
الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٨٤  
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٠ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٤  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٨  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩١  
البرادعى : الدرر السنية ٢٣ .
  - (٢) الطبرى : الايج المسكى ورقة ٢٢٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى ٢٤٢  
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٠ ، دحلان : خلاصة الكلام ٤١ .
  - (٣) الفاسى : تحصيل المرام ٨٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٥  
دحلان : خلاصة الكلام ٤٢ ، السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩١ .

وهكذا بدأ حكم الاسرة الثالثة من ال الحسن هي اسرة بنى قتادة  
التي اصابهم أيضا افة الصراع بين رجالاتها حول منصب امرة مكة علاوة على  
احتدام الصراع بينهم وبين اشراف المدينة المنورة •

ويبدو ان قتادة هذا كان ذا شخصية قوية ففي عام ٦٠٧ هـ وقعت  
فتنة كبيرة بين الحاج العراقى واهل مكة وسببها ان احد الحجاج العراقيين  
قتل احد عميد الشريف قتادة يدعى بلال مما أدى الى نشوب القتال بين  
الطرفين واجبر الشريف قتادة امير الركب العراقى على دفع اموال بلغت قيمتها  
ثلاثين الف دينار وهوكد الفاسى (١) ان هذه الاموال دفعت للشريف قتادة  
مقابل خسائره فى هذه المعركة •

فى سنة ٦١٢ هـ وجه اهانة الى الملك عيسى بن المعادل الايوصى  
صاحب الشام وتغلب على محاولة عزله من امرة مكة (٢) •

وجاء مقتل عميد اسرة بنى قتادة الذى شن حربا متواصلة ضد امراء  
المدينة المنورة بقصد ضمها الى امارته على يد ابنه الحسن • وكان كسل من

---

(١) انظر فصل المكوس •

(٢) انظر النفوذ الايوصى على الحجاز •

الاب والابن يريد قتل الآخر • فاستغل الحسن فرصة مرض ابيه قتاده وقتله  
عام ٦١٢ هـ ونادى بنفسه أميراً على البلاد (١) •

وأدى مقتل قتادة بن ادريس على يد ابنه الحسن وتوليّه امـرة  
مكة الى خلاف شديد مع الابن الثاني راجع • فدخل الاخوان في صراع  
مرير تدخلت فيه عدة قوى خارجية (٢)

فقد انتهز راجع بن قتاده فرصة قدوم الحج العراقي عام ٦١٨ هـ  
بقيادة اقباشى الناصرى فاستتجد به ضد اخيه • فهاجم الحسن سرادق  
امير الحج العراقي للفتك باخيه راجع الذى نجح فى الهرب بينما قتل اقباشى  
الناصرى (٣) •

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٤ يه الطبرى : الارج السكى ٢٢٣  
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٠ • دحلان : خلاصة الكلام ٤٢  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٦ • البرادى : الدرر السنية ٢٧

(٢) الفسانى : المسجد المسبوك ٢٦٥  
دحلان : خلاصة الكلام ٤٣ •  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩٣

(٣) الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٥ •  
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٢ •  
البرادى : الدرر السنية ٢٨ •  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٨

ولا شك ان هذا الاعتداء على امير الحج العراقي ادى الى غضب  
ال خليفة وعزم على الانتقام من الحسن . غير ان الحسن استطاع ان يمتص  
غضب الخليفة بتقديم الاعتذار وطلب العفو . فاجابه الخليفة الى طلبه (١) .

اما بالنسبة لراجح ابن قتادة فانه اضطر الى الذهاب الى اليمن  
للاستجداد بالملك المسعود ابن الكامل الايوبي صاحب اليمن وانتهر الملك  
المسعود هذه الفرصة لمد نفوذه الى مكة عن طريق مساعدة راجح ضد اخيه  
الحسن . والفعل وصلت قوة عسكرية استطاعت طرد الشريف الحسن بن قتادة من  
مكة فولى ذاهبا الى بغداد . بينما تولى امرة مكة نور الدين عمر بن رسول  
نائبا عن الملك المسعود الايوبي صاحب الديمن وبجانبه الشريف راجح بن  
قتادة (٢) .

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٢ .
  - المقريزي : الذهب المسبوك ٧٨ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٩ .
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٢ .
  - الفساني : المسجد المسبوك ٢٣٠ .
  - ابن الربيع : قرة العيون ج ١ ١٩٨ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ١٢٣ .

وسينما كتب الخليفة العباسي الى الملك الكامل الايوبي سلطان مصر  
يعتب فيها ما فعله ابنه صاحب اليمن في مكة ، كان الحسن بن قتادة قد عاد  
الى القرى المجاورة الى مكة يستميل اليه بعض القبائل وكذا انضم اليه امير  
المدينة لاستخلاص مكة من نائب صاحب اليمن ياقوت السعودي (١) . وأخيه  
راجع غير أن هذه المحاولة فشلت عام ٦٢٢ هـ وظل ياقوت السعودي أميرا  
على مكة حتى عام ٦٢٥ هـ (٢) .

\* \* \*

- 
- (١) كان الملك السعودي صاحب اليمن قد استدعى عمر بن رسول عام ٦٢٠ هـ وعين  
مكانه الامير صارم الدين ياقوت السعودي الذي اطلق على نفسه امير الحج  
والحرمين ومتولى امر الجند بمكة ومدير احوالها .  
(٢) الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥ .  
الناس : تحصيل المرام ورقة ٨٩  
المقريزي : السلوك ج ١ ٢١٣ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ١٢٤ .  
محمد بهجت : الصلات السياسية والحضارية ١٨٥ .

ثانيا : العلاقة بين اشراف مكة واشراف المدينة :

اعلن امراء المدينة من آل الحسون بن علي بن أبي طالب استقلالهم  
سنة ٣٦٠ هـ وارتبط معهم امراء مكة بصلة القرابة ولم تحدث أية فتن فيما بينهم  
سوى الحملة العسكرية التي قام بها أبو الفتح سنة ٣٩٠ هـ بأمر من الخليفة الفاطمي  
الحاكم بأمر الله ولان امراء المدينة قطعوا الخطبة سنة ٣٩٠ هـ أعد أبو الفتح  
حملة لاعادة بنى مهنى الى طاعة الخليفة الفاطمي (١) .

ويؤكد ابن خلدون (٢) والفاقي ان أبتا الفتح حكم مكة  
والمدينة عامين كاملين حتى استجاب له بنو مهنى واعلانهم واعلنوا الطاعة للخليفة  
الحكم بأمر الله .

وقد وقع خلاف في سنة ٤٤٣ هـ بين بنى هلال وبنى عامر وبين بنى مهنى  
اشراف المدينة الذين حرضوا الشريف شكر باعداد حملة عسكرية ضد بنى مهنى

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ١٩٨/٢ .

الجزيري : درر الفوائد ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر ١٠٢/٤ .

الفاقي : شفاء الغرام ١٩٩/٢ .

ومناصرة هاتين القبيلتين استطاع شكر الاستيلاء على المدينة ولذلك لقبه ابنن  
خلدون والفاسي بملك الحجاز • واستمرت ولايته حتى سنة ٤٥٠ هـ وأعاد  
بنى مهني الى امرة المدينة بعد أن عقد الصلح بينهم (١) •

وعلى أثر انتهاء دولة بنى سليمان وقيام اسرة الهواشم ارتبط محمد بن  
جعفر ارتباطا وثيقا مع اشراف المدينة ولم تحدث اية اعتداءات طوال فترة حكمه  
ولابنناؤه وأحفاده من بعده حتى تولى امرة مكة مكثربن عيسى وعلى اثر  
الحروب التي جرت بينه وبين طاشتكين أمير الركب العراقي اسند الخليفة  
المستضي بالله العباسي امارة مكة الى الامير هاشم بن مهني الحسيني على  
اثر عزل مكثر ولكنه لم يستطع ادارة الامور في مكة وطلب من طاشتكين ان تكون  
ولايتها بيد داود بن عيسى فاسندت اليه عام ٥٧١ هـ (٢) •

وحينما تولى الشريف قتاده ابن ادريس امير ينبع امر مكة سنة ٥٩٧ هـ

- 
- (١) الجزيري : درر الفوائد ٢٥٠ •
  - المباي : تاريخ مكة • ج ١ • ص ١٢٠ •
  - (٢) الطبري : الايج المسكي • ورقة ٢٤٤ •
  - سبط بن الجوزي : مرآة الزمان • ٢٤٨/٨ •
  - بن جبير : الرحلة • ص ٤٨ •



أراد أن يمد سلطانه الى المدينة المنورة فبدأ في سنة ٦٠١ هـ يعد عدته لغزو المدينة ولكن أميرها تصدى لحملته والحق بها الهزيمة وبذلك استمرت الحروب بين أمير المدينة سالم بن مهنى وقتاده بن ادريس مدة زادت عن ثلاثة اعوام دارت فيها أربعة حروب كان النصر فيها متساويا وانتهى أخيراً بعقد صلح بينهما (١) .

وفي آخر هذه المعارك قتل الحسن بن قتاده عمه مطاعن ، لهذا نجد أن قتاده أنهى الخلاف بعقد الصلح بينه وبين اشراف المدينة وتوعد بقتل ابنه الحسن (٢) .

وما لبث قتاده أن وقع في خلاف مع أمير الركب العراقي استغسل خطره حينما أرسل الخليفة العباسي جيشاً يقوده سالم بن مهنى أمير المدينة سنة ٦٠٩ هـ الذي هزم بانتصار قتاده عليه (٣) .

- 
- (١) بن الاثير : الكامل ٢٠٥/١٢ .
  - السليمان : العلاقات الحجازية ١٢
  - (٢) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٢٥
  - (٣) بن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٦ .
  - الجزيري : درر الفوائد ٢٦٨ .

وعلى اثر وقوع الخلاف الذى حدث بين قتاده وبين الملك عيسى  
ابن المعادل الايوبي سنة ٦١١ هـ أرسل الملك عيسى جيشا من الشام  
لمساعدة الامير سالم بن قاسم امير المدينة لقتال الشريف قتاده وفى اثناء المعركة  
توفى الامير سالم مما ادى الى تفكك الجيش فاستطاع قتاده ايقاع الهزيمة  
به . وعلى اثر مقتل قتاده دخلت امارة مكة فى نزاع بين الاخوة ابناء قتاده (١)

اما امراء المدينة فلم تحدثنا المصادر عن أى خلاف حدث بينهم وبين  
ابناء قتاده بن ادريس سوى انهم كانوا مواليين للايوبيين .

وعلى اثر سقوط الدولة الايوبية فى مصر وقيام دولة بنى رسول فى اليمن  
أعلن امراء المدينة فى سنة ٦٤١ هـ دخول طاعتهم تحت سلطان بنى رسول  
سلاطين اليمن .

وخلاصة القول ان اشراف المدينة الحسينيين امتاز حكمهم بعدم  
تدخلهم فى شئون امارة مكة اللهم الا ما حدث فى عهد أبى الفتح وابنه شكر  
فى عهد مكثر وكتاده ولم تحدث اية خلافات بعد ذلك فيما بينهم وبين اشراف  
مكة حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

\* \* \*

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ٢/٢٣٢ ، الجزيرى : درر القوائد ٢٦٩  
السباعى : تاريخ مكة ١/١٨٢ ، انظر تفصيل ذلك فى النفوذ الايوبي .

### القبائل العربية

من المعلوم أنه بعد انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر بدأ القرامطة التابعون للخليفة الفاطمي يهددون طريق ركب الحاج العراقي حتى استطاعوا سنة ٣٦٠ هـ منع حاج المشرق الدخول الى مكة . وقد سار على منوالهم بعض القبائل التي تقطن هذا الطريق فأصبحوا يطالبون الحجاج بالكوس كما يفعل القرامطة . (١)

وقد ظل القرامطة يملأون طريق ركب الحاج العراقي بالرعب والمخاوف حتى سنة ٣٩٨ هـ ان استطاع الخليفة العباسي اعداد حملة عسكرية لايقـفـاف القرامطة عن اعتداءاتهم .

ومنذ سنة ٤٠٣ هـ بدأت قبائل بني سليم وطى ، وبنى هلال تخرج لاعتراض ركب الحاج العراقي حتى سنة ٤٢٤ هـ ان استطاع الامير أبو الفتح محاربة هذه القبائل التي تهدد طريق أمن الحاج العراقي . (٢)

وعند ماتوفى أبو الفتح خلفه ابنه شكر بدأت اعتداءات القبائل السالفة

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٣٠ .  
الفاسي : شفاء الخرام ج ٢ ص ١٩٧ .  
الجزيري : درر القوائد ص ٢٤٤ .  
(٢) الجزيري : درر القوائد ص ٢٤٤ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٧٠ .

الذكر على طرق الحاج ولكن شكر استطاع أن يرد عصيان هذه القبائل  
تارة باللين وأخرى بالشدة حتى أنه ألقى القبض على مشايخ هذه القبائل  
لهذا يصفه أكثر مؤرخي مكة بأنه كان يتمتع بياس شديد . (١)

على أثر انتقال الحكم الى أسرة الهواشم تلاحظ أن السليمانيين اتحدوا  
مع قبائل حرب وخرجوا على أبي هاشم محمد بن جعفر ولكنه استطاع  
تأديبهم وقضى على بني سليمان بقيادة حمزة بن دهاش . ولقد ظل أبو هاشم  
يحارب هذه القبائل حتى استطاع القضاء عليهم سنة ٤٦٨ هـ ويؤكد هذا  
القول ابن الأثير وابن فهد حيث يقولان أن أبا هاشم ظل يحارب هذه  
القبائل ما يقرب من أربع سنين . (٢)

ومع بداية ولاية القاسم بن هاشم سنة ٤٨٤ هـ اعتدت القبائل

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢٠ .  
القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٧٣ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢١ .  
ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١١٠ .

على الحجاج أثناء خروجهم من مكة فعاد الحجاج الى أمير مكة يخبرونه  
بما حدث فلم يستجب لهم وحينما بلغ الخليفة العباسي بذلك أرسل السلي  
مكة حملة بقيادة اصيهيد بن سارتيين الذي استطاع أن ينتزع مكة من  
القاسم . (١)

ولقد استطاع القاسم بمناصرة القبائل له أن يعود مرة ثانية الى مكة  
ويجلى عنها الاضيهد القائد العباسي في سنة ٤٨٧ هـ ومن هذا التعاون  
الذي تم بين القاسم والقبائل يتضح لنا تشجيع القاسم للقبائل العربية لتعتدي  
على الحجاج وزيادة الفوضى والاضطرابات المختلفة داخل مكة وخارجها .  
(٢)  
وعندما تولي خليفة بن القاسم أمر مكة قضى على فتنة الاعراب  
المختلفة وأصلح بين الاشراف وهدأت الاضطرابات في مكة ويعتبر

- 
- (١) القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٤ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف : ٩٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٥ .
  - (٢) الجزيري : درر الفوائد ص ٢٦٨ .
  - دحلان : خلاصة الكلام ص ٣٦ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٦ .

عہدہ العصر الذہبی لحکومتہ الاشراف عموماً وقد توفی سنۃ ٥٢٧ ھ<sup>(١)</sup>  
وما أن تولى أمركة هاشم بن فليته حتى عادت الفوضى والاضطرابات  
مرة أخرى لأنه بدأ عہدہ بمناصرة القبائل العربية حتى اعتدت هذه القبائل  
على قافلة من التجار أتت من مصر وحينما علم الأفضل وزير الديار المصرية  
بذلك أراد أن يقضى على الأمير هاشم ولكنه أرسل وفداً للاعتذار بقيادة عمارة  
اليمنى الشاعر ثم مالبث أن عاد وحرض القبائل على نهب التجار مما زاد الأمر  
سوءاً<sup>(٢)</sup> .

ولقد حرض الأعراب في سنة ٥٤٣ ھ على أن يأخذوا من الحج—اج  
مكسين أحدهما له والآخر لهم مما ساعد على زيادة نشوب الاضطرابات والفتن<sup>(٣)</sup>  
ولقد توفى هاشم بن فليته في سنة ٥٤٣ ھ وخلفه ابنه القاسم وفـى

- 
- (١) الجزيري : درر الفوائد ص ٢٦٧ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٧ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٧ .  
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١ ص ٢٧٠ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٨ .  
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٧٨ .  
القاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٨٤ .

عنده عادت الفتن الى الظهور وانتهت بخروجه من الامارة نتيجة لتغلب  
عمه عيسى عليه ولكن القاسم عاد مرة أخرى سنة ٥٥٧ هـ وظل على الامارة  
الى أن انتهى الأمر بتولية عمه مالك بن فليته سنة ٥٦٥ هـ ثم تغلب عيسى  
على مالك وأخيراً استقر الأمر الى مكث بن عيسى الذي تولى أمر مكنة  
بأمر من الخليفة العباسي الناصر لدين الله ولقد قضى مكث في بدايته  
ولايته على القبائل التي كانت لها سيطرة كاملة في البلاد . (١)

وعند ما حلت سنة ٥٨٢ هـ أوقع الأعراب فتنة بين الحاج العراقيين  
والشاميين يوم عرفه ووقف أمير مكنة مناصراً للحاج الشامي ضد طاشتكين  
أمير الحج العراقي وانتهى اليوم بوقوع معركة دامية بينهم وقد أخبر طاشتكين  
الخليفة العباسي بما حدث من مكث فجهزه بجيشه في سنة ٥٨٦ هـ من  
أجل القضاء على مكث ولكن بمناصرة القبائل العربية استطاع مكث التصدي  
لهذا الجيش فلجأ الخليفة العباسي الى تحريض الأشراف ضد مكث حتى  
استطاع الشريف قتاده بن ادريس أن يجمع جموعه وينتزع اماره مكنة

---

(١) القاسم : تحصيل المرام ورقة ٨٤ .  
الجزيري : درر الفوائد ص ٢٢٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٩ .

من أسرة الهواشم سنة ٥٩٧ هـ. (١)

من المعلوم أن الشريف قتادة استطاع بمناصرة قبيلتي جهينه والرحله أن يدخل مكة سنة ٥٩٧ هـ ويستتبله الأمر فيها ولقد بدأ عهدَه بالقضاء على القبائل العربية التي كانت تناصر الشريف مكثراً وأخاه داود ووطئ أمور أمارته حتى أنه ذهب بحملة عسكرية لرد القبائل العربية التي كانت تقطن طريق مكة المدينة واستطاع تأديبهم. (٢)

ولقد ذهب في سنة ٦١٣ هـ إلى الطائف لتأديب قبائل ثقيف وهوازن واستطاع أيقاع الهزيمة بهم وأيضاً دار قتال غيف بينهم وبين قبائل عوف خارج الطائف وبهذا استطاع قتاده أن يلحق الرعب في قلوب القبائل التي تقطن القرى والمدن المجاورة لمكة وانتهت حياته بقتله على يد ابنه الحسن. (٣)

- 
- (١) الجزيري : درر الفوائد ص ٢٧٢ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٩ .
  - (٢) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٨ .
  - الجزيري : درر الفوائد ص ٢٧٣ .
  - ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٨ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٩٠ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٩ .
  - الجزيري : درر الفوائد ص ٢٨٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٠٤ .



وبعد أن قتل الشريف قتاده دب النزاع بين ولديه الحسن وراجه حيث  
حاول كل واحد منهما استمالة مجموعة من القبائل اليه للقضاء على أخيه  
وظل الصراع مستمرا بين الأخوين إلى أن استتب أمر مكة إلى محمد أبى  
نبي الأول سنة ٦٦٧ هـ الذى استطاع أن يواءم جميع القبائل  
العربية ويسيطر عليهم ليضمهم تحت لوائه وقد سبق التحدث عن هذه  
الخلافت فى الصراع بين الأيوبيين ونفى رسول فى الحجاز فى هذا  
الفصل •

\* \*

### المكوس :

إذا كان الفاطميون قد أعطوا أقاليمهم من العلويين حكم الحجاز  
لكي يقوموا بالدعاء باسم الخليفة الفاطمي على منابر الحرمين الشريفين  
ليعطيههم بذلك صفة السيادة الشرعية على العالم الاسلامي . فان تلك  
السيادة تعرضت الى مناقشة الخلافة العباسية كما سبق بحثه تفصيلا من  
ناحية ، كما أنها من ناحية أخرى ارتبطت تماما بما تعهدت به الخلافة  
الفاطمية من ارسال الاعطيات السنوية التي تمكن أشراف مكة بالذات من  
توطيد حكمهم .

وعلى هذا فقد تحدد ولاء الأشراف لأى من الخلافتين على أساس  
ورود تلك الاعطيات أو انقطاعها . كما أعطاهم الحق في فرض المكوس  
على الحجاج والتجار الوافدين في الموسم لتعويض من ينقطع من مال . تلك  
السياسة التي جلبت كثيرا من الاضطرابات من جراء فرض المكوس أو الغائها .  
وتستدل على ذلك بما جاء من أخبار تربط بين تلك المظاهر الثلاثة ، الدعوة  
لأى من الخليفتين على أساس ما يرد من أيهما من عطاء أكثر اغراقا ، وفرض  
المكوس على من هم تابعين لمن انقطع من قبله ذلك العطاء .

ولقد بدأ تلك السياسة أول الحكام الأشراف من بنى سليمان . فلقد

فرض الشريف جعفر بن محمد على الداء باسم الخليفة العباسى دون  
الفاطميين التى انقطعت أعطائهم وعوض ذلك فرض المكوس على حجاج  
وتجار مصر والشام دون غيرهم من الركب العراقى . مما دفع الخليفة  
العزىز الفاطمى الى ارسال حملة عسكرية بقيادة باديس بن زيرى الصنهاجى  
عام ٣٦٧ هجرى لاعادة الخطبه ورفع المكوس (١) .

وسبب انقطاع الاعطيات لعدم ورود الحاج العراقى لجأ الشريف  
أبو الطيب بن داود الى فرض المكوس عام ٤٠٢ هجرى (٢) . ثم ألغاه  
الشريف أبو الفتح بن جعفر بعد عودته الى منصب الشرافة ، وسار مسيرة  
حصنة بين الناس . غير أنه اضطر الى فرض المكوس فى الفترة فى عام  
٤٢٢ وحتى وفاته سنة ٤٣٠ هجرى واستمر ابنه الشريف شكر فى فـى  
فرض هذه المكوس حتى ألغاه عام ٤٤٩ هجرى نظرا للرخاء الذى أصاب

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٩ .

ابن خلدون : العبر ج٤ ص ١٠٠ .

دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .

الجزيزى : درر القوائد ص ٢٤٦—٢٤٧ .

(٢) دحلان : خلاصة الغلام ص ٢٤ .

مكة بوصول الاعطيات له وللاهلالي من كلتا الخلافتين العباسية والفاطمية (١) .

كذلك نرى مما ذكره المؤرخون عن أعمال علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن الذي أتى عام ٤٥٥ هجرية وتم على يديه نقل الحكم الى عميد الهواشم محمد بن جعفر ، أن هناك مظالم على الحجاج والتجار رفعهم الصليحي ومكوسا ألغاها باغفاق مع ذلك الشرف (١) ومع ذلك فقد أعاد الشرف محمد بن جعفر وفرض المكوس عام ٤٦٢ هجرية لانقطاع أعطيات الخليفة الفاطمي ثم ألغاها في السنة التالية بوصول أعطيات الخليفة العباسي (٢) واستمر في هذا الاضطراب في فرض المكوس حتى نهاية عام ٤٨٤ هجرية (٣) حيث فرض الشرف القاسم بن محمد بن جعفر المكوس على الحجاج والتجار بسبب

- 
- (١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٠٣٥  
الغساني : العجسد السبوك ٠٢١٠  
ابن الربيع : قرة العيون ج١ ٠ ١٤٣  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٠ ١٨٩  
(٢) الجزيري : دور الفوائد ٠٢٥٥  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٠ ١٩٠  
(٣) الجزيري : دور الفوائد ٠ ٢٥٦

نقص الاعطيات وقبل أن ركب الحاج المراقى لم يفد في عهده لعدة سنوات مما أدى الى ازدياد الأزمنة واستمرار المكوس حتى رفعها عام ٥١٤ هجرية عند وصول أعطيات الخليفة الفاطمي (١) .

ومع كل فان المصادر تشير الى ما قام به الشريف فليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٢ هجرية من اصلاحات استمرت طوال عهده وهي الغاء جميع المكوس التي فرضها آباؤه وأجداده من قبل ، وأحسن معاملة الاهالى عموماً ، وسار فيهم سيرة حسنة ، كما أصلح شئون الامارة وعمل على نشر الأمن والاستقرار فيها (٢) وعلى العكس من ذلك كان ابنه هاشم بن فليته الذي استهزل عهده بفرض المكوس على الحجاج والتجار مما أدى الى اضطراب الأمن في مكة . وكذلك كانت سياسة خلفه القاسم بن هاشم في فرض المكوس على الحجاج والتجار . وزاد عام ٥٥٢ هجرية الاعتداء

---

(١) المقرئى : الفاظ الحنفا ج٢ ٢٢٤ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٥ ٨٤ .

الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٦ .

(٢) المقرئى : الفاظ الحنفا ج٢ ٢٢٩ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٥ ٩٣ .

الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٧ .

السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٩٣ .

على التجار وأعيان مكة ومصادرة أموالهم مما ألجأ هؤلاء إلى الاستنجاد  
بعمه عيسى بن فليته الذي قام بطرد القاسم من مكة وإعادة الأموال المصادرة  
والغاء جميع المكوس التي فرضت على الحجاج والتجار ، وتولى عيسى بن فليته  
أمر مكة (١) .

ومن العجل أن نسمع عن قورة ضد هذا الشريف المصلح من جانب  
أخيه مالك عام ٥٦٥ هجرية بفرض إعادة المكوس على الحجاج والتجار واستمر  
في ذلك عاما واحدا حيث عاد عيسى بن فليته عام ٥٦٧ هجرية إلى ولايته  
ودخل في طاعة الأيوبيين (٢) .

ومع كل فان أشراف مكة كانوا يعتبرون المكوس موارد مالية رئيسية لهم  
يتعذر إلغاؤها بسبب ما ينقطع أو ينقص من أعطيات واردة من بغداد أو القاهرة .  
ولم يقبل عيسى بن فليته مبدأ صلاح الدين في إلغاء المكوس كافة إلا على

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ٢٣٩ .

القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ٢٣٣ .

ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٠ .

(٢) القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ٢٣٣ .

دحلان : خلاصة الكلام ٣٨ .

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٦ .

أساس تعهد صلاح الدين بضمان ارسال أموال وسلع غذائية لشريف مكة كل عام (١) .

غير أن تدخل الخلافة العباسية في شئون التولية والعزل بين داود ومكثر ابن عيسى بن فليته مما أدى الى عزل داود تولية مكثر والتجاء الاخير أمام هذا التدخل العباسي أو توقعاته ضد ه الى اجراءات عدة تحصينات للدفاع عن امارته كلفته أموالا كثيرة فعمد الى مخالفة اتفاق أبيه السابق مع الايوبيين وفرض المكوس (٢) .

وجلبت تلك المخالفة لاتفاقية الغاء المكوس الى تعرض مكثر بن عيسى الى عداة سافر من جانب كل من الخلافة العباسية وصلاح الدين ، فلما أرسلت الخلافة العباسية حملة بقيادة طاشتكين أدت الى قتلى وجرحى من الطرفين ، ونهب الحجاج ومصادرة أموال التجار ، وانتهت بعزل مكثر واعادة أخيه داود عام ٥٧١ الى اماره مكة مرة أخرى فألغى المكوس ،

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢٧٣ .

الفاسي : العقد الثمين ج١ ١٧٠ .

(٢) دحلان : خلاصة الكلام ٣٤ .

السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٩١ .

وأعاد الحجاج آمين كما سبق ذكره " انظر الهامش فصل النزاع بين  
الاشراف " فان مكشرفا فاس اخاه وتولى منصب الامارة مرة ثالثة وما لبثت  
أن عاود سياسته في فرض المكوس (١) .

كذلك جاء سيف الاسلام طغتكنا أخو صلاح الدين حين عودته الى  
اليمن لأداء فريضة الحج موسم ٥٨١ هجرية فاصدر مكشرفا وأمره الى سادن  
الكعبة بغلقه بابها أمام سيف الاسلام بسبب ما كان بينها من خلاف حول  
أخذ المكوس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب جده . فتعرض  
مكشرفا للتأديب وأعيد أخوه داود لامرة مكشرفا فترة الى أن تغلب عليه مكشرفا  
مرة أخرى عام ٥٨٧ هجرية وانفرد بامارة مكة مدة عشر سنوات حتى عام  
٥٩٧ هجرية حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثالثة من اسرات الاشراف  
بتحريض من الخلافة العباسية ورضى من الايوبيين (٢) .

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ٠٢٣٥  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٠٩٤  
(٢) الطبرى : الأجر المسكى ورقه ٠٤٤  
الجزيرى : درر الفوائد ٠٢٥٨  
دحلان : خلاصة الكلام ٠٤١



وإذا كان قتاده بن ادريس أول أشراف هذه الاسره الحاكمة الجديدة قد ألغى المكوس حسب سياسة الايوبيين . فانه على أثر حدوث خلاف بينه خلافا حدث بينه وبين أمير الحج العراقي سنة ٦٠٧ هجرية أدى الى نشوب قتال بينهما (١) .

وفي العام التالي حصل الشريف قتاده بن ادريس من الركب العراقي مكوسا بلغت جملتها ثلاثين الف دينار واستمر في فرض المكوس على الحاج العراقي فقط (٢) .

وقد حاول الخليفة العباسي التقرب الى شريف مكة بأن أرسل اليه الخلع والاموال وطلب منه التقدم الى بغداد . غير أن قتاده رفض هذا الطلب اذ شك في الأمر وتوقع الشر . وبدأ في أخذ الاستعدادات الحربية للدفاع اذ توعد الخليفة بارسال جيش لقتاله . ووصل جيش الخلافة العباسية في العام التالي الى المدينة المنورة فتصدى له ال مهني أشراف المدينة بناء على اتفاق مسبق مع شريف مكة . وكان أن حلت الهزيمة

---

(١) انظر فصل العلاقة بين الاشراف .

(٢) الفاسي : عقيل المرام ورقه ٨٤ .

الجزيري : درر الفوائد ٢٦٠ .

بجيش الخليفة فانسحب عائدا الى بغداد دون التوجه الى  
مكة (١) .

ومعد أن تعرض الشريف قتاده بن ادريس بالقتل على يد ابنه الحسن  
عام ٦١٧ هجره في ظروف صراعه مع أشرف المدينة ، وتولى الحسن بن قتاده  
أمرة مكة بادر بالغاء المكوس على الحجاج والتجار . واستمر هذا الالغاء  
ساريا مع بداية النفوذ اليمنى بالحجاز حتى عهد عمر بن رسول ثم ياقوت  
المسعود ثم الشريف واجح بن قتاده . ثم طادت هذه المكوس في ظروف  
الصراع بين الايوبيين ومنى رسول حول السيادة في الحجاز حتى عام  
٦٣٩ هجره حين أمر ثور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسولية  
باليمن الى الغاء المكوس والجبايات عن الحجاج والتجار حتى نهاية الحقبة  
الزمنية لهذا البحث .

\*\*\*

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ٢٩٠ .  
ابن واصل : مفتح الكروب ج٣ ٢١٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٩٤ .

## التنافس بين الاييمين ومنى رسول حول النفوذ فى الحجاز

لم يتعرض النفوذ الايوى للحجاز لئى منافسه خارجيه فترة من الوقت حتى بدأ  
التدخل اليمنى . وجاء ذلك فى ظروف الخلاف بين الاخوين من بنى قتاده فاستنجد  
أحدهما بالفرع الأيوى الحاكم باليمن فأرسل الملك المسعود الايوى قوة عسكرية  
استطاعت السيطرة على مكة عام ٦١٩ هجرية وتولى الامارة فيها نور الدين عمر  
ابن رسول ومعه الشريف راجع بن قتاده (١) .

ويبدو أن سلطان هذا الشريف لم يكن شيئاً مذكوراً أمام سلطان عمر بن رسول  
نائب الملك المسعود ملك اليمن بل ان هذا الاخيه رأى يأخذ يباشر سلطة العزل والتولية  
عام ٦٢٠ هجرية حين استدعى نائبه عمر بن رسول وعين مكانه الامير صام الدين ياقوت  
المسعودى الذى أطلق عليه نفسه أمير الحج والحرسين ومتولى أمر الجند بمكة

- 
- (١) الطبرى اتحاف فضلاء الزمن ورقه ٣٩ .  
ابن الربيع : قرّة العيون ج٢ ٨ .  
الخزرجسى : العقود اللؤلؤيه ج١ ٤٩ .  
يحيى بن الحسين : غايۃ الامانى ج١ ٤١٠ .  
عليان : الحياة السياسية ٣٠ .  
محمد بهجت : الصلات السياسية ١٨٩ .

ومدير أموالها (١) .

وفي عام ٦٢٦ هجرية عزم الملك المسعود الأيوبي الذهاب الى مصر وعين  
على اليمن نور الدين عمر بن رسول ورحل الى مصر عن طريق الحجاز وفسى  
طريقه أصيب بمرض أدى الى وفاته ودفن بمكة المكرمة بناءً على وصيته وعلى أثر  
وفاته أعلن نور الدين عمر بن رسول نفسه ملكاً على اليمن وولى ياقوت المسعودي  
نائباً عنه على مكة وبدأ عهد جديد في بلاد الحجاز كي يبدأ حكم بني رسول  
باليمن والحجاز دون الأيوبيين (٢) .

ولم يكن السلطان الكامل الأيوبي يرضى عن ضياع النفوذ الأيوبي بالجزيرة  
العربية فكان أن جهز جيشاً بقيادة طغتكين عام ٦٢٧ هجرية أرسله الى

- 
- (١) الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ورقه ٤١ .  
المقريزي : السلوك ج١ ٣٠٠ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢١٤ .  
القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ٨١ .  
عليان : الحياه السياسيه ٣٣ .  
(٢) الفسائي : المسجد المسبوك ٢٩٥ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤيه ج١ ٥٠ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج١ ٤٢١ .

الى مكة للاستيلاء عليها والقضاء على اليمنيين فيها فاستطاع طغتكين أن يحقق  
هذا النصر معلنا الخطبه للسلطان الكامل الأيوبي (١) .

ولم يهنا طغتكين طويلا ذلك أن ابن رسول أعد جيشا سنة ٦٢٧ هجرية  
لاستعادة مكة وجعل قيادته بين الشريف راجح بن قتاده الذي استمال اليه  
رؤساء مكة لتذكيرهم بما فعله نور الدين عمر بن رسول من أعمال حميدة حينما  
كان واليا على مكة وحين أحسن طغتكين بقرب هذا الجيش وأنه لن يستطيع  
له دفعا ، فضل تجنب الهزيمة فترك مكة هاربا الى ينبع ودخل راجح مكة وخطب  
فيها لسلطان اليمن نور الدين عمر بن رسول الذي بعث له على أثر ذلك الاعطيات  
والخلع وجعله واليا على مكة (٢) .

أما طغتكين الأيوبي فقد أرسل مبعوثا الى مصر أبلغ السلطان الأيوبي  
بما حدث له ووصلت النجدة فأعد السلطان جيشا كبيرا بقيادة الأمير فخر الدين

- 
- |               |                |       |
|---------------|----------------|-------|
| (١) الفاسي :  | شفاء الغرام ج٢ | ٢١٤ . |
| السباعي :     | تاريخ مكة ج١   | ٢٠٩ . |
| باقاسي :      | بلاد الحجاز    | ٧٠ .  |
| (٢) الغساني : | المسجد المسبوك | ٢٩٧ . |
| المقرزي :     | السلوك ج١      | ٣١٠ . |
| السباعي :     | تاريخ مكة ج١   | ٢٠٩ . |

شيخ الشيوخ وطلب من أمير ينبع أبو سعيد ومن أمير المدينة شـيـحـه  
ابن قاسم الانضمام الى الامير فخر الدين وطغتكين ومساعدتهما في استرداد  
مكة وتمكن هذا الجيش الايوبي من دخول مكة ومحاصرة قوات بني رسول فيها  
وأُنزل بهم الهزيمة وخطب فيها للملك الكامل سنة ٦٢٧ هجرية بألقاب  
سلطان القبلتين وخدام الحرمين الشريفين أبو المعالي محمد الملك الكامل  
ناصر الدين خليل أمير المؤمنين (١) .

غير أن الحرب استمرت سجالات بين الايوبيين وبين رسول حول السيطرة  
على الحجاز ففي شهر ربيع الثاني سنة ٦٢٨ هجرية جهز الملك المنصور  
نور الدين عمر بن رسول صاحب اليمن جيشا بقيادة أبي عبد الله ومعه الأمير  
واجح للاستيلاء على مكة فاستطاعوا محاصرة الجيش الايوبي فيها مما أدى  
الى فرار قادة الجيش الايوبي الى وادي نخلة في طريق مكة الطائف ،  
وانتهز الأمير واجح بن قتاده هذه الفرصة ودخل مكة واحتلها بالجيش

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٠٢١٥  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٠٢١١  
السليمان : العلاقات الحجازية ٠٣٤  
ياقاسي : بلاد الحجاز ٠٧٠  
عليان : الحياة السياسية ٠٥١

اليمنى وأعلن سكانها الولاء والطاعة وخطب فيها لصاحب اليمن الملك المنصور نور الدين ابن رسول للمرة الثالثة (١) .

وفى السنة التالية جهز الايوبيون جيشا فى شهر جمادى الآخرة بقيادة الامير طغتكين أيضا وأستولى على مكة وفرضها الشرف راجح وأبو عبدالله قائد الجيش اليمنى وهرب باقى الجيش معهم (٢) .

وما أن بلغت أخبار هذه الهزيمة صاحب اليمن الملك المنصور حتى بادر باعداد حملة عسكرية كبرى فى نفس السنة لكنها لم تستطع مواجهة جند الايوبيين المرابطين فى مكة فعادت الى اليمن دون أن تحقق أهدافها (٣) .

---

(١) الغسانى : المسجد المنيوك ٢٩٧ .

الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٥١ .

المقريزى : السلوك ج١ ٣١٤ .

الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٩ .

الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢١٣ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٤ .

الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢١٣ .

السباعى : تاريخ مكة ج١ ٢١٥ .

ياقاسى : بلاد الحجاز ٧٢ .

(٣) الغسانى : المسجد المنيوك ٣٠١ .

الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٣ .

الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٩ .

الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢١٥ .

ومذ لك عادت أماره مكه معلنة ولاءها لطاعة الايوبيين وطاد السبي

(١)  
امارتها الامير طغتكين جعلنا الخطه للسلطان الايوبي حتى ٦٣٠ هجره .

وفي السنة التالية جهز صاحب اليمن حملة عسكرية بفيادة الشرف

راجح بمن قتادة الذي تمكن من القضاء على الجيش الايوبي فيها وقد رأى

الملك المنصور أن سيطرته على مكه لا بد وأن تأخذ الصبغة الشرعية لذلك

بعث في نفس السنة الى الخليفة العباسي طالب منه أن يقلده بلاد اليمن

والحجاز ويرسل له كتاب التقليد والخلع فاستجاب الخليفة له وأرسل له تقليدا

بولاية اليمن والحجاز في العالي التالي (٢) .

وعلى أثر ذلك أخذ الملك المنصور نور الدين بن رسول صاحب

اليمن يقوم ببعض الاعمال التي تمكنه من السيطرة على مكه اذ بدأ في ارسال

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢٥٥ .

الطبري : اتحاف فضلا الزمن ورقه ٣٦ .

القصاني : المسجد المسبوك ٣٠٢ .

عليان : الحياة السياسية ٥١ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ج١ ٤٢٢ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٢ .

ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٨ .

الفاسي : العقد الثمين ج١ ٢٤٤ .



أعطياته الى أمير مکه راجح بن قتاده كما أرسل اليه الخلع من اليمن  
وأغدى فى توزيع الاموال على سكان مكة ليكسب ولاءهم له (١) .

وفى سنة ٦٣٢ هجرية أرسل الأيوبيين قوة عسكرية بقيادة خمسة من  
الأمراء يرأسهم القائد أسد الدين جفريل فاستطاعت هذه القوة من محاصرة  
الأمير راجح بن قتاده فى شهر رمضان مما جعله يترك مكة ومعه جند اليمن  
متجهين الى اليمن .

وتولى أمر مکه الأمير جفريل نيابة عن السلطان الأيوبي الكامل ولكن  
أما مکه لم تستقر أمورها له دون متاعب وحينما علم نور الدين صاحب اليمن  
استعد بقوة عسكرية لاسترداد مكة (٢) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٣ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ١٠ .  
المقريزى : السلوك ج١ ٢٥٠ .  
القاسى : العقد الثمين ج١ ٢٤٥ .  
عليان : الحياة السياسية ٥٦ .  
(٢) المقريزى : السلوك ج١ ٢٥٤ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج١ ٤٢٣ .  
بهجت : الصلات السياسية ١٨١ .

وفى السنة التالية جهز نور الدين جيشا بقيادة الشهاب بن عبدالله  
يرافقه الامير راجح وأرسل معهم الاموال ليستميلوا أهل مكة ضد جيش  
الايسيين المرابط فى مكة . وحينما بلغت مسامع هذا الجيش جعفريل هرج  
لملاقاته ودارت معركة حامية الوطيس أسرف فيها القائد اليمنى الشهاب  
ابن عبدالله ومعت به الى القاهرة وفى الامير راجح (١) .

وفى السنة التالية عاد الملك المنصور صاحب اليمن بارسال حملة عسكرية  
أخرى من اليمن واستطاع جعفريل أن يخرج لملاقاتها والقضاء عليها وأنزل بهم  
هزيمة تكرا . وحينما علم المنصور بهزيمة الجيش أعد حملة فى سنة ٦٣٥ هـ  
قادها بنفسه ويرافقه الامير راجح ومعهم ألف فارس واستطاع الامير راجح أن  
يدخل مكة وعسكر الملك المنصور نور الدين بجزء من الجيش خارج مكة فى مكان  
يقال له السرين (٢) . وذلك تمكن راجح من القضاء على الامير

---

(١) ابن واصل : مفتح الكروب ج٣ ٢٢٢ .

الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٦ .

يحيى بن الحسين : غاية الامانى ج١ ٤٢٥ .

ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ١٢ .

(٢) السرين مكان يقع بين مكة واليمن ويوجد به أسواق وهى محطة من محطات  
طريق ركب الحاج اليمنى .

انظر ياقوت : معجم البلدان ج٣ ١٢٠ .

ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ١٨ .

الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٧٨ .

جفريل نائب الايوبيين فى مكة وأجلى عسكر الايوبيين عن مكة (١) .

وعلى أثر هذا الخبر الذى وصل الملك المنصور وهو فى السرين دخل مكة معتمداً مع باقى فرقة جيشه المرابطة معه فى شهر رجب . أما الامير جفريل فقد فر حتى وصل المدينة المنورة واختبأ لدى أمير المدينة اذ بلغه أن السلطان الملك الكامل الايوبي قد توفى وخلفه على سلطنه مصر والشام ابنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذى أمره بالبقاء عند أمير المدينة وأرسل له جيشاً يتقدمه ألف فارس فى سنة ٦٣٧ هجرية وعلى رأسه الامير شيهه أمير المدينة وتمكن هذا الجيش من دخول مكة بدون قتال بعد أن أخليت عن عسكر المنصور صاحب اليمن حينما رأى قوة الجيش الايوبي وضخامة اذ خافوا من الهزيمة وخرجوا من مكة وعلى أثر ذلك خطب على منابر مكة للسلطان الملك الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل الايوبي (٢) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ٥٩ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج ٢ ١٣ .  
القوصى : تجارة مصر ١٦٩ .  
بهجت : الصلات السياسية ١٨٣ .  
(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ١٨٩ .  
ابن واصل : مفتح الكروب ج ٣ ١٠٢ .  
المقرئى : الخطط ج ٢ ٨٦ .  
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ٩٥ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ٣٥ .

وقد بلغت هذه الاخبار مسامح الملك المنصور نور الدين فغضب  
وقرر أن يسترد أمانة مکه بقيادة الامير راجح أيضا وأن يقود الجيش بنفسه  
هو وحينما رأى الامير شيحه هذا الجيش والامير جفيل فروا من مکه وعادوا  
الى السلطان الصالح فجهزهم الملك بقوة كبيرة كثيرة العدد والعدة بقيادة  
الامير شيحه ومعه قائدین آخرين هما علم الدين الكبير، وعلم الدين  
الصغير وتم ذلك سنة ٦٣٨ هجرية (١) .

ومن المفيد ذكره أن هذا الأمر لم يرض السلطان نور الدين ففى العام  
التالى جهز جيشا جارا الى مکه ولما بلغت مسامح وصوله الى رجال  
الايميين فى مکه أرسلوا الى سلطانهم بمصري يطلبون منه النجدة فأرسل  
اليهم مائة وخمسين فارسا بقيادة مبارز الدين برطاس وعسكر رجال الملك  
المنصور فى السرين ومعثوا الى الملك المنصور بخبرونه بتجهيزات الايميين  
ويطلبون منه النجدة والعون فقاد الجيش الملك المنصور بنفسه حتى تمكن

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٥ .  
الغسانى : المسجد المسبوك ٣٠٥ .  
المقريزى : السلوك ج١ ٣٠٢ .  
القاسى : العقد الثمين ج١ ٣٤٦ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٠ .

من دخول مكة بقواته الضخمة ولأن الجيش الأيوبي بالفرار من مكة وعلى أثر هزيمتهم في شهر رمضان سنة ٦٣٩ هجرية دخل الملك المنصور صاحب اليمن مكة وصام بها رمضان وألغى المظالم التي انتشرت بسبب التنافس والحروب التي حدثت في هذه السنوات بين القوتين الأيوبيه والرسوليه (١).

وهذا استطاع الملك المنصور صاحب اليمن أن يثبت حكمه في مكة وعلن اسمه على منابر المسجد الحرام كما أنه أصلح دار إمامة مكة لأن الأيوبيين قد خربوه ونى على بشر رمزم قبه مقابلة للحجر الأسود وولى على مكة ابن المسيب (٢).

وقد فضل الأمير بابر الدين علي بن الحسين بن برطاس قائد القوات

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢٥٥٠  
العقريزي : السلوك ج١ ٣١٠  
" : الذهب المسبوك ٨٠  
الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢١٧  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٣  
(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٨ ١٧٦  
" : شفاء الغرام ج٢ ٢٢٠  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٥  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١١٣

الايهين أن يبايع الملك المنصور نور الدين لتغلبه على جيشهم فأُنعِمَ عليه  
الملك المنصور وعلى باقي الجيش الايهي حتى أن باقي القوات الايوية المربطة  
في ينبع باتعب الملك المنصور وأيضاً قدم والى مدينة ينبع أبو سعد عيسى  
يمن قتاده ولاءه للسلطان المنصور وهذا انتهى التنافس الايهي ففى  
الحجاز وأصبحت مكة ونبع تابعة لنبى رسول (١) .

وفى السنة التالية أمر الملك المنصور بعزل ابن المسيب عن ولاية  
مكة وعين مملوكه الامير لخرالدين بن شلاج نائباً عنه فى مكة . أما القسرى  
المجاورة لمكة ونبع فأُسند امارتها للشريف أبى سعد على بن قتاده صاحب  
ينبع وطاد فى آخر هذه السنة الى اليمن (٢) .

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٦ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٥ .  
القاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢٢١ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ١٨ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١٣٢ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٧ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٦ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٢٠ .

وفى سنة ٦٤٦ هجرية عزل الملك المنصور الامير فخر الدين الشلاج  
أمير مکه وأعاد ابن المسيب أميراً عليها الذى عاهد الملك على أن يلتزم بتطبيق  
جميع التعليمات التى يأمر بها السلطان المنصور غير أنه لم يلتزم به—  
المعاهدة واستبد بالأمر واستولى على الصدقات التى كانت تصل لفقراء  
مکه وشيد حصناً منيعاً لحماية نفسه واستطاع أن يوجد قبائل هذيل تحت لوائه  
كما أنه هدم الاسطوانه التى بناها الملك المنصور وكتب فيها أمره بالغناء  
المكوس والجبايات عن الحجاج وأعاد فرض المكوس (١) .

وقد حرك سلوك الامير ابن المسيب السخط والغضب لدى سكان  
مکه والحجاج فطلب سكان مکه من الامير ابنى سعد على بن قتاده فأتى الى  
مکه واستطاع القضاء على ابن المسيب وألقى القبض عليه واجتمع بأعيان مکه  
فقال لهم " انى قد تخفقت انه يريد الهرب ببال السلطان الى العراق  
فالعال عند محفوظ والخيول والرجال محاصرون ببرجالى حتى يصل مرسوم السلطان (٢)  
"

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٧ .  
يحيى بن الحسين : غاية الامانى ج١ ٤٣١ .  
المقريزى : السلوك ج١ ٣٣٢ .  
(٢) يحيى بن الحسين : غاية الامانى ج١ ٤٣٣ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٢٦ .  
الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢١٩ .

غير أنه بعد أيام يسيرة من هذه الاحداث وصلت الاخبار بوفاة  
الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسولية في اليمن في  
قصر الجند بمدينة المنصوره ليلة التاسع من ذى الحجه سنة ٦٤٧ هجرية  
ونقل جثمانه ودفن بتعرا (١) .

كان الملك المنصور يتمتع بصفات جمه منها الكرم والشجاعه وحزم  
المواقف وحسن التصرف في اوقات الشده . وكان عظيم السياسة وقد قدّر  
له أن يحكم مكه باسمه سبع سنوات دون منافسة واشتى عليه لكثرة صدقاته في  
الحرمين الشريفين وازدهرت الاحوال الاقتصادية في عصره ، وشيدت القصور،  
وبنيت المحطات المختلفة في أمكنة المشار ليتطلّل الحجاج تحت ظلها فترة  
الموسم (٢) .

وتولى الملك ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن رسول في سنة  
٦٤٧ هجرية وفي عهده سقطت الدولة الایمیه في مصر وقامت دولة المماليك

- 
- (١) الخزرجی : العقود اللؤلؤیة ج١ ٨٧٠  
یحیی بن الحسین : غایة الامانی ج١ ٤٣٤  
ابن الربیع : قرة العیون ج٢ ٢٧٠  
(٢) المقریزی : السلوك ج١ ٤٦٨  
علیان : الحیاء العیاسیة ١٠٧٠  
السلیمان : العلاقات الحجازیة ٤٣٠



وقد عاصر أباء في السدوات الاخيره من حكمه ، ووطد سلطانه على  
مكه في أول حكمه بسبب انشغال سلاطين الماليك الاوائل المعز ايك وقطر  
في تثبيت دعائم دولتهم ضد الاخطار الداخليه والخارجية (١) .

ثم تلا ذلك سقوط الخلافة العباسية على المغول سنة ٦٥٦ هجرية  
وهي صاحبة السيادة الشرعيه على الحجاز . وخلا الجو للملك المظفر  
للعمل على تدعيم سيادة بني رسول على بلاد الحجاز وربما أوده أمل  
تولى خلافة المسلمين بعد سقوط الخلافة العباسية مستندا على ما تحقق لايه  
وله من سيادة على بلاد الحجاز (٢) .

\* \* \* \*

- 
- |       |                              |
|-------|------------------------------|
| • ٢٢٢ | (١) الفاسي : شفاء الغرام ج٢  |
| • ٢٢٨ | السباعي : تاريخ مكة ج١       |
| • ٤٧  | السليمان : العلاقات الحجازيه |
| • ٦٨  | ياقاسي : بلاد الحجاز         |
| • ٤٢٠ | (٢) المقرزي : السلوك ج١      |
| • ٢٣٠ | الفاسي : شفاء الغرام ج٢      |
| • ٢٢٧ | السباعي : تاريخ مكة ج١       |
| • ٥٦  | السليمان : العلاقات الحجازيه |
| • ١٩٢ | بهجت : الصلات السياسية       |

## الفصل الثاني

### إمارة الحج وخدماته

## الحج

قال الله تعالى :

( واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق )  
فالحج هو الركن الخاص والآخر من أركان الاسلام واستلزم الأمر تنظيم أمر جماعة المسلمين المسافرين للحج بتولية أحدهم أميرا عليهم كما فعل النبي ( صلى الله عليه وسلم - اذ أسند الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه أمره الحج عام ٩ هـ وتولاها هو بشخصه الكريم في حجة الوداع عام ١٠ هـ التي ابان فيها مناسك الحج والشرعة الاسلامية والتي لايزال يتبعها المسلمون الى ماشاء الله . وسار على نهجه الخلفاء الراشدون وبعض الخلفاء الأمويين والعباسيين . واذ لم يذهب الخليفة للحج فانه ينيب أو يولى رجلا من أهل بيته أو رجال دولته . ( ١ )

ولقد كان رجال البلاط في الخلافتين العباسية والفاطمية يتسابقون لتولى امسرة الحج التي أصبحت من أهم الوظائف وأهم الواجبات الدينية . ( ٢ )

ومن الثابت أن هناك شروط لابد من توفرها في أمير الحج ، كونه عالما بأمور الشريعة لارشاد الحجاج في مشاعر الحج والعمرة . الى جانب ما يتميز به من العدل والامانة والرأى والشجاعة والقدرة على تطبيق الأحكام وتوفير الخدمات للحجاج والذين في الطريق . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) المالكى : الشافى الصغير ، ص ١ ، الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٨٣ .  
الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ .  
( ٢ ) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٨٥ . الماوردى : الأحكام ، ص ٣٣ .  
( ٣ ) المقرئى : الذهب المسبوق ، ص ٤ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ .  
البتانوى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٩ .

### وظائف امانة ركب الحج :

يوجد مع أمير كل ركب من ركب الحج أشخاص يقومون بمساعدته في تقديم الخدمات للحجاج طوال الطريق ، ولكل شخص عمل منوط به يتولى الاشراف عليه ويكون مسئولاً في حالة تقصيره ويحاسب من قبل أمير الحج ( وهذا سمي فيما بعد بديوان الحج في عهد المماليك ) (١) .

وتتضمن هذه الوظائف في مناصب مختلفة سوف نبينها فيما يلي :

#### أمير الركب :

يعين هذا الأمير من قبل الخليفة أو الوالي على أن يتصف بالورع والصلاح وأن يكون عالماً بأمور الدين والدنيا . (٢)

ولم تكن مسئولية أمير الركب بسيطة وسهلة فالحجاز يبعد عن امهار السدول الاسلامية مسافات بعيدة ، وبعض الركبان تمر بأماكن جدباء لا زرع فيها ولا ماء . لذا فقد كان عليه أن يعرف الطرق والاماكن معرفة تامة ، وأن يحوط بالعناية والرعاية عموم الركب في سيره خشية عيث المفسدين من العربان الذين يقطنون الصحراء حتى لا يتعرض الحجاج لمكروه . (٣)

كما كان يتحتم على أمير الركب أن يكون يقظاً معتمداً على أهل الدراية بالطرق ليكون على بصيرة بها وأن يقوم بترتيب الركب في المسير والنزول واعطاء كل طائفة

- 
- (١) الجزيري : درر القوائد ، ص ٨٦ . القاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .
  - (٢) ابن القران : تاريخ ابن القرات ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ . المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ص ١١٨ ، النهر والى : الاعلام ، ص ١٠٣ .
  - (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ . القاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ . الجزيري : درر القوائد ، ص ٨٩ .

من الحجاج مكانا معروفا لهم في اقامتهم حتى لا يتنازعوا فيما بينهم ويقوم بالتعقيب عليهم خصوصا أن ركب الحجاج لم يكن له التنظيم مما يؤدى الى بطلان السير وعدم وجود الراحة والأمن في الوقت نفسه . (١)

وعلى أمير الركب أيضا أن يسلك بالحجاج مناطق المياه وأماكن وجود المراعى حيث تستوطن القبائل العربية في هذه الأماكن .

ولابد عليه أن يكون عالما ببطن هذه القبائل لاستخدامها في توفير هذه المياه والبحث عن وجود الماء للحجاج . وعليه أيضا أن يتولى حراسة الحجاج في هذه الأماكن ووضع الحراس المرافقين له لصد هؤلاء الأعراب الذين يفسدون ويقطعون الطريق ، وتحتالهم في حالة اعتدائهم على الحجاج (٢) ، أو استرضاهم بما يعطونه من مال وطعام . (٣) وكان عليه أن يكون على اتصال دائم بالحجاج أنفسهم لاستماع شكاوهم ومعالجة الجاني منهم وإقامة الحد الشرعى بواسطة القاضى . (٤)

هذا ولم تذكر المصادر شيئا عن جملة الأموال أو الانفاقات من قبل أمير الركب أو ما يخص له من نفقات خاصة أو عامة على الركب ، سوى ما ذكر أن الوالى يقوم بتقدير هذه الأموال لأمير الركب ثم يقوم هذا الأمير بانفاقها حسب الحاجة . (٥)

---

(١) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ، ورقة ٢٢ .  
الجزيرى : درر الفوائد ص ٩٠ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٢٠ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٩١ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) الرشيدى : حسن الصفا ، ورقة ٣٢ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١١ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٤) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١٢ . الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٧١٠ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١٢ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

وهناك موظفون تابعون لأمير الركب من أهمهم (١)

### (١) قاضي المحمل :

ظهر هذا المنصب لأول مرة في صحة الركب المصري في أواخر القرن السادس الهجري . (٢)

ومن قبل كان أمير الركب يتولى تلك المهام ثم صار لبعض الركبان قاضيًا عرف بقاض الركب الذي أقر له مخصصات وأعطيات وأرزاق ودابة يركبها على أن يكون القاضي صاحبًا ومراقبًا لأمير الركب موجهًا له ناصحًا مرشدًا . (٣) ويتسلم عمله مع بداية ترك الركب في الذهاب والعودة ويتقصر عمله على فني الخصومات واستماع الشكاوى وإقامة الحدود على الجناة .

### (٢) مفتش الخيول والجمال :

وكان يتركز عمله في مباشرة الخيول والجمال ويكنون مشـولـا

- (١) الجزيري : درر القوائد ص ١١٢-١٢٣ .  
 على سليمان : العلاقات الحجازية ص ٨٦ ، ٨٧ .  
 (٢) القاضي عبد الله بن علوان الأسدي تولى أمر قاضي المحمل سنة ٥٧٢ هـ ولم تذكر المصادر اسمًا لقاضي قبل الشيخ عبد الله تولى أمر قضاء ركب الحاج .  
 انظر الرشيد حسن الصفا ورقة ٤٨ ، المقرئ ، الذهب المسبوق ص ٣٣ .  
 (٣) الجزيري : درر القوائد ص ١٢٥ .

حج عام	اسم القاضي	المصدر
٥٨٠ بغداد	يحيى الغياني	الجزيري ص ٢٦٥ .
٥٩٢ مصرى	الشرىف اسماعيل بن تغلب المصرى	المصدر السابق ص ٢٦٧ .
٦٠٨ الشامى	القاضى الشجاع / على ابن ملار	المصدر السابق ص ٢٦٩

عن اطعام الخيول والجمال والاشراف عليها في طريقها على الا تحمل أكثر من طاقتها ويتولى هذا المنصب رجلان :

أحدهما : يقوم بالمتابعة والتفتيش والآخر : يتولى أمر العلف . (١)

ويسمى متولى العلف وكانت أعطياتهما دائما تؤخذ من الحجاج ، ويتحدد قدر هذه الاعطيات حسب قوة الأمير فان كان قويا فهو الذى يحدد الأجر وان كان ضعيفا فهما اللذان يطلبان ما يريدان من أجر والا فانهما يسيئان تغذية الحيوانات ، ولا يتسابعان احمالها ، مما يؤدى الى موت عدد كبير منها . (٢)

(٣) الطباخون والسقاة :

وهم الذين يتولون أمر الطبخ للحجاج وسقايتهم وأخذ الجلود الخاصة بالذبائح ودبغها لعملها قريبا للسقيا . (٣)

والطباخون يشرفون على الطبخ وعليهم أن يختاروا أنواع المأكولات التى تناسب الحجاج لتوفير الغذاء لهم على طول مراحل الطرق . (٤)

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .

— ابن جيد : الرحلة ص ٨٠ . — الفاس : العقد الثمين ج ٢ ص ٥٨ .

— القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ .

(٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٣٤-١٣٦ . — القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٦ .

على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٨٩ .

أما السقاة : فيشرفون على رفع الماء من الآبار وتخزينه في القرب ولهم جمال خاصة تستخدم لنقل المياه طيلة السفر . (١) كما كانوا يـ احواضا تحمل بواسطة الجمال لسقي الدواب . (٢)

وما تجدر الإشارة اليه أن السقاة في بعض السنوات كانوا يستغلون ضعف أمراء الحج فيبيعون الماء للحجاج ذلك لأن طرق الحج تفتقر الى أمكنة وجود الماء من جهة وأن الاعراب الذين يقطنون الطرق ربما يعيثون في هذه الآبار بقذف الحنظل في مائها حتى يودي الى مرارة الماء فلايستطيع الحجاج الشرب منها من جهة أخرى ، مما جعل السقاة يستغلون هذه المواقف في رفع قيمة سعر الماء المحمول معهم . (٣)

#### (٤) مقدم الضوئية :

عرف هذا الاسم كوظيفة ولقب فخري على الآثار العربية ومعناه كبير القوم ، أو الطائفة أو الجماعة وهو بمثابة المرشد واقتصر عمله في اشارة الحج على عدة جمال محمول عليها الخشب والزيت والمشاعل بأنواعها ، فالخشب خاص بالطباخين للاستفادة منه كوقود للطبخ ، وأما الزيت والمشعل فللاضاح ليلا ليهتدى

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ص ٢٢٣ .  
(٢) الجزيري : درر القوائد ص ١٣٧ .  
(٣) الفاس : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٩ .  
الجزيري : درر القوائد ص ٢٤٧ - ٢٥٧ .



الركب به فى الطريق وليتعارفوا على كل مايلزمهم فى أماكن اقامتهم . (١)

ولم تقتصر وظيفته على الاضامة فحسب ، بل ربما حمل معه السلاح لصد

غارات الأعراب فى حالة خروجهم على الركبان . (٢)

لذا يتضح لنا من اللقب أنه يتولى الاضامة للركب علاوة على حماية الركب من

غارات الأعراب ويحمل معه الأعشاب والعقاقير التى يحتاجها المرضى ، وكان

مسئولا أيضا عن توزيعها على الحجاج عند احتياجهم لها . (٣)

#### (٥) المبقيات والمؤذن :

تولى الأول التوقيت لأداء الصلوات الخمس ، ويحدد أيضا جهة القبلة .

وتولى الثانى الأذان والاقامة .

وكانا يحافظان معا على أوقات الصلاة ، واتجاه القبلة ويغطان الحجاج فى المناسك

ويلقنهم الدعاء . (٤)

- 
- (١) - المصدر السابق : ص ١٣٩ .
  - ابن جبير : الرحلة ص ٨٢ .
  - ابن بطوطة : الرحلة ص ٤٨ .
  - البتانونى : الرحلة الحجازية ص ٦٨ .
  - (٢) السباعى : تاريخ مكة ص ١٨٠ .
  - (٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٤٨ .
  - (٤) المالكى : الشافى الصغير ص ٣٨ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٦ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ، ص ٢٨٢ .

## ٦) مبشر الحاج :

وكانت وظيفته التبشير بسلامة الحاج من ناحية أمنه وعدد وفياته ، وما حدث له أثناء الطريق في مكة وأمكنة المشاعر ، وربما يكون عالما بأحوال الحجاج كبيرها وصغيرها ، ويتقدم أمير الحج في اسراعه للوصول الى الكوفة أو دمشق أو القاهرة أو صنعاء ليبشر عن أحوال الركب وما حدث له في ذهابه وإيابه<sup>(١)</sup> .

وهذا النظام كان متعارفا عليه طيلة الحقبة الزمنية التي تخص هذا البحث ، وبعد هذه الفترة زادت هذه الوظائف وأصبح لها ديوان خاص يسمى بديوان امانة الحج . (٢)

ومما ساعد على ذلك سلاطين المماليك الذين وضعوا لها واجبات وزادوا الوظائف حتى أصبح عددها ما يقرب من ثلاثين وظيفة يتولى أمر الاشراف عليها أمير المحمل ، وأصبح هذا التقليد متعارفا عليه ، زمن المماليك والعثمانيين . (٣)

- 
- (١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .
  - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ .
  - أبو المحاسن : النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٨٠ .
  - (٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ١٦٩ .
  - (٣) سعد عاشور : العصر المملوكي ، ص ٤١٦ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٩٢ .

### كسوت الكعبة والحجرة الشريفة :

أول من كسا الكعبة في الجاهلية ( تبع ) ملك اليمن قبل الهجرة بقرنين من الزمن .

وقد كساها الأنطاع ، والمعافر ، والعصب ، والمسوح ، والبرود (١) ، وحينما تولت قريش أمر مكة كست الكعبة بعدة كساءات وأنواع متعددة من الثياب حتى كان زمن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي فقال لقريش أناسا أكسو الكعبة عاما وأنتم تكسونها عاما آخر فلقبوه بعدل قريش وسماهوه عدلا . (٢)

واستمر الأمر على ذلك حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة . فأمر بأن تكس الكعبة من المطارف الخز الخضر ، وشققاق الشعر ، وأكسية من أكسية الأغراب وقرار الخز ، والوصلات ، والنمارق

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٨٠ : والأنطاع جمع نطع وهو بساط من الأديم أي الجلد ، المعافر : بلد باليمن فيقال برج معافرى ، أى منسوب إلى معافر اليمن .

العصب : برود يمانية يعصب غزلها أى يجمع ويشد ثم يصبغ بعضه وينسج من غير المصبوغ فيؤتى موشى .

المسوح : مسح تجمع على أمساح وهو كساء من شعر .

البرود : ثوب مخطط : انظر : لسان العرب لابن منظور المواد

( نطع ، غفر ، عصب ، مسح ، برود ) .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٥٣ .

جواد على : الفصل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

على حسنى : تاريخ الكعبة ، ص ٣٤ .

العراقية ، والجبرات اليمانية وأنماط أخرى من المنسوجات .  
وحيثما تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة أصبحت كسوة الكعبة — من  
اختصاصات بيت مال المسلمين (١) التي تصنع في اليمن حتى عهد الخليفة  
أبى بكر الصديق .

وحيثما تم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فتح مصر سنة ٢١ هجرية أمر  
واليه على مصر بصنع كسوة الكعبة والحجرة الشريفة من القباطى المصرية (٢)  
واستمر أمر الكسوة يرسل من مصر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى  
عهد معاوية بن أبى سفيان اذ قام بصنع كسوة الكعبة من نوعى القباطى المصرية  
والديباج وكانت تكسى بالقباطى فى آخر شهر رمضان وتكسى بالديباج يوم  
عاشوراء واستمر الحال على ذلك طوال حكم الدولة الأموية ثم العباسية حتى  
عهد الخليفة المأمون اذ أخبره حجاب الكعبة وسدنتها بأن الديباج يبلس  
ويتمزق لأن حيالته رديئة الصنع الأمر الذى جعله يختار أجودها فكانت القباطى  
المصرية وأصبح دار الكسوة والحجـرة الشريفة مقرها منذ ذلك  
(٣)  
الوقت مصر .

- 
- (١) ابن هشام : السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .  
الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .  
الفاى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١١٢ .  
على حسن الخربوطلى : مصر الاسلامية ، ص ٤٣ .  
(٢) القباطى نسبة الى المنسوجات القطنية التى يشتهر بصناعتها أقباط مصر .  
انظر حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ١٣٩ .  
(٣) الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٨٦ الى ١٨٩ .  
الفاى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .
-

وكان الكساء توضع فوق بعضها البعض حتى أخبر الخليفة المهدي العباسي عام ١٦٠ هـ أن أكسية الكعبة قد كثرت وأصبح بناؤها ضعيفا يخشى عليه السقوط فأمرهم بتجريد الكعبة وألا يبقى عليها سوى كساء واحد (١) وهذا أصبح تجريد الكعبة كل عام مرتين وبعد وضع الكسوة الجديدة عليها. وفي عهد الخليفة المتوكل على الله زيد ازاران آخران لكسوة الكعبة حتى لا ينتابها البلاء اذا تمسح وتبرك الحجاج بها (٢) ولما انتقلت الخلافة الفاطمية الى مظهر ظهر التنافس بين الخلافتين واضحا فكان له أثره على كسوة فتارة تأتي من مصر وتارة أخرى تأتي من بغداد (٣) وفي بعض السنوات أحضرت الكسوة من كلتا الخلافتين (٤)

- 
- الفاكهى : اتحاف الورى ص ٤٨ • النهروالى : الاعلام ص ٧٩  
 المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١٣ •  
 ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٥٠ ، الى ص ٥٣ •  
 ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج ٥ ، ص ١٣٠ •  
 الطبرى : القسرى لقاض أم القرى ص ١١٥ •  
 المقدس : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ •  
 محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ ، ٦٠ •  
 على حسن الخربوطلى : مصر الاسلامية ، ص ٦٨ •  
 (١) الأزرقى : ج ١ ، ص ٢٥٤ •  
 (٢) المرجع السابق : ج ١ ، ص ٢٥٥ •  
 الفالهى : النطق ص ٤٥ •  
 (٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٢٧ •  
 النهروالى : الاعلام ، ص ٧٩ •  
 (٤) الجزيرى : درر القوائد ، ص ١٧٩ •  
 ابن الفرات : تاريخ الفرات ج ٥ ، ص ١٣٠ •

وفى سنة ٤٥٥ هـ أسر الخليفة الفاطمى واليه على اليمن على بن محمد الصليحي بأن يكسو الكعبة الشريفة ثيابا بيضاء من الحرير ، وقام بتوزيع الأعطيات على سدنة الكعبة ، وسبب عدم ارسال الكسوة من مصر هذا العام انشغال مقر الخلافة فى مصر بالفتن الداخلية بالبلاد . (١)

وكان للكسوة ركب خاص بها تعداده ثمانية جمال تحمل على ظهرها كسوة الكعبة الشريفة والحجرة النبوية من مقر صنعها حتى مكانها ، ويتقدم هذا الركب أمير الحج الذى يحيط به الحراس لحماية ركب الكسوة ، وتسلم هذه الكسوة لسدنة البيت من بنى شيبية فى مكة المكرمة . (٢)

ومن الثابت أن عدد ركب الكسوة بدأ يزداد عاما بعد عام حتى أصبح عدد جماله فى أواخر هذه الحقبة من هذا البحث ما يقرب من عشرين جملا ، وأصبح هذا التقليد متعارفا حتى زمن سلاطين المماليك . (٣)

- 
- (١) محمد أمين صالح : العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية ص ٦١-٦٢ .
  - (٢) الرشيدى : حسن الصفا ورقة ٢٠ .
  - ابن مهند : اتحاف الورى رقم ١٨٩ .
  - الفاص : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٠ .
  - (٣) الفاص : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٠ .
  - النهرالى : الأعلام ص ٨٢ .
  - السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ ص ٤٠ .
  - البتانوى : الرحلة الحجازية ص ١٣٠ .

### نفقات الكسوة :

من المعلوم أن نفقات الكسوة مصدرها الرئيسى بيت مال المسلمين ، لأن  
الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكسائها من بيت مال المسلمين وصار على نهجه  
الخليفة أبوبكر الصديق رضى الله عنه وباقى الخلفاء من بعده ، وتميزت مصر  
بصنع كسوة الكعبة لشهرة المنسوجات المصرية . وأوضحت الآثار والمصادر أماكن  
صنع الكسوة فى دور الطراز بسطا ونونه فى جزر بحيرة المنزلة ، يشير ذلك إلى  
النص التالى :

" بسم الله بركة من الله لعبد الله هارون أمير المؤمنين أطال الله  
بقاءه . مما أمر به الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه فى طراز  
شطا كسوة الكعبة سنة ١٩١ هـ . " (٢)

- 
- (١) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٧٩ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٨٥ .  
ابن جريد : الجامع اللطيف ص ٥٤ .  
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦٠ .
  - (٢) شطا مدينة تقع عند تنيس ودمياط ، وتنسب إليها الثياب الشطوية ، وأما تونه  
فهي قرية من أعمال تنيس ، انظر ياقوت ج ٢ ص ٥٢ ، حتى ص ٥٩ .  
المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٣ .  
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ .  
على حسن الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ٣٨ .
  - (٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٢٥ .  
النهر والى : الاعلام ص ١٣٧ .  
زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ص ٨٦ .  
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ .

ويذكر لنا المقرئ أن مكان صناعة الكسوة انتقل الى ثغرتيس بمصر  
مع بداية القرن الرابع الهجرى لشهرتها العظيمة فى صناعة المنسوجات .  
اذ أنشأ الخليفة المعز لدين الله الفاطمى دار الكسوة بها حتى أواخر  
الحقبة الزمنية لهذا البحث . (١)

ثم أنشأ بتورسول ببلاد اليمن فى مدينة صنعاء دار لصناعة الكسوة  
استمرت فترة وجيزة من الزمن حتى استطاع السلطان الظاهر بيبرس من  
اعادة ارسال كسوتى الكعبة والحجرة الشريفة من مصر . (٢)

ويذكر لنا الصباغ<sup>(٣)</sup> أن أول من أوقف أوقافا على كسوة الكعبة يصرف  
ربعها على دار صناعة الكسوة هو السلطان الناصر محمد قلاوون .  
أما ما ذكره السخاوى<sup>(٤)</sup> فى كتابه التحفة اللطيفة بأن أول من أوقف  
أوقافا على كسوة الكعبة هو صلاح الدين فهو غير ثابت وهنا التباس فى  
الاسمين من الصالح ، وصلاح الدين ، وخلاصة القول : أن أول من أوقف  
على كسوة الكعبة أوقافا هو الناصر محمد قلاوون ، أما صلاح الدين فانه أوقف  
أوقافا على خدم الحومين الشريفين .

- 
- (١) المقرئ : الخطط ج ١ ، ص ١٨٥ .  
النهر والى : الأعلام ص ١٣٩ . الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٣٦ .  
أحمد عبد الغفور عطار : الكعبة والكسوة ص ١٣٨ .  
(٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٧ .  
ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٦٢ .  
المقرئ : السلوك ج ١ ص ٤٦٨ . ابن خلدون ، العبر ج ٥ ص ٤٨٩ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٩ .  
(٣) تحصيل المرام : ورقة ٢١٠ .  
(٤) السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ ، ص ٩٨ .



وجملة هذه الأوقاف تتركز بصعيد مصر ومحافظة القليوبية غير أن صلاح الدين أوقف قرية نفاذه<sup>(١)</sup> في صعيد مصر وثلاث قرية ببيسوس<sup>(٢)</sup> بالقليوبية وأن ربيع هاتين القريتين يصرف على خدم الحرمين الشريفين .<sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أن الملك الناصر محمد قلاوون أوقف مدينتي بيسوس وسندبيس على أن يصرف ريعها على دار كسوة الكعبة . ويحدد لنا الفاس<sup>(٤)</sup> في كتابه أن قرية سندبيس تقع بظاهر القاهرة طرف القليوبية ويؤكد لنا أيضا أن ربيع هذه القرية يصرف على دار كسوة الكعبة .

ويضيف لنا<sup>(٥)</sup> صاحب كتاب مرآة الحرمين قرية ثالثة وهي أبو الغيط ويذكر بأن ربيع هذه القرية يصرف على دار الكسوة ويؤكد هذا القول النهروالي<sup>(٦)</sup> في كتابه الأعلام ، والفاس<sup>(٧)</sup> في كتابه تحفة الكرام فيقولان انهما من ضواحي القاهرة ويحدد لنا القلقشندي<sup>(٨)</sup> والبتانوتي<sup>(٩)</sup> فيقولان ان بيسوس وسندبيس وأبو الغيط من قرى القليوبية أوقفت ليكون ريعها مصروفا على دار الكسوة للكعبة

- 
- (١) نفادة تقع بصعيد مصر ، انظر ياقوت ج ٥ ص ٢٩٥ .
  - (٢) تقع هذه القرية في محافظة القليوبية ، انظر ياقوت ج ١ ص ٥٢٧ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٣٣ .
  - الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٢٤٦ .
  - ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٤٨ .
  - ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٨ .
  - أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٨ .
  - (٤) الفاس : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٠٦ .
  - الفاس : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٩ .
  - (٥) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٨٤ .
  - (٦) النهروالي : الأعلام ، ص ٢٤١ .
  - (٧) الفاس : تحفة الكرام ، ورقة ٢٧ .
  - (٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٥٧ .
  - (٩) البتانوتي : الرحلة الحجازية ص ١٢٦ .

والحجرة الشريفة وأن واقفها هو الملك الصالح دين الناصر المملوك . (١)

### أنواع الكسوة

للكعبة كسوتان : خارجية وداخلية ، فالخارجية تجد دكل عام مرتين ولونها أسود وتصنع من الحرير الأسود وبطانتها من الكتان ومكتوب عليها اسم الملك أو السلطان ، وكانت تحلى بالقصب المطلى بالذهب ، وتكتب عليها آيات قرآنية ، فالجزء الأمامى وهو الذى يسمى بالبرقع مكتوب عليه الآية القرآنية الكريمة : " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا " (٢) وعلى الجزء الجنوبى مكتوب بعد البسملة : " جعل الله الكعبة البيت الحرام مشابة للناس وأمناء واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيوتى للطائفين والعاكفين والركع السجود " . (٢)

وفى الركن الشرقى : " وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (٣) وبين الركن الغربى والشامى مكتوب بعد البسملة " واذ يرفع ابراهيم القواعد الى قوله التواب الرحيم " (٤) .

---

(١) القاسم - العقد الثمين ، ج ١ ص ٥٩ .

النهر والى : الأعلام ص ١٤٤ .

السخاوى : التخفة اللطيفة ، ج ١ ص ٣٠٥ .

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ١٨٦ .

(٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٧ . القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٧ .

ابن بطوطه : الرحلة ص ١٠٦ . البستانونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٨ .

(٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٨ . الرشيدى : حسن الصفا ورقة ٢٧ .

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٩١ .

(٤) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٩ . ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ١٠٣ .

وأما الكسوة الداخلية فانها لاتجدد كل عام وغالبا تجدد بعد أن تبلى ثم تصنع من الحرير الأحمر الموشى بالذهب ومكتوب عليها كلمة " لا اله الا الله محمد رسول الله " وفى حواشيتها آيات قرآنية أخرى وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

ومما تجدر الإشارة اليه أن الكسوة كان لها طابع دينى وسياسى اذ تعتبر علامة هامة من علامات الفترة السياسية للدولة ، فالخليفة التى تصل كسوته قبل الآخر يعتبر هو الفائز فترة الصراع السياسى الذى تم بين الخلافتين العباسية والفاطمية . (٢)

لذا فان الفاطميين كانوا حريصين على ارسال كسوة الكعبة قبل العباسيين وان اضطروهم الامر فى بعض السنوات بتكليف الصليحيين حكام اليمن لارسال الكسوة على الموقف السياسى (٣) وبعد سقوط الخلافة الفاطمية وسيطرة الايوبيين

---

(١) الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٤٠ .

ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ١٠٤ .

الرشيدى : حسن الصفا ، ورقة ٣٠ .

القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٥٩ .

حسين باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ١٢٨ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ١٠٥ .

الطبرى : الاربع المسكى ، ورقة ٣٢ . الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٩٧ .

ابن تغربردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .

(٣) ابن الاثير : ج ١٠ ص ٣٠ . الخزرجى : اللؤلؤة ، ج ١ ص ١٣٢ .

الغسانى : المسجد المسبوك ص ٤١٠ . يحيى بن الحسين : غايصة

الامانى ج ١ ص ٤٣٠ . ابن الديبع : قرة العيون ج ١ ص ٢٤٧ .

(١)  
على اليمن أصبح أمر الكسوة يفد من مصر باسم الخليفة العباسي والسلطان الأيوبي  
وعندما انتقل بنورسول باليمن بدأ الشامى مع الأيوبيين فتأتى كسوتان أحدهما  
من مصر والثانية من اليمن . ويتوقف الأخذ بأحدى الكسوتين حسب أسبقية وصول  
وحسب اتجاه

لاى من السلطتين (٢)

وبذلك سيطر المماليك على بلاد الحجاز وظل التنافس فى أمر الكسوة  
بين المماليك والرسوليين فى المراحل الأولى من بداية حكم المماليك حتى تم  
لهم السيطرة على الحرمين الشريفين . (٣)

### طرق الحج :

استجابة لدعوة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ( وأذن فى الناس بالحج  
يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم  
ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام  
فكذلوها منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا نفوسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا  
بالبيت العتيق ٢ . (٤)

(١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٧٦ .

الجزيرى : درر القوائد ، ص ٢٧٣ .

محمد عبد العال : الأيوبيون فى اليمن ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٩ .

الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٢٣ .

المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٧٩ .

عليان : الحياة السياسية ، ص ٩٧ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٠ . المقرئى : السلوك ج ١ ، ص ١٨٠ .

إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ص ٢٩٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٠٧ .

عليان : الحياة السياسية ، ص ٩٨ .

(٤) القرآن الكريم : سورة الحج ، آية رقم ٢٧ .

وتلبية لهذا النداء يخرج عشرات الألوف من جميع أقطار العالم الإسلامي في أشهر معلومة من السنة الهجرية ملبيين ومتجهين الى مهوى قلوبهم اد كل مسلم الى مكة المكرمة ليوم دوا الركن الخامس من أركان الاسلام مهللين مكبرين لله الواحد القهار . (١)

ومن المعلوم أن هذه الطرق الرئيسية هي أربع :

طريق ركب الحاج العراقي ، المصري ، الشامي ، اليمني . (٢)

وتتجمع هذه الركبان من المدن المختلفة لكل اقليم يجمعهم أمير واحد حتى يدخلوا مكة . ثم يتولى امارتهم في مكة لقضاء مناسكهم أمير مكة من الأشهراف الحسينيين . (٣)

#### (١) طريق ركب الحاج العراقي :

هذا الطريق يخرج منه الحاج العراقي من بغداد الى صرصر في مرحلة واحدة . ثم الى فراشه في مرحلتين ، ثم الى الكوفة في ثلاث مراحل ، اذ تتجمع فيها ركبان الحجاج من خراسان والديلم ، وبخارى ، وسمرقند ، فرادى وجماعات يتحدون تحت أمير الحج المعين من بغداد (٤) ، فمنهم من ينزل مشهد

---

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٨٤ .

الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٤٨ .

(٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٦٥ .

(٣) ابن فهد : اثمان الوري ، ورقة ٢٥٣ .

الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٦٣ .

البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٧٩ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٣٦ .

الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٦٥ .

الامام على رضى الله عنه ثم يرتحل من الكوفة الى القادسية فى مرحلة كاملة ويقسم فيها يوما كاملا ، ثم الى العذيب ، ومساحتها مرحلة كاملة . وهى أول المنازل البرية ، فيردون ماء ها بعد أن يتزودوا منه ويرحلون الى الرجة التى تبعد بمرحلتين ، ثم يردون ماء ها ويرتحلون الى سلمى فى أربع مراحل . ثم واقعته التى تبعد بأربع مراحل ، وسها آبار وبرك ، فيتزودون منها بالماء ويرتحلون الى خاديت ، وهى تبعد بأربع مراحل .

ثم يرحلون الى زرود بعد ست مراحل ويتزودون منها بالماء ، ثم يرحلون الى مرشيت بست مراحل ثم الى فتن وهى تبعد بأربع مراحل وسها أسواق وماء يرد ها الحجاج ، و يقيمون فيها يوما كاملا ، ثم يرحلون الى تخت سليمان فى أربع مراحل ، ثم الى حاج فى أربع مراحل أيضا ليتزودوا منها بالماء ، ثم الى بويرات فى ثمانى مراحل ليتزودوا منها بالماء ، ثم يرحلون الى ذات عرق فى ست مراحل و يقيمون فيها مدة يوم كامل ، اذ تعتبرمقات أهل العراق فمنها يحرم الحجاج معلنين التلبية مرتحلين منها الى وادى نخلة ثم يخذلون مكة المعظمة (١) فى مرحلة واحدة وفى عودتهم يسلكون طريق ركب الحاج الشامسى والمصرى ليذهبوا الى المدينة لزيارة المسجد النبوى الشريف . (٢)

- 
- (١) المالكى : الشافى الصغير ، ص ٨٠ .  
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٣٩ .  
الجزيرى : درر القوائد ، ص ٤٦٦ .  
جواد على : المفصل فى تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٣١٦ .  
ابن جيد : الرحلة ، ص ٤٩ .  
(٢) ابن جيد : الرحلة ، ص ٥١ .

### خدمات الطريق :

من الواضح أن طريق ركب الحجاج العراقي كان الطريق الذي يهتم به خلفاء البيت العباسي منذ تأسيسه ولتهم . إذ أن الخلفاء الأوائل وفي مقدمتهم أبو جعفر المنصور الذي قام بإنشاء محطات البريد ، ووصف الطريق ، وبناء بعض القصور في هذا الطريق ثم سار على نهج الخلفاء الأوائل من دولته . (١)

واهتم بهذا الطريق السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد ، فقد قامت بزيارة عدد الآبار . كما قامت ببناء البرك التي نشرتها طوال هذا الطريق . حتى أصبح متعارفا فيما بعد باسم درب زبيدة بدلا من طريق ركب الحجاج العراقي . (٢)

وهناك وصف لأحدى هذه البرك التي بنتها السيدة زبيدة وتقع هذه البركة جنوب جبل الماوان .

وهي تقع بين الماوية والريدة ذكرها ابن خرداذبة (٣) وابن رسته . (٤)

- 
- (١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٥٢ .
  - ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٤٥٨ .
  - المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢١٠ .
  - (٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ٥٦ .
  - المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٤٩ .
  - الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٢٣ .
  - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ص ٢٧٣ .
  - دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٤٨ .
  - (٣) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٢٧ .
  - (٤) ابن رسته : الأعلام النفيسة ، ص ١٧٥ .

فابن رسته يقول بأن هذه البركة تقع بين الماوان والريده ، أما ابن خرداذبه فقد ذكر أن اسمها أورعه ، اذ أصبح هذا الاسم يعرف فيما بعد باسم " أديمه " وذكر ياقوت : (١) فقال ان أديمه جبل بين قلهم بالحجاز وتقع هذه البركة في ثلثى طريق الكوفة مكة .

وتبلغ مساحتها ٤٠ × ٣٠ مترا وقد بنيت من الحجارة المنقوشة وفي داخل البركة اكتاف نصف دائرية في كل ركن من أركانها . ويبلغ سمكا جدار البركة ١ ¼ متر ، ولها مصب لمجرى السيل من جهتها الجنوبية الغربية ، وعقبها غير معروف وسبب ذلك كثرة الرمال التي غطت كل البركة . وهذا ما حدث لكل البرك التي بنتها السيدة زبيدة على طول هذا الطريق . (٢)

وخلاصة القول أن ما قامت به السيدة زبيدة من اهتمامها في طريق ركب الحجاج العراقيين لم يبق به باقي الخلفاء سوى اصلاح لهذا الطريق أو ترميم للآبار ، وظلت أعمالها جليلة خالدة لم تقتصر على ركب الحاج العراقي بل أوصلت المياه الى مكة وإلى أمكنة المشاعر وعملها باق للوقت الحاضر (٣)

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) حمد الجاسر ، مجلة العرب (تحديد موقع الريده) ج ١ .

شهدى رجب وشعبان سنة ١٣٩٥ هـ ص ٦ .

Arashid's A.A. Cirtical Stuc'y of the pilgrimi Road bet ween kuba and Mecca " Darb Zupaydah " with that aid ab field work P.H.D. thesis Univ-ersity of leeds 1977. pp.170-179.

(٣) المسعودى : مرجوح الذهب ، ج ٢ ص ٢١٦ .

ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ص ٥١٠ .

القاسم : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٨٥ .

ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٠٤ .

السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٤٥ .



وفي سنة ٣٦٦ هـ حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان صاحب  
الموصل وقامت بأفعال جليلة في طريق ركب الحاج العراقي . كما أنها أصلحت  
الطريق وزادت من عدد الآبار في الأماكن التي لا يوجد بها سوى بئر واحد ،  
وأنفقت أموالاً كثيرة على العريان الذين يقطنون الطريق .

وبعد أن قضت الموسم رجعت إلى بغداد . (١)

ومن الملاحظ أنه منذ سنة ٣٦٧ حتى سنة ٤١٢ هـ لم يخرج الركب العراقي  
لأداء فريضة الحج ويعود السبب في ذلك إلى أن الأغراب الذين يقطنون  
الطريق قد أصبحوا بحاجة إلى المال والطعام لقلة الاعطيات ولانشغال بسنن  
بويه بالحروب والفتن الداخلية التي عمت العراق . (٢)

---

(١) وبعد قضاء الموسم ووصولها إلى بغداد يقال بأن عضد الدولة بن بويه  
صادر مابقى معها من أموال لأنه هزم والدها ناصر الدولة الملقب بابي  
تغلب بن حمدان وإلى الموصل لخروجه على طاعة عضد الدولة ابن بويه وحيثما  
عادت صادر مابقى معها من أموال وأراد أسرها إلا أنها ألفت بنفسها  
في نهر دجلة تخلصاً من الأسر .

- انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٥١٠ .
- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١٠١ .
- المقريزي : اتعاظ الخفا ، ج ٢ ص ١٤٥ .
- الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٢٢٢ .
- السباعي : تاريخ ، ج ١ ص ١٥٤ .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٥١٢ .
- الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٤٦ .

وفى سنة ٤١٣ هـ أمر الخليفة العباسى القادر بأمر الله باصلاح طريق ركب الحاج العراقى . كما أرسل الاعطيات الى سكان الطرق لتوزيعها عليهم وليتمكن الصناع والعمال من اصلاح الطريق ، وازالة ما أحدثه الاغراب من خراب فيه . (١)

واستمر هذا العمل حتى سنة ٤٣٣ هـ . ومع استمرار ارسال هذه الاعطيات لسكان الطرق . ثم تعطل الطريق بعد ذلك حتى سنة ٤٦٢ هـ حين أمر الخليفة القائم بأمر الله والسلطان الب أرسلان السلجوقى سنة ٤٨٥ هـ باصلاح طريق ركب الحاج العراقى واستمرار ارسال الاعطيات لسكان الطريق . (٢)

وفى سنة ٥٥٤ هـ أمر الخليفة المستنجد بالله العباسى بزيادة حفر الابار فى طريق ركب الحاج العراقى واصلاح بعض الابار التى طمرت معالمها من قبل الاغراب الذين يقطنون هذا الطريق ، كما أنه أرسل المهندسين والصناع والعمال لاصلاحه وأرسل معهم أعطيات ليقوموا بتوزيعها على الاغراب (٣) . ومن المفيد أن نذكر أن هذه الفترة السدى تولى حكمها سلاطين السلاجقة قد بذلوا اهتماما بالغاً فى اصلاح طريق

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

كما أغذوا الاعطيات على سكان الطريق واستطاعوا تأمين الطريق . (١)  
ولم تذكر لنا المصادر التاريخية ما قدم من اصلاحات لهذا الطريق  
بعد هذه السنة الا في أواخر خلافة الخليفة الناصر لدين الله العباسي  
سنة ٦٠٦ هـ اذ أمر باصلاح الابار التي تعطلت في هذا الطريق .  
ثم لم نتحدث المصادر التاريخية عن اصلاحات طرأت في هذا  
الطريق حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

#### ب - الاعراب وقطع الطريق :

اعتاد الاعراب منذ بداية القرن الرابع الهجري قطع طريق ركب  
الحاج العراقي بسبب الفتن التي ظهرت على الخلافة العباسية مثل :  
ثورة الزنج ، وظهور حركة القرامطة وتحالفهم مع الاعراب الذين  
انتهزوا هذه الفرصة واتحدوا مع القرامطة لنهب الحجاج والاعتداء عليهم  
(٢)  
ما بين عام ٣١٠ حتى ٣٣٩ هـ .

وبعد هذه الفترة لم تعيد القرامطة على الحجاج لاختلافهم مع أعراب  
بنى هلال الذين يقطنون هذا الطريق وارسال الاعطيات  
من قبل الخلفاء العباسيين للاعراب ، الامر الذي توقفت فيه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٤ - ٢٥٣ .

أعداءهم حتى سنة ٣٦٠ هـ (١).

وفي السنة التالية خرج بنو هلال على حجاج ركب الحاج العراقي—  
ونهبوا أموالهم وفرقوا جمعهم أشتاتاً مما اضطر أمير الركب أن يعود بما تبقى  
معه من الحجاج الى الكوفة (٢) مرة أخرى ولم يحج في هذه السنة الحجاج  
العراقيون . ويذكر لنا الجزيري (٣) في كتابه أن فرقة بسيطة بقيادة أبي  
أحمد الموسوي والد الشريف الرضي لكونه عالماً بممالك الطرق أخذ هذه  
الفرقة سالكا بهم طريق المدينة وأكمل مناسكهم وفي سنة ٣٧٨ هـ خرج على  
حجاج ركب الحاج العراقي مفرج بن دغث بن الجراح من قبيلة بني طي\* مطالباً  
إياهم بدفع المكوس ولم يتم الإفراج عنهم الا بعد أن دفعوا له أموالاً كثيرة (٤).

وتذكر لنا المصادر أن الخليفة العباسي حينما علم بأعداء القبائل  
على ركب الحجاج أرسل أموالاً كثيرة وأمر بتوزيعها على الأغراب الذين يقطنون  
طريق ركب الحاج العراقي حتى لا يعتدي على الحجاج مرة أخرى . (٥)  
واستمرت هذه الاعطيات ترسل الى سكان الطرق حتى سنة ٤٠٠ هـ.

- 
- (١) ابن الأثير ، الجامل ، ج ٨ ص ٣٥٧ .  
الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٣٤٥ .
  - (٢) الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٣٤٥ .
  - (٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .
  - (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٦٠ .  
الجزيري : درر الفوائد ، ص ٣٤٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٥٦ .
  - (٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٧٥ . الجزيري : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .



ومنذ هذه السنة حتى سنة ٦٥٦ هـ . أصبح الخليفة العباسي يرسل مسع  
ركب الحجاج جاليات عسكرية وسقاء ليتمكنوا من صد الاعتداءات التي تكررت  
من القبائل وليتمكن السقاء من توفير الماء للحجاج واستمرت أعطيات الخلفاء  
ترسل الى هذه القبائل ليأمنوا شربهم وطمأنة لحياتهم . (١)

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ص ٢١٣ .  
الجزيري ، درر القوائد ، ص ٣٥٤ .

## طريق ركب الحجاج الشــــــــــــــــام

### أ- وصف الطريق :

يبدأ هذا الطريق من مكان يسمى الكسوة تتجمع فيه قوافل الحج من جميع المدن الشامية يقودهم أمير الركب بعد أن يتزودوا من مائها • ثم يرحلون الى مكان يسمى الصنمين الذى يقع بطرف حوران ثم يرحلون الى مكان يسمى درعا التى تشتهر بعدوة مائها وقيمون بها ثم يرحلون الى بصرى التى تشتهر بكثرة أسواقها فيقيمون بها ثلاثة أيام ثم يرحلون الى الزرقاء • ثم يتجهون الى زبء التى تشتهر أيضا بأسواقها وبوفرة مائها وبارتفاع مكانها والذى يتميز ببركة عظيمة لشرب الدواب منها •

ومن المعلوم أن هذه المدينة يفدها الحجاج ليقيموا فيها ثلاثة أيام ثم يرحلون الى الكرك ثم الى الحما وهى قرية تقع بين الكرك ومعمان وبعدها يرحلون الى معان • (١)

ومن الواضح أن معان هذه تقع فى طرف بادية الشام فيتزود الحجاج منها الماء ثم يرحلون الى العقبة التى لا يستطيعون الاقامة فيها لوقوعهم بجوار بحر القلزم فيرحلون

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ، ص ٤٠٧ •  
ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٠٦ •  
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٤٥٤ •

الى ذات الحج ليتزودوا منها ما يحتاجونه من ماء .

وبعد ذلك يستعدون للوحييل الى تبوك ثم الى العلا ليمكثوا فيها يومين  
لما يتوفر فيها من كثرة محاصيلها الزراعية . ثم يأخذوا طريقهم بعد ذلك الى  
هديه ومنها الى عيون حمزه حيث يأخذ الحجاج استعدادهم لدخول المدينة  
المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام <sup>(١)</sup> فيمكثون فيها عشرة أيام ، ثم  
يرحلون الى الأبواء ثم الى بدر ثم الى رابغ ثم الى ذى الحليفة وهى ميقات  
أهل الشام ثم الى خليص ثم الى عسفان ثم الى وادى مر ، وأخيراً  
يدخلون مكة مهللين مكبرين لأداء مناسك العمرة . (٢)

#### ب - خدمات الطريق :

تفتقر المصادر التاريخية الى معلومات كافية عن الخدمات التى قدمت  
فى هذا الطريق ماعدا الخدمات التى قدمها خلفاء الدولة العباسية الأوائل  
من اصلاحات للطريق وغر للآبار وتشديد للقصور وبناء محطات للبريد <sup>(٣)</sup>

---

(١) الجزيرى : درر القوائد ، ص ٤٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٥٦ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ص ٣٥٢ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ص ٨٢ .





ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا بدفع ضريبة سنتين مقدما . (١) وبعد أن أصبحت بلاد الشام تابعة للخلافة الفاطمية .

حرص خلفاء البيت الفاطمي على حماية هذا الطريق بإرسال أعطياتهم لسكانه من الأعراب مع أمير ركب كل عام . (٢)

ولما توقف دفع الأعطيات . خرجت قبائل حرب في سنة ٤١٢ هـ وقطعوا الطريق على ركب الحاج الشامى ، وقاموا بحصر الآبار ومنعهم من شرب الماء ، وطالبوهم بدفع المكوس . (٣)

ويقول الجزيري : (٤) أن الحجاج دفعوا كل ما يملكونه من مال لهم — هذه القبائل للسماح لهم بالتزود بالماء والمرور إلى مكة .

ثم استمر اعتداء القبائل بعد هذه السنة يزداد خطرا وأصبحت المكوس تطلب من الحجاج . ولم تقدم أعطيات الخلفاء لسكان هذا الطريق حتى سنة ٥٧٢ هـ حينما أمر صلاح الدين بدفع الأعطيات التي طالب بها القبائل . واستمر الأمر على هذا النحو حتى سنة ٥٨٣ هـ وند أسلاطين الدولة الأيوبية بإرسال حاميات عسكرية لأمين وسلامة الحجاج وأغدقوا أعطياتهم على

---

(١) الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

سكان هذا الطريق . (١)

ولعل قسوة الحياة في هذا الطريق ، وعدم وجود فتوحات وحاصلات  
زراعية فيه جعل هذه القبائل تركز في المطالبة بالأعطيات التي تساعد على  
في استمرار حياتها . (٢)

### طريق ركب الحاج المصرى :

#### أ - وصف الطريق :

تتجمع وفود حجاج شمال أفريقيا والاندلس في مدينة القاهرة ويخرج  
الركب من هذه المدينة باسم ركب الحاج المصرى ، والمغربى متجهين نحو قرية  
البركة ، ومنها الى السويس على ثلاث مراحل : يخرق صحراء سيناء مارا بنخل  
ووادى سدر ، وعيون موسى . حيث يوجد بها آبار وأسواق قديمة .

ثم يرحلون منها الى ايله ، ومنها الى حقل حيث تقع على بحر القلزم  
ثم الى مدين ، ومنها الى عيون القصب حيث تكثر بها العيون والمزارع  
وبعد هذا الى الازلم ثم الى الوجه . ثم الى اكدا ثم الى الحوراء ثم الى ينبع

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٨-٣٠ .

الجزيرى : درر القوائد ، ص ٢٦٢ .

ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٢) الجزيرى : درر القوائد ، ص ٢٦٤ .





بخفر الآبار ما بين مكة وجده . ليستطيع الحجاج الحصول على الماء فى طريقهم الى مكة . (١)

وفى سنة ٥٧٢ هـ أمر السلطان صلاح الدين بتجديد بناء هذه الآبار التى تقع بين مكة وحيره . وأمر بالغاء الكوس التى تؤخذ من الحجاج . (٢)

وفى سنة ٦٤٥ هـ أرادت شجرة الدر الذهاب لاداء الحج وفضلت أن تسلك الطريق البرى فأمرت باصلاح هذا الطريق الذى تعطل ما يقرب من مائتى عام ، وأمرت بخفر الآبار وبناء البرك على طول الطريق ، حيث تعطل الطريق مسرة ثانية .

وأصبح الطريق البحرى مسلك الحجاج حتى سنة ٦٦٦ هـ الذى أحياء السلطان الظاهر بيبرس . (٣)

- 
- (١) المصدر السابق ص ٢٥٢ .  
أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ص ٤٢ .  
(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ١١٢ .  
ابن جبير : الرحلة : ص ٣١ .  
الغسانى : المسجد المسبوك ، ص ١٦٢ .  
محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون فى اليمن ، ص ٧٢ .  
(٣) المقرئى : السلوك ، ج ١ ص ٧٦ .  
البتانوى : الرحلة الحجازية : ص ٣٧ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٧٢ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٦٣ .

### ج - الأعراب وقطع الطريق

لم يشهد هذا الطريق اعتداءات من القبائل الا عندما ضعفت الخلافة الفاطمية ، وخلال سنوات الشدة العظمى التي شهدتها مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي . (١)

ومنذ سنة ٥١٢ هـ بدأت تنقص أعطيات خلفاء الدولة الفاطمية مما أدى الى أن الأعراب قاموا بغرض الكوس على الحجاج بأخذ أموال باهظة أجورا لمراكبهم البحرية .

فيصف لنا ابن جبير هذه الأفعال حينما حج سنة ٥٧٩ هـ مع كاسب الحاج المصري عن طريق ميناء عيذاب فقال :

ان الحجاج يلاقون أخطارا وأهوالا بسبب قطع الطريق من قبل الأعراب من جده الى مكة . وفي الطريق من قوص الى عيذاب (٢) كما أنه يصف الطريق البحري فيقول : لقد عانى الحجاج من أهلها الأمرين .

ولاهل عيذاب أحكام الطواغيت ، وذلك لأنهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس الحجاج بعضهم على بعض . ويستوفى صاحب الجلبة ثمنها في طريق واحد . (٣)

---

(١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ، ج ٣ ، ص ١١٨ .

الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن جيد : الرحلة ، ص ٤١ .

المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن جيد : الرحلة ، ص ٣٧ .

والوكوب من جده اليها آفة الحجاج لأن الرياح هي التي تتحكم في سير  
الجلاب وذلك لأنهم غالبا ما يمارسون على شواطئ "بعيدة عن الموانىء" (١)  
وازداد تعسف الأعراب على أثر سقوط الخلافة الفاطمية حتى  
سنة ٥٨٢ هـ إذ أمر صلاح الدين أهالي عذاب الذين تحكموا في نقل الحجاج  
بتحديد أسعار إيجار الجلاب ، وقام بتوزيع الأعطيات لهم ، ووزع الأعطيات  
على الأعراب الذين يسكنون جدة ، وطريق جدة مكة ، ورفع المكوس  
عن الحجاج وأمرهم برفع المظالم ، وحدد لهم الأعداء التي يمكن للجلاب  
أن يحملها ، كما أنه أوقف الأعراب الذين يسكنون جدة ويتحكمون في سعر  
نقل الحجاج إلى مكة بواسطة دوابهم . (٢) وخلاصة القول أن ضعف  
سلطة الخلافة أو الأمراء أو السلاطين يؤدى إلى استغلال الأعراب  
للحجاج .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) ابن جيد : الرحلة ، ص ٤٤-٤٧ .

المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٥ .



## طريق ركب الحاج اليمنى

### أ - وصف الطريق :

يتجمع الحجاج فى تعز حيث يبدأ هذا الطريق منها ثم يرحلون الى وادى الحناء ، ويتزودون منها الماء ثم الى وادى الموز حيث تكشفون زراعة الموز فيه ثم يرحلون الى زبيد وسها تتجمع ركبان باقى المدن . اذ ينطلق الوركب من زبيد متجها الى المعاد به فى أربع مراحل ويتزودون منها بالماء وقيمون فيها يوما كاملا ثم يرحلون منها الى القحمة فى أربع مراحل ثم يرحلون الى جيزان ثم يرحلون الى بياضة فى أربع مراحل الى أن يستعدون للوحيلى الى حرص ومنها الى المحالب فى ست مراحل ثم الى ملتقى الواديين فى أربع مراحل ، ثم يرحلون الى يلملم وهى ميقات أهل اليمن ويدخلون أخيرا مكة مهللين مكبرين لأداء مناسك العمرة والحج معا . (١)

هذا هو طريق الاودية والجبال .

أما طريق الساحل ويسمى طريق تهامة فيبدأ من المخنف التى تقع قرب عدن ثم الى العاره ثم الى عبره ، ثم يرحلون الى السقيا وسها سوق ،

- 
- (١) عبارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٢٧-٢٩ .  
الخرزجى ، العقود اللوئية ، ج ١ ، ص ١٦٩ .  
الفسانى ، المسجد المسبوك ، ص ١٩٨ .  
الجزيرى ، درر الفوائد ، ص ٤٢٠ .  
يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

وأبار يتزودون منها الماء ثم الى السحاره ثم الى الخوهه ثم الى الأهواب ثم الى  
السرین ثم جده ومنها يسلكون الطريق مع ركب الحاج المصرى الى مكه .

وهذا هو طريق ركب الحاج اليمنى الذى يمر بساحل البحر الأحمر .

#### ب - الخدمات :

من الثابت أن هذا الطريق هو الذى كان متعارفا لدى التجار ، اذ يعتبر  
طريق القوافل التجارية ومن أصعب الطرق مسلكا اذ يمر بمناطق جبلية وأودية  
لهذا كان أخطر الطرق التى يمر بها ركب الحاج . (١)  
ومن الجدير بالذكر أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا أية اصلاحات ، أو  
خدمات قدمت لهذا الطريق سوى ما قام به بعض أمراء اليمن فى الفترة  
الاخيرة لهذا البحث .

وفى سنة ٤٥٥ هـ اهتم على بن محمد الصليحي باصلاح الطريق ونشأ  
القصور فيه ، كما أمرت زوجته السيدة الحرة الصليحية ببناء بعض المساجد وأصلحت  
الآبار فيه وأقامت السبل . (٢)

- 
- (١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .
  - عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٨٠ .
  - الجزيرى : درر القوائد ، ص ٤٥٥ .
  - (٢) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٩٢ .
  - ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ١ ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .
  - الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٧٢ .
  - يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

وفى سنة ٤٥٨ هـ استعد الصليحي بالذهاب الى مكة لاداء مناسك الحج حاملا دنائير الذهب والفضة لاقامة بعض المنشآت فى هذا الطريق ولكن تعطل سيره بسبب اعتداء بنى نجاح عليه فى الطريق والقضاء عليه مما أدى الى توقف هـذه المنشآت (١) حتى سنة ٦٢٦ هـ .

اذ أمر نور الدين عمر بن رسول باصلاحه وزيادة حفر الآبار فيه . (٢)  
وفى سنة ٦٤٧ هـ أمر بتجديد بناء المساجد التى تقع فى هذا الطريق وأنشأ محطات بريد . (٣)  
ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أى اصلاحات حدثت فى هذا الطريق بعد هذه السنة .

أما عن اعتداءات القبائل فان المصادر التاريخية لم تذكر لنا أى اعتداء حدث للحجاج سوى ما حدث سنة ٦٥٥ هـ وحينما علم المظفر يوسف بن رسول قادم حملة بنفسه لردع وصد هذه القبائل التى تقطن هذا الطريق . (٤)  
\* \* \*

- 
- (١) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٩٨ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ص ٢٥٧ .  
محمد أمين صالح : دولة الخوارج فى اليمن ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .  
المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٨ .
  - (٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٨٤ .  
ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ص ٤١٦ .
  - (٣) ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ص ١٨ .  
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٥٦ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٣ .
  - (٤) ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ص ١٩ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٨٥ .

## الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز

## الحياة الاقتصادية فى بلاد الحجاز

### أ - النشاط التجارى :

كان لموقع بلاد الحجاز أهمية بالغة بالنسبة للنشاط التجارى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فبلاد الحجاز تقع فى غرب شبه الجزيرة العربية ، وهى تمتد مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر ، كما أنها تتصل شمالا ببلاد الشام ، وتتصل جنوبا ببلاد اليمن . وكذلك تتصل بمصر برا وبحرا . وساعد هذا الموقع الممتاز على ازدهار النشاط التجارى لبلاد الحجاز منذ أقدم العصور . (١) فقد أخذت القوافل التجارية القادمة من اليمن تسير عبر أراضي الحجاز فى طريقها شمالا الى بلاد الشام وتمر القوافل التجارية فى طريقها بمدن هامة جدا ك صنعاء ومأرب ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومنها الى مدائن صالح ثم غزة وجنوب الشام وبعضها يسير الى مصر . وكانت هذه القوافل التجارية والمراكب تحمّل فى ذهابها وإيابها مختلف البضائع المطلوبة آنذاك . (٢)

---

(١) على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٨٣ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٨٦ .

أما عن الطريق البحرى لبلاد الحجاز فقد كانت المراكب التجارية تسير الى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الأحمر وفى نفس الوقت كانت هذه الثغور الحجازية على البحر الأحمر تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصين ومصر فضلا عن اليمن . (١)

وتعتبر مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف من أهم المدن التجارية ببلاد الحجاز وكذلك ميناء جدة الذى كان له شهرة تجارية فائقة فى الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز . وترجع أهمية مكة المكرمة الى عاملين :

أولهما : هو موقعها الممتاز على طريق القوافل التجارية القادمة اليها من بلاد الشام الى اليمن أو العكس ، وبذلك غدت مكة المكرمة محطة تجارية هامة تتوقف فيها القوافل للراحة والبيع والشراء من ناحية ، وكى تتزود بالماء والموا من مسن ناحية أخرى ، لتستأنف رحلتها . (٢)

والعامل الثانى الذى لعب دورا هاما فى تاريخ مكة الاقتصادية هو وجود الكعبة الشريفة فيها حيث يقصدها ألوف عديدة من المسلمين كل عام

- 
- (١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٠ .  
نعيم زكى ، طرق التجارة ، ص ١٣٨ .
  - (٢) ابن جبير ، الرحلة ١٣٨ .  
ابن بطوطة ، الرحلة ١٢٥ .  
أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

فى موسم الحج (١) . مما يؤدى الى نشاط البيع والشراء بين الحجاج القادمين اليها بمختلف البضائع من كافة أنحاء العالم الاسلامى ، كذلك مما زاد فى أهميته مكة التجارى هو قريتها من ميناء جدة الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، فالمسافة بينهما لاتزيد على أربعين ميلا . (٢)

وعلى هذا فلم تكن مكة المكرمة محطة تجارية فقط بل اشتهر أهلها بالتجارة والوساطة التجارية بين البلاد الاسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها . ويذكر الرحالة ابن جبير (٣) أن مكة كانت ملتقى الصادر والوارد بالقوافل المحملة بمختلف البضائع ، وهى موسم اجتماع الحجاج القادمين اليها من أنحاء العالم الاسلامى بمختلف النعم والفواكه والشموات والمنسوجات والبضائع مما يؤدى الى قيام أسواق عامة فى مواسم الحج ، وهذه الأسواق تقام فى أيام معلومة وفى أماكن مستقرة فاصبحت تقليدا من تقاليد الحج . (٤)

---

(١) عبد العزيز الازهرى ، قصص عكاظ ، ص ٤٤-٥٠ .

(٢) على السليمان ، النشاط التجارى ، ص ١٠ .

(٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٨٢ .

(٤) حسنين ربيع : وثائق الجميزه ، ص ١١ .  
أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ١٨٢ .

في عام ٢٦ هـ / ٦٤٦ م أمر الخليفة عثمان بن عفان بنقل مرفأ مكة القديم من الشعبية الى جدة لقربها من مكة ( الفاكهي : المنتقى ٤٦ ) وأخذت جدة من ذلك التاريخ تتطور حتى صارت أهم ثغور الحجاز على الساحل الشرقى للبحر الأحمر اليه ترد شتى المراكب القادمة من مختلف البلاد مما جعل أسواقها مقدسة بأنواع البضائع والمنتجات .

وما أن تصل المتاجر الى ميناء جدة حتى تنقلها القوافل التجارية الحجازية برا من ميناء جدة الى مكة المكرمة كذلك كانت الحال بالبضائع الواردة الى مينائى الجار وينبع فهما يعتبران منفذا المدينة المنورة على البحر الأحمر . ( ١ )

وقد زادت أهمية ميناء جدة من الناحية التجارية فلم تعد مرفأ مكة التجارى بل غدت مرفأ الحجاز بأسره ( ٢ ) ، ومما ساعدها على ذلك أنها أكثر اتساعا من ميناء ينبع وغيره من الثغور الحجازية ، كما كانت ترتبط بعدة طرق تجارية مع بعض البلدان الأخرى مثل الطريق الذى يربطها بمكة المكرمة شرقا وبلاد الحجاز والشام شمالا وأيضا ببلاد اليمن جنوبا ، وكل هذا جعل ميناء جدة أهم الموانئ الحجازية وأنشطها تجاريا عبر العصور الاسلامية . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) حسنين ربيع ، وثائق الجنيزه ، ص ١١ .
  - ( ٢ ) الشافى : الجواهر المعده فى فضائل جده ، ورقة ٧ .  
القام : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٨٨ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٨ .
  - ( ٣ ) الشافى : الجواهر المعده ، ورقة ٨ .  
ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨ .  
السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٧ .



وذكر الرحالة " ابن جبیر " أن مدينة جدة كانت تتبع أمير مكة المكرمة (١) ، وكان أمير مكة يحصل المكوس في جدة من الحجاج القادمين اليها ، وحين غدا صلاح الدين الأيوبي سلطانا على مصر والشام أمر باسقاط المكوس في جدة من الحجاج ، ثم لما أدرك أن موارد مكة لا تفي باحتياجات أهلها دفع لأمير مكة مالا عوضا عن هذه المكوس (٢) .

أخذت جدة تزدهر اقتصاديا نظرا لازدياد موارد ها المالية نتيجة تضاعف عدد الحجاج والتجار القادمين اليها من شتى أنحاء العالم الاسلامي .  
وردد في وثائق الجنييزة أن تجارا من المغرب الاسلامي والاندلس اعتادوا بيع بضائعهم من الحبوب والنحاس وغيرهما من منتجات بلادهم في مدن مصر والشام ، ولكن اذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحا أو سوقا رائجة لبضائعهم في بلاد الشام ومصر فانهم يتجهون ببضائعهم

- 
- (١) ابن جبیر : الرحلة ، ص ٤٨ .  
(٢) ابن نهد : اتحاف الوری ، ورقة ٢٤٠ .  
ابن جبیر : الرحلة ، ص ٤٩ .  
أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ، ص ٧٩ .  
المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ .

فورا الى ميناء جدة حيث يجدون فيها أسواقا رائجة لبضائعهم . (١)

أما الجار فكانت مدينة وثغرا عامرا الى أن أصاب بلاد الحجاز بعض الفتن والاضطرابات منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى عندما اقتحم الأعراب وقطاع الطرق ميناء الجار وفاجأوا أهله بالقتل والسلب والنهب . ورغم عدم استقرار أحوال ميناء الجار فانه ظل يستقبل المراكب الواردة من الديار المصرية وبقى الحال على ذلك حتى أواخر القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . (٢) فمنذ ذلك التاريخ أخذت أهمية ميناء الجار تضعف بينما أخذت تزداد أهمية ميناء ينبع وغدا ميناء ينبع يتمتع بالازدهار والنشاط التجارى منذ سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م حين جعله الايوبيون فى مصر ميناء رئيسيا للمدينة المنورة ويأتى فى المرتبة الثانية بعد ميناء جدة بالنسبة لبلاد الحجاز كافة . فأصبحت أغلب الغلال والمواد التى تصل المدينة المنورة من مصر تصلها عن طريق ميناء ينبع الواقع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، وغدا ثغرا رئيسيا للمدينة المنورة .

- 
- (١) حسين ربيع ، وثائق الجنيزه ، ص ١٥-٢٠ .  
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٩٣ .  
(٢) نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .  
على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٢ .

وقد أسهم هذا الميناء في ازدهار المدينة المنورة تجاريا منذ بداية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . (١)

وتنقسم مدينة ينبع الى قسمين ، ينبع النخل ، وينبع البحر ، وعندما يطلق المؤرخون المسلمون اسم ينبع فانهم يقصدون بها ينبع النخل ، لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة في بادىء الامر ، ثم صارت ميناء للمدينة المنورة ، ومنغذا لها على ساحل البحر الأحمر . (٢)

ولقد لعب ميناء " عذاب " الواقع على الساحل المواجه لميناء جدة دورا هاما في تجارة بلاد الحجاز واليمن . (٣) وكانت عذاب في العصور الوسطى الاسلامية تعتبر من أعظم وأهم مراسى العالم فقد كان يصلها أعداد كبيرة من مراكب المسلمين بالهند وغيرها وترسو بها فضلا عن أنها كانت الميناء الذى تنتهى اليه قوافل الحجاج الذين يعبرون البحر الأحمر الى جدة . (٤)

وكانت عذاب بالنسبة لهؤلاء الحجاج تمثل مركز تجمع لهم ولتجار الشرق القادمين اليها بسلع ومضائق امن الحبشة واليمن . (٥) وكان البحارة والتجار يفضلون الرسو فيها عند قدومهم اليها أو عند رحيلهم عنها ، وذلك لعمق وعزارة الماء في ميناء عذاب وخلوه من الشعاب المرجانية التى تعيق الملاحة فى بعض شواطئ البحر الأحمر . (٦)

- 
- (١) نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٢ .
  - على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٥ .
  - (٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
  - محمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٢٨ .
  - على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٢ .
  - (٣) أحمد دراج : عذاب ، مثال ، ص ٥٥ ، حسين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٢ ، عطيه القوصى : تجارة مصر ، ص ١٢٣ .
  - (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٣ . حسين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٧ .
  - (٥) حسين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٧ .

وقد ذكر ابن جبير في رحلته الى الاراضى الحجازية سنة ٥٢٩ هـ / ١١٨٣ م بأن  
عيداب كانت ( من أحفل مراسى الدنيا لأن مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها  
على الدوام ) بالاضافة الى مراكب الحجاج التى تقصدها دائما فى مواسم الحج .  
(١)  
واعتمادا على ماجاء فى كتاب " قوانين الدواوين " لابن مالى يتبين لنا أن الزكاة  
والجزية هى الضريبتان اللتان تتم جبايتهما من التجار فى ميناء عيداب وما يؤيد هذا  
ان التجار المسلمين والتجار من أهل الذمة القادمين من البلاد الاسلامية هم فقط  
الذين كانوا يعملون فى تجارة البحر الأحمر فى العصر الايوبي ولم يكن مسموحا  
لأى تاجر من المدن الايطالية أو من الهند أو الصين أن يسير من عدن فى البحر  
الأحمر شمالا (٢) .

وقد لعب تجار الكارمية دورا هاما فى تجارة بلاد الحجاز خلال العصر الايوبي  
وتجار الكارمية هؤلاء هم فئة من كبار التجار المسلمين احتكروا تجارة الهند والشرق  
الاقصى فى التوابل وغيرها من السلع . وقد كان مركز نشاطهم

---

(١) ابن الجبير : الرحلة ، ص ٤٣ .  
ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٢ .

(٢) Hassaneen Rabia: The financial Sustem, of Egypt ,  
A H. 564 -741, p. 166.

الأول في المحيط الهندي ، واتخذوا قواعد لهم في موانئ ساحل الهند الغربي —  
وفي موانئ الخليج العربي ، وعند مدخل البحر الأحمر . ( ١ )

ان أول اشارة وردت في المصادر المتداولة عن طائفة تجار الكارمية الذين لعبوا  
دورا هاما في تجارة البحر الاحمر ترجع الى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م وذلك حين  
اشار ابن ابيك الدواداري الى تأخر التجار وانقطاع الكارم في عهد الخليفة المستنصر  
الفاطمي ، بسبب حوادث الشدة المستنصرية ، وهذا دليل واضح على أن نشاط  
تجار الكارمية بدأ منذ العصر الفاطمي ، ان لم يكن قبل ذلك ، واستمر طوال العصر  
الايوبي وشطرا من عصر سلاطين المماليك . ( ٢ )

وقد زادت أهمية هؤلاء التجار المسلمين عندما نجح الايوبيون في اقرار نفوذهم  
في البحر الأحمر وفي تنظيم شئون التجار في اليمن . وقد سبق أن رأينا نشاط هؤلاء  
التجار قد تعرض للخطر بسبب امتداد نفوذ الصليبيين الى ميناء البحر الأحمر . كما  
رأينا كيف نجح صلاح الدين الايوبي في احباط محاولات البرنس العدائية في البحر  
الأحمر لغزو بلاد الحجاز . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) ابن جبير : الوحلة ، ص ١٢-١٣ .
  - حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٧ .
  - ( ٢ ) ابن ابيك : الدرة المضيئة ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ ، تحقيق صلاح الدين المنجب ،  
١٩٦١ ، حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٣ .
  - ( ٣ ) وقد سبق التحدث عن محاولات اعتداء الصليبيين على الاراضي المقدسة في  
الفصل الأول من هذه الرسالة .
  - انظر حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ .

وقد احتكر تجار الكارمية تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي خاصة تجارة التوابل وغيرها من البضائع الشرقية التي كانوا يجلبونها عن طريق عدن الى مصر حيث يبيعونها الى تجار المدن الايطالية وغيرهم . (١)

ولقد قام الايوبيون بمثل ما قام به الفاطميون من العمل على صد خطر القراصنة في ميناء البحر الأحمر فرصدوا سفنا من أساطيلهم من أجل هذا الغرض بشكل خاص . (٢)

#### ب - أنواع السلع الواردة والصادرة :

كان يرد بلاد الحجاز أنواع عديدة من مختلف السلع والمنتجات . وتعتبر التوابل خاصة القفل من أهم هذه السلع لضرورة استخدامه في الطعام . وجرت العادة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ان يباع حمل القفل في تجارة البحر الأحمر بمبلغ يتراوح بين خمسين دينارا ومائة وخمسين وعشرين دينارا . (٣)

وكانت الدار حيني ( القرفة ) من أهم السلع التي لعبت دورا هاما في تجارة

- 
- (١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٤ .  
القوصى : تجارة مصر ، ص ١٢٦ .
  - (٢) ربيع : النظم المالية ، ص ١٦ .  
ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٥ . السليمان : النشاط التجارى ، ص ٨ .  
نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٩٢ .
  - (٣) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٣ . القوصى : تجارة مصر ، ص ٢١٦ .

بلاد الحجاز • وكان سعرها يعادل سعر الفلفل أو أغلى منه قليلا • لذلك اعتبرت من السلع المربحة • أما القرنفل فقد بلغ ثمنه ضعف ثمن الفلفل وقد جلبه العرب وجلبوا معه أيضا الخليخان وهو نوع من البهار من الشرق عبر الخليج الفارسي ثم بواسطة القوافل البرية أو عبر البحر فورا مرورا بالبحر الأحمر • (١)

كذلك كان الزنجبيل من أكثر التوابل شيوعا واستعمالا في بلاد الحجاز كافة ، فهو لا يقل أهمية وطلباً عن الفلفل والبهار والقرنفل • ومن هذه السلع الرئيسية أيضا الراوند والكافور والعود الهندي والزعران والكرم والهيل ( الجيهان ) وجوزة الطيب التي استعملت في أنواع كثيرة من الطعام كما استخدمت في الطب وتحضير بعض الأدوية لعلاج بعض الأمراض • (٢)

ولم يكن النشاط التجاري في بلاد الحجاز مقصورا على تجارة التوابل ، بل شملت أيضا العطور والبخور وهي ذات أنواع كثيرة منها عود اللند والمسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكى وجميع هذه السلع كانت ترد الى بلاد الحجاز من بلاد الشرق الأقصى وفارس ، وإلى جانب هذه السلع اشتمل النشاط التجاري على الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار الكريمة • (٣)

- 
- (١) ابن جبیر : الرحلة ، ص ٨٢ • حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ • القوصي : تجارة مصر ، ص ٢١٨ • نعيم زكي : طرق التجارة ، ص ٢١٩ •
  - (٢) القوصي : تجارة مصر ، ص ٢٢٠ • ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ •
  - (٣) ابن جبیر : الرحلة ، ص ٨٦ • ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٥ • نعيم زكي : طرق التجارة ، ص ٢٢٦ •

وكان يأتي الى بلاد الحجاز قوم من اليمن بقصد التجارة يعرفون باسم السـسـرو  
فيجلبون معهم نوعا من الزبيب الاسود والاحمر . كذلك كانوا يجلبون معهم كميات  
كبيرة من اللوز ، علاوة على الحنطة وبقية أنواع الحبوب بالاضافة الى قصب السكر  
والسمن والعسل . (١)

وكانت القوافل التجارية تأتي من اليمن الى أسواق مكة وهي محملة بمنتجات أخرى  
لليمن مثل الجلود والثياب والبخور ، ومنتجات افريقية نفسها ، من الصمغ والعاج  
والدقيق والتمر . كما كانت القوافل تأتي مكة أيضا محملة بمنتجات الشام ومصر  
كالزيتون والفلال . (٢)

وهكذا كان يجتمع في أسواق مكة المكرمة منتجات كل من الهند والحشة والعراق  
واليمن وخراسان وبلاد المغرب . (٣)

وكانت بلاد الحجاز بلد مصدرا لحاصلات بلاد العرب فتحمل القوافل التجارية  
في اياها الزيت والبلح والقرظ والصوف والوبر والشعر والجلد والسمن . وكانت  
مصر تستورد من بلاد الحجاز الخيول والجمال والجلود المدبوغة . (٤)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ .
  - (٢) علي السليمان : النشاط التجاري ، ص ١٥١ .
  - (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ .
  - (٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٩٨ .
- حسين ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ٢٥ .



وقد اعتادت بعض قبائل اليمن التي تعرف بالسرو ألا يبيعوا ما يجلبونه الى مكة من الزبيب واللوز والسكر والبقول والسمن والعدس والدنانير والدرهم ، وانما كانوا يرغبون في مبادلة بضائعهم تلك بما يجدونه في أسواق مكة من الخرق والعباءات والاقنعة والملحف المتان ، وغير ذلك من ملابس الاعراب وثيابهم . وقد اثارت طريقة المبادلة هذه دهشة بعض المؤرخين والجغرافيين العرب . (١)

#### ج - الضرائب والمكوس وطرق جبايتها :

فرض أمراء بلاد الحجاز بعض المكوس والضرائب على البضائع الواردة الى بلاد الحجاز . وكانت حكمة مكس تطلق على الجباية ، كما كانت تطلق على كل ما يأخذه العشار ( الماكس ) . وهذه المكوس ليس لها سند شرعى وانما توارث الحكام فرضها وجبايتها من العصور السابقة . (٢)

وذكر ابن جبير أنه قبل عصر صلاح الدين كان المكس يجبى من الحجاج والتجار في ميناء عيذاب واذا لم يجب منهم في عيذاب جبى منهم في جدة . (٣) وأضاف الرحالة المسلم ابن جبير (٤) مقدار المكس الذي كان مفروضاً على الحاج الواحد ففى

- (١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٨ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .
- ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٠٨ . ابن الديبع : غرة العيون ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
- (٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٦٩ . على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٢ .
- (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٩ .
- (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٩ . حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٥٠ . القوصى : تجارة مصر ، ص ٢٣٢ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٢ .

وإذا امتنع الحاج عن دفع هذا المبلغ فكان يمنع من الحج والتجارة ويعذب  
شتى أنواع العذاب.

وألقى صلاح الدين الأيوبي نائب السلطان نور الدين محمود في مصرفي سنة  
٥٦٢هـ / ١١٧١م معظم المكوس الفاطمية التي كانت تجبى في الديار المصرية حتى  
يدرك المسلمون انتهاء العمل بمذهب الشيعة ، والعودة الى مذهب السنة . وقد  
بلغ عدد المكوس التي ألغها صلاح الدين الأيوبي ثمانية وثمانين مكا . كما بلغت  
جملة حصيلتها في السنة الواحدة مائة ألف دينار وبذلك لم يبق من المكوس  
الفاطمية سوى مكس الحاج الذي ألغاه أيضا صلاح الدين الأيوبي في سنة  
٥٧٢هـ / ١١٧٦م . (١)

أما سبب إلغاء مكس الحاج هذا فهو أن الشيخ علوان الأسدي الحلبي ، أراد  
في نفس العام المذكور ٥٧٢هـ / ١١٧٦م أن يؤدى فريضة الحج وكان على صلة  
طيبة بصلاح الدين فلما طلب منه متولى جباية المكس بجده دفع مكس الحج  
رفض وهم بالعودة من حيث أتى دون أن يؤدى فريضة الحج فخشى الاشراف عاقبة  
الأمر ، لذلك أخذوا في ملاطفتهم وارضاءه وبعثوا الى مكث بن عيسى

---

(١) أبو شام : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٥ . ابن واصل : مغزى الكروبي ، ج ٢ ، ص ٦٦ . الباز العرينى : مصرفى عصر الأيوبيين ، ص ٢١٥ . أحمد دراج : عذاب ، ص ٦٠ ربيع : النظم المالية ، ص ٥٠ .

يخبرونه بأمر الشيخ علوان ، فأمرهم باطلاق سراحه واغائه من المكس ، والسماح له بالتوجه الى مكة المكرمة . (١)

فلما بلغ الشيخ علوان مكة المكرمة ، اجتمع به الأمير مكثربن عيسى فشكا اليه قائلا : " بأن دخل مكة لايفى بمصالح أهلها ، وهذا ما يضطره الى أخذ المكوس " فكتب الشيخ علوان بذلك الى صلاح الدين الايوبي .

وكانت العادة قد جرت أن يأخذ شريف مكة من كل حاج سبعة دنانير ونصف ولايسمح لأحد من الحجاج بدخول مكة دون دفع هذا المكس ويجبس ولايطلق سراحه حتى يفوته الوقوف بعرفة . (٢)

وعلى اثر ذلك خصص صلاح الدين الايوبي جراية سنوية للأمير مكة مكثربن عيسى فجعل له في كل سنة مبلغ ألفى دينار وألف أردب قمحا ، فضلا عن عدة اقطاعات في صعيد مصر واليمن ، يبلغ مجموعها ثمانية آلاف أردب قمح تحمل اليه كل سنة حتى جدة لتعويضه عن تلك المكوس التي اغاها . (٣)

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٠ . ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٦٩ . الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٦٦ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٦٠ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٢٠٩ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٨ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٠٩ . السباعي : تاريخ مكة ، ص ١٢٩ . (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٠ . ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٢١٤ . القريني : الخطط ، ج ٢ ص ٢٣٣ . أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٧٩ . أبو شان : الروضتين ، ج ٢ ص ٢٠٦ . علي السليمان : النشاط التجاري ص ١٠٤ .

استمر الغاء المكوس هذه طوال عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ولكنهم عادت بعد وفاته ومما يدل على ذلك أن الملك العادل الثاني سيف الدين بكر بن الملك الكامل أعاد فرضها في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م ، يضاف الى ذلك أن خلفاء صلاح الدين الأيوبي أهملوا ارسال ما التزم به صلاح الدين الأيوبي نحو البيوت الحرام ، مما دفع شريف مكة الى تحصيل المكوس من الحجاج والتجار . (١)

وعندما امتد نفوذ بني رسول من اليمن الى الحجاز قام الملك المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م بالغاء مكس الحاج والتجار وكتب بهذا الالغاء رقعة جعلها قبالة الحجر الأسود ، على بئر زمزم . وبقيت تلك الوقعة حتى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م حيث نزعها محمد بن أحمد بن المسيبب اليمني . (٢)

وكانت تلك المكوس التي يدفعها التجار بجدة ، تؤم من لهم الطريق الى مكة وتحقق لهم الحماية والأمان سواء ظلوا بجدة ، أم أقاموا بمكة المكرمة . وكانت المكوس تؤخذ في جدة من الحجاج الواردين بطريق البحر .

ونظرا لأن جدة تابعة لأمير مكة ، فإن تلك المكوس والعشور ، يقوم بجبايتها وتحصيلها في ميناء جدة مشرف من قبل أمير مكة . وكان المشرف الى جانب

---

(١) القصص : تجارة مصر ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

المقرئزي : السلوك ، ج ١ ص ٢٣٢ . يحيى بن الحسين : غاية الأمان ، ج ١

ص ٤٣١ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

ذلك يحرم عمالة جدة ، ويقبض لوازمتها ، وصدقاتها ، ومكوسها وعشورها . (١)

### الحرف والصناعات :

كانت الزراعة في بلاد الحجاز تعتمد بصفة عامة على المطر وعلى مياه العيون . ومن أهم الحاصلات الزراعية : القمح والشعير والذرة والفواكه والرطب والعنب والموز . ومن المعروف أن مكة المكرمة ليست بلدا زراعيًا ، فهي منطقة مجدبة جرداء ، لا تصلح للزراعة كما أنها تتميز بالجفاف ، وارتفاع درجة الحرارة . لذلك لا ينبت فيها زرع سوى شجر البادية . (٢)

وعلى خلاف الحال بمكة المكرمة كانت بعض المناطق المجاورة لها ، وبخاصة منطقة الطائف ، والوديان الموجودة بين مكة وجدة ينبت فيها مختلف الحاصلات الزراعية . وبالتالي تمد مكة المكرمة بما تحتاجه من المنتجات الزراعية . وما يجدر ذكره أن أهل مكة كانوا يمتلكون بعض المزارع والحدائق والبساتين في منطقة الطائف بالإضافة إلى ما يملكونه في مكة ، من ابل وبقر وغنم ، وما لديهم من خبرة في ترتيبها وإنتاجها ورعايتها في الوديان والشعاب المجاورة . (٣)

---

(١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٤٧ .

على السليمان : النشاط التجاري ، ص ٨٣ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٧ . ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ .

ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٠٠ . أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢١٨ .

أما المدينة المنورة ، فكانت على العكس من مكة المكرمة ، فهي تقع في منطقة خصبة ، لذلك عمل أهلها بالزراعة وقد ساعدهم على ذلك ما توفر فيها من العيون والآبار فكثرت حولها حدائق النخيل ، مما جعل التمر من أهم حاصلاتها الزراعية ، بل هو المحصول الرئيس فيها . وهو على أنواع متميزة من حيث الجودة . ويعتبر أهم المحاصيل التي تصدر من المدينة المنورة . (١)

ويعمل كثير من أهل المدينة المنورة بالزراعة ، لأنها توفر لهم معظم احتياجاتهم الغذائية . وما فاض عن حاجتهم من الثمار والخضار يقومون بتصديره ، أو مبادلته مع مدن الحجاز الأخرى بما يفتقرون إليه من منتجات ، وبالإضافة إلى ذلك كان أهل المدينة المنورة يتعاملون تجارياً مع الحجاج والتجار الذين يفدون إليها من مكة وهم في طريقهم إلى بلادهم ، أو لزيارة قبر ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام . (٢)

لذلك كانت تجرى في أسواق المدينة عمليات البيع والشراء في أسواقها الحطب الذي يجلبه الحطابون من الأشجار . ويأتي من بيع التمر عوائد اقتصادية مريحة لأهل المدينة المنورة ، كما أنهم يستخدمون النوى علفاً لابلهم ، وهذا

- 
- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٨٠ . السهمودي : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٦٨ .  
القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ . علي السليمان : النشاط التجاري  
ص ٩١ ، حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ، ص ٣٥ .  
(٢) الفيروزآبادي : المغانم المطابه ، ص ١٥-٢٠ ، تحقيق حمد الجاسر .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٨٠ .

ما يميز ابل المدينة عن غيرها من الابل كما استخدم أهل المدينة جريد النخل فى سقف المنازل أو صنعوا من خوصها المكاتل والققف والمكابس والحصير والاطباق والمراوح . كذلك استخدموا جذوعها أعمدة لبيوتهم لتستند عليها السقوف . ولذلك اعتبر أهل المدينة النخيل من أكرم الأشجار بالنسبة لهم . (١)

ومما يجدر ذكره أن أشجار النخيل فى المدينة المنورة تزرع متفرقة تاركة بينها مساحات خالية مما يتيح الفرصة لقيام زراعات محصولية أخرى فى هذه المساحات الخالية وان أهم ما كان يزرع فى تلك المساحات هو الشعير ، فعليه كان يعتمد أهل المدينة بعد التمر ، لأن محصوله يسد جانباً كبيراً من احتياجاتهم الغذائية ، وإلى جانب هاتين الغلتين الرئيسيتين كان يتوفر فى المدينة المنورة محاصيل أخرى ، لكنهما كانت أقل كمية منها ، ومن تلك المحاصيل القمح والكروم والقثاء والبقول ، وكذلك بعض أنواع الفواكه مثل الرمان والليمون وغيرها . (٢)

وإذا ما انتقلنا إلى أنواع الصناعات التى كانت موجودة فى بلاد الحجاز ، فأننا نلاحظ أن المعلومات التى وصلتنا عنها قليلة جداً ، ومتناثرة بين سطور معدودة

---

(١) الفيروز آبادى : المغانم المطابه ، ص ٣٠ . حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، ص ٦٣ . أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٣٥٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٢ .

(٢) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٧٨ . الفيروز آبادى : المغانم المطابه ، ص ١٠٩ . ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨ .

فى بعض المصادر • ومن البديهي أن العمران يتطلب قيام صناعات تتعلق بالبناء •  
من نحت ونجارة وصناعة أبواب وماشابه ذلك ، كذلك عرفت صناعات أخرى مثل صناعة  
القووس والمحاريث والمساحى والمناجل وغيرها من الآلات الزراعية التى يحتاجونها  
فى أعمالهم الزراعية • وما أن المدينة المنورة اشتهرت بوفرة النخيل فيها فقد قامت  
فيها صناعات تعتمد على سعف النخيل مثل الزناجيل ، والجبال وماشابه ذلك من  
مشتقات النخيل • (١)

ومن الصناعات الخشابة التى ورد ذكرها فى وثائق الجنيزه ، صناعات  
الحصير الذى كان شائع الاستخدام فى المنازل والمحلات والمساجد وغيرها ، ومن  
حسن الحظ أن وثائق الجنيزه تمدنا ببعض المعلومات عن صناعة الحصر وصفاته  
وانواعه وأسعاره • كذلك عرفت آنذاك صناعة النجارة اللازمة للبيوت من أبواب  
ونوافذ ومختلف أنواع الأثاث ، وما ساعد على قيام الصناعات الخشبية توفر شجر  
والطرفاء بكثرة فى منطقة الغابة الواقعة فى شمالى غربى المدينة المنورة •  
كذلك اشتهرت المدينة المنورة منذ العصر الجاهلى وحتى العصر الذى ندرسه

- 
- (١) الفيروز آبادى : المعانم المطابة ، ص ١٣٠ •  
المسعودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٨٦ •  
ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨ •  
المراغى : تحقيق النضره ، ص ٦٩ •  
حسين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٥ •



بصناعة الفخار من أوان وباريق وأكواب وجرار وحلل وغيرها من اللوازم . (١)

وكان مما شاهده ابن جبير خلال رحلته الى بلاد الحجاز بعض أنواع متعددة من اللبن في مكة المكرمة . كما تحدث في رحلته عن صناعة السمن وصناعة بعض أنواع الحلوى في مكة المكرمة . وهذه الحلوى كانت تصنع من جميع الفواكه الرطب منها واليابس مضافا اليها العسل والسكر المعقود . (٢)

ولا يغيب عن البال أن نذكر صناعات بعض الحلى التى اشتهرت بها بلاد الحجاز ، منذ العصور الاسلامية الاولى ، واستمرت خلال العصر الذى نحن بصدد دراسته . وتتمثل أهم صناعات تلك الحلى فى صناعة الخواتم والخلاخيل والعقود وكان يستخدم فى صناعتها الذهب والمجوهرات والاحجار الكريمة ، ثم يأتى بعد ذلك فى الاهمية صناعة الأسلحة من سيوف ونبال ودروع وصناعة أدوات والآلات الصييد كالفخاخ والشباك وماشابه ذلك وكان معظم ذلك النوع من الصناعات يتم تصنيعه فى المدينة المنورة . (٣)

- 
- (١) حسنين ربيع : وثائق الجنييزه ، ص ٢٦ .
  - (٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٨٨ . ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١١٨ .  
الجزيرى : درر القوائد المنظمه ، ص ٢٧١ .
  - (٣) الفيروز ابادى : المغانم المطابه ، ص ٢٠٦-٢١٠ .  
المراغى : تحقيق الندره ، ص ١٠٥ . السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٤٨ .  
حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، ص ٨١ ، أحمد شريف : مكة  
والمدينة ، ص ٣٧٨ .

هـ - النقود ودار الضرب بمكة المكرمة :

أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء دار في مكة المكرمة لضرب النقود باسمه (١) وذكر القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" أن المعاملات النقدية المتعامل بها في الحجاز خلال عصر الأيوبيين كانت كالمعاملات النقدية المتعامل بها في الديار المصرية والديار الشامية ، وذلك من حيث التعامل بالدينار والدرهم والقره . (٢) وبالتالي كانت الدراهم الناصرية التي سكها صلاح الدين وكذلك الدراهم الكاملة التي أمر السلطان الكامل الأيوبي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م بضررها وهي دراهم مستديرة متعامل بها في بلاد الحجاز . (٣)

والجانب ذلك كان هناك دراهم أخرى جرى التعامل بها في مكة المكرمة سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م وكانت تضرب مربعة الشكل من معدن الفضة الخالصة ، زنتها نحو النصف ثم انخفض فيما بعد إلى السدس ، وهذه الدراهم تنسب إلى الملك المسعود صاحب اليمن لذلك سميت بالدراهم المسعودية نسبة إلى صاحب اليمن الملك المسعود نور الدين عمر بن رسول . (٤)

- 
- (١) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٩٩ .
  - (٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ . ربيع : النظم المالية ، ص ١٠٠ . عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، ص ٧٣ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٣ . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .
  - (٤) الخزرجي : العقود اللوئية ، ص ١٦٨ . الغساني : العسجد المسبوك ، ص ١٣٨ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

### أعطيات الخلفاء لولاية مكة المكرمة :

ان توفير الطعام للحجاج فى مشاعر الحج مرتبط بالاستقرار السياسى والادارى فى كل موسم ومدى امكانيات السلطان فى توفيرهما للحجاج . (١)

وقد استمر الاستقرار طول عصر الخلفاء الراشدين فالأمويين ، وفترة طويلة من عصر الخلفاء العباسيين . ولكن فى سنة ٣١٧ هجرية تعرض الحجاج لكثير من أنواع الضيق والتعذيب والقرع سواء داخل مكة أو خلال الطريق ويعود ذلك الى أن القرامطة أغاروا فى تلك السنة على مكة المكرمة ونزعوا الحجر الأسود وانتهكوا حرمت البيت الحرام . (٢)

ثم انحسر نفوذ القرامطة وأعيدت الخطبة فى مكة والمدينة الى الخليفة العباسى الراضى سنة ٣٢٧ هجرية ، وأعدت لابنهما الى محمد بن طهسج الأخشىدى حاكم مصر ، فكان الأخشىديون يقدقون الاعطيات على سكان

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٠ .
  - ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٦٨ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١١٩ .
  - (٢) النهروالى : الاعلام ، ص ٥٨ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

الحرمين الشريفين وبالتالي يذكر اسمهم في الخطبة والدعاء لهم على المنابر الى جانب اسم الخليفة العباسي (١) ، ومنذ انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر تنافس الخلفاء العباسيون والفاطيون في السيطرة على الحجاز والدعاء لهم على المنابر ، لذلك أصبح للأعطيات دور كبير في رواج موسم الحج ، وأخذت تتأرجح قلة وكثرة حسب الموقف السياسي والانتقادي من ناحية وحسب قوة وضعف الخلافتين من ناحية أخرى . (٢)

وقد أخذت أعطيات الخليفة الفاطمي تصل مكة المكرمة منذ سنة ٣٥٩ هـ لأن أميرها الشريف الحسن بن جعفر الحسنی أعلن قيام حكم الاشـراف في العام السابق وبادر بالدعوة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله . وحذف اسم الخليفة العباسي فبعث المعز الفاطمي من إفريقية الى مكة المكرمة عسكرياً وأحمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وععدة أحمال

---

(١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٠٠ ، سيدة كاشف : مصرفي عـصر الاخشيديين ، ص ١٥٣ . د . سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٠ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٢١ .

متاع\* (١) فظل يرسل تلك الاعطيات بعد انتقاله الى القاهرة وحتى نهاية

عهده .

وبقيت اعطيات الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تصل بلاد الحجاز ويذكر  
اسمه في الخطبة من فوق المنابر ، ولكن حين توفي سنة ٣٦٥ هـ وتولى الخلافة  
من بعده ابنه العزيز بالله قطعت الخطبة له مدة عامين ودعى خلالهما  
للخليفة العباسي . (٢)

وفي موسم حج عام ٣٣٦ هـ حجت جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني  
صاحب الموصل فأعادت الاعطيات على الحجاج وعلى سكان مكة المكرمة ، كما  
نشرت الذهب في جبل عرفات وفي حجرة العقبة الكبرى بمعنى ، ونظرا لشدة  
الحرارة فانها أسقت الناس الماء الثلج في مشاعر الحج . (٣)

- 
- (١) السباعي : تاريخ مكة ج ١ ، ص ١٧٣ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٦ .
  - (٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٤٦ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٦ .
  - (٣) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
  - الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٤٧ .

ومنذ سنة ٣٦٧ هـ ، وحتى سنة ٤٠٣ هـ أصبحت الاعطيات تأتي لبلاد الحجاز من الخلفاء الفاطميين ، أو من الخلفاء العباسيين تبعاً لميل الاشراف الى أحد الطرفين والدعاء له ، على منابر الحومين في الخطبة والاعیاد . وقد تخلل تلك الفترة بضع سنوات ، انقطعت خلالها الاعطيات عن بلاد الحجاز ، لأن شريف مكة أبا الفتح دعا لنفسه واتخذ ألقاب الخلافة . (١)

لكن الأمير أبا الفتح ندم على ما أقدم عليه فعاد يخطب للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ويعلن الولاء والطاعة له . وبالتالي عادت الاعطيات تصرف عن جانب الخلفاء الفاطميين الى بلاد الحجاز ، واستمرت الحال على هذا المنوال حتى توفي أمير مكة شكر بن أبي الفتح سنة ٤٥٣ هـ . (٢)

وفي سنة ٤٥٤ هـ تولى إمارة مكة أبو هاشم محمد بن جعفر وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي ، ولكن عاد وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي بسبب قلة الاعطيات وفي نفس الوقت أعاد الخليفة العباسي القائم بأمر الله الاعطيات لأمير مكة فأقيمت الخطبة له بدلاً من الخليفة الفاطمي . (٣)

- 
- (١) وقد سبب التحدث عن ذلك تفصيلاً في الفصل الأول .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٧٣ . سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٦ .  
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٧٩ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٧٤ .  
(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٦ . سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٨ .

ونظرا لهذه التقلبات السياسية من جانب ولاية مكة الاشراف في الولاء والطاعة لاحدى الخلافتين تبعا لكثرة أو قلة الأعطيا الواردة اليهم فان الأعطيات زادت لهم وأعدت عليهم ليقموا الدعوة لهذه الخلافة أو تلك ، ومن أمثلة ذلك أنه في سنة ٤٥٥ هـ أمر الخليفة المستنصر الفاطمي داعيه على اليمن محمد الصليحي بالقضاء على الدعوة للعباسيين في مكة واعادة الدعوة للفاطميين فكان من بين الاجراءات ، التي اتخذها الصليحي في سبيل ذلك ، أنه اغدق الأعطيات على ولاية مكة — الاشراف وأحسن معاملتهم وكسا الكعبة ثيابا بيضا . (١)

وفي سنة ٤٦١ هـ انقطعت الأعطيات من بلاد الحجاز التي كان يرسلها الخلفاء الفاطميون الاشراف مكة وذلك بسبب الشدة العظمى التي أصابت مصر في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي ، مما دفع أمير مكة محمد بن جعفر الى أخذ قناديل الكعبة واستارها وصفائح بابها . كما صادر أموال التجار بمكة لينفق منها على شئون امارته . وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة والدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله . (٢)

نال ذلك العمل رضى الخليفة العباسي والسلطان ألب أرسلان الملجوقى الذى

- 
- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٦٦ .  
سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٨ .  
ابن الديبع : قررة العيون ، ج ١ ، ص ٢١٠ .  
(٢) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٩ .

أرسل الى أمير مكة محمد بن جعفر خلعا ومبلغ قدره ثلاثون ألف دينار ، وطلب منه أن يمنع من الأذان " حتى على خير العمل " . (١)

ثم انقطعت الاعطيات لشريف مكة حين توفي الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٦٧ هـ ، لذلك قطع شريف مكة الخطبة للعباسيين وأعادها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، الذي استأنف ارسال الاعطيات لبلاد الحجاز ، ولهذا يمكن القول ، أن أعطيات العباسيين والفاطميين هي التي كانت تدفع أشرف مكة الى الولاء والطاعة لهؤلاء الخلفاء أو أولئك . كما أن هذه الاعطيات كان لها أثرها على الحياة الاقتصادية في الحجاز في العصر الفاطمي . (٢)

وعلى الرغم من أن سيل الاعطيات كان ينهال على شريف مكة محمد بن جعفر فترة حكمه من الخليفة العباسي ومن الخليفة الفاطمي الا أن الحجاج في نهاية عهد ، كانوا غير آمنين على أنفسهم . (٣) ويعود سبب ذلك الى أن سيرة شريف مكة محمد بن جعفر لم تكن طيبة . ولم يستطع فرض الأمن والاستقرار في طريق الحجاج . ومن أمثلة ذلك أنه في سنة ٤٨٠ هـ قام الاعراب بنهب الحجاج ، فلم

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٦ .  
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١١٠ .  
المقريزي : اتعاظ الخفيا ج ١ ص ٦٨ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ص ٥٣ .



يحاول التصدي للأعراب ولم يحاول حتى منعهم من نصب الأعراب وكذلك لم يعمل على تنظيم الأمور الإدارية والاقتصادية في مكة وإقرار الأمن فيها<sup>(١)</sup>.

واستمرت أعطيات الخلفاء العباسيين تصل كل عام بلاد الحجاز لأن شريف مكة قاسم الذي ولي الإمارة بعد وفاة والده محمد بن جعفر سنة ٤٨٧ هـ كان يخطب للخلفاء العباسيين ، ولم يكتف الخليفة المستظهر العباسي بإرسال الأعطيات لشريف مكة الجديد ، بل أرسل له الأموال والخلع أيضا . كذلك عمل ابنه الخليفة المسترشد العباسي فسار على سياسة أبيه ، وفي إرسال الأعطيات والخلع والأموال لشريف مكة<sup>(٢)</sup>.

كذلك استمرت الأعطيات تأتي من الخلفاء العباسيين لبلاد الحجاز طوال عهد الأمير فليته الذي ولي حكم مكة بعد وفاة والده قاسم بن محمد بن جعفر سنة ٥١٨ هـ . لذلك قام شريف مكة الجديد الأمير فليته بمواصلة الخطبة للعباسيين ، كما نجح في فرض الأمن والاستقرار في مكة وطرق الحجاج ، مما كان له أكبر الأثر الطيب في نفوس الحجاج وسكان مكة التجار معا . وقيت أعطيات العباسيين تصل كل عام وفقى هو على ولائه للعباسيين والدعاء لهم حتى وفاته سنة ٥٢٧ هـ<sup>(٣)</sup> ثم انقطعت أعطيات العباسيين ، واستوءت نفست

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٩ . سرور : سياسة الفاطميين ص ٣١ .  
(٢) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٨٧ . باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٥ .  
(٣) الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٥٧ . باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٦ .

أعطيات الفاطميين لأن شريف مكة الجديد أعاد الخطبة للفاطميين . (١)

وهكذا نجد أن الأعطيات هي التي كانت تحدد علاقة أشرف مكة بأحدى  
الخلافتين الفاطمية والعباسية . وقد حرص حكام مكة على إبقاء جعل المودة  
موصولا مع الخلفاء الفاطميين ، رغم الدعاء للعباسيين وذلك حتى تصلهم باستمرار  
انغراق الأعطيات من الفاطميين . (٢)

ومن مظاهر بقاء جيل المودة موصولا مع الخلفاء الفاطميين هو السفارة التي  
قام بها الشاعر عمارة اليمنى بين أمير مكة والخليفة الفاطمي سنة ٥٥٥ هـ . (٣)  
إن كل هذه المعلومات المفصلة ، توضح لنا أثر الأعطيات وانعكاسها على  
العلاقات السياسية بين أشرف مكة ، وكل من الخلفاء العباسيين والفاطميين ، كما  
توضح أن هذه الأعطيات كانت تتأثر بالأحوال الاقتصادية في كل من الدولتين  
العباسية والفاطمية . (٤)

ورغم أن أعطيات الفاطميين لأشرف مكة كانت تتوقف في بعض

---

(١) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٣) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلا في الفصل الأول من هذه الرسالة .  
انظر المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

السنوات بسبب ظروف مصر الاقتصادية ، الا أن الخلفاء الفاطميين حرصوا على علاقاتهم الطيبة مع حكام بلاد الحجاز ، كذلك حرص أشراف مكة على علاقاتهم الطيبة مع الفاطميين وذلك بمواصلتهم الأذان "بحى على خير العمل" مما جعل الخلفاء الفاطميون رغم سوء أحوالهم الاقتصادية فى بعض الأحيان يحرضون على اغداق الأعطيات على أشراف مكة وإرسال الجيوب والأموال الى فقراء الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة . (١)

ورغم ذلك التنافس بين خلفاء الفاطميين ، وخلفاء العباسيين الا أن هذا التنافس لم يتخذ طابع العنف فى بسط سيادتها على الأرض المقدسة . وذلك رغبة من الخلافتين فى أن تظل الأرض المقدسة فى الحجاز بعيدة عن الممارك الحربية . (٢)

ورغم وفرة الأعطيات التى كانت تصل الحجاز من الخلافتين العباسية والفاطمية الا أن أشراف مكة والمدينة لم يقوموا بإصلاحات تذكر فى بلاد الحجاز لأنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الذاتية ويقدمونها فوق كل مصلحة ولم يقيموا الخطبة للخلافة العباسية أو للخلافة الفاطمية الا من أجل إشباع مطامعهم ، حتى يواصل هو "لا" الخلفاء أو أولئك إمدادهم بالأموال مما أدى الى إضعاف بلاد الحجاز

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .  
حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ، ص ١٧٤ .  
(٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

وتأخيرها علميا وماديا (١) . ومن مظاهر ذلك أن المقدس الجغرافى قد وصف بلاد

الحجاز فى القرن الرابع الهجرى بالفقر وقلة التعليم (٢) .

ثم انقطع رافد هام من روافد تلك الأعطيات وذلك حين سقطت الخلافة

الفاطمية سنة ٥٦٨ هـ وفى الوقت نفسه قلت أعطيات الخلافة العباسية (٣) وقد

دفعت الضرائب الاقتصادية بأمراء ركبان الحجاج الى اطعام حجاج ركبهم بأنفسهم

وذلك بتقديم الأطعمة لهم فى مشاعر الحج . وقد استمرت تلك الحال على هذا

المنوال حتى سنة ٥٧٠ هـ وهو العام الذى بدأ فيه صلاح الدين الأيوبي بارسـال

الأعطيات الى مكة المكرمة (٤) .

وحسباً أقوال بعض الرحالة والمؤرخين مثل ابن جبير والقاسى نرى أن المكوس

التي كانت تؤخذ من الحجاج تعتبر المورء الأساسى لامارة مكة ولذلك لم يجـد

اشراف مكة بدا من تحصيلها ولو بالعنف ، وهكذا لم يقبل أمراء مكة المكرمة التنـازل

عن تحصيل تلك المكوس الا بعد أن ضمن صلاح الدين تعويضهم عنها بالأموال والسلع (٥)

(١) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٣٤ .

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٣ .

(٣) القاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ . الغسانى : المسجد المسبوك ، ج ٢ ،

ص ٢٤٦ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ .

(٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٣ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٠ .

ابن الجوزى : مائة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٩ . الغسانى : المسجد المسبوك ،

ج ٢ ، ص ٢٢٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٨ .

وبعد عصر صلاح الدين أخذ أكثر امير مكة يشعر بحاجته الضرورية الى تثبيت وتقوية مركزه أمام رغبة الخلافة العباسية ، في الاستبداد بالحكم ومن ثم أخذ يعمل على تكوين جيش نظامي له ، ويبنى القلاع كي يتحصن بها عند الضرورة . الا أنه لم يخرج حتى هذه اللحظة عن طاعة العباسيين والايوبيين . (١)

ثم انقطعت الاعطيات عن بلاد الحجاز كافة بسبب الفتنة التي قامت بين الاشراف من ناحية وبين رغبة كل من الايوبيين وبنى رسول اصحاب اليمن في السيطرة على بلاد الحجاز ، ومحاولة كل من الفريقين مساعدة الطرف الموالي له من الاشراف . ونتيجة لتلك المعارك الحربية فان مكة المكرمة حسب قول صاحب كتاب " شفاء الغرام " قد قاست في هذه الفترة من الأهوال والمصائب مسالا يوفي حصره وعانت من غلاء المعيشة وقلة الارزاق ما لا يطاق . (٢)

ولم تتعرض مكة خلال هذه الفترة المضطربة لقطع الاعطيات عنها ، بل انه في سنة ٦٣٧هـ و ٦٣٩هـ أحرق الملك المنصور بن رسول دار الامارة بمكة بما حوته من عتاد وسلاح وظفر باجلاء الايوبيين عن مكة . ولما استقر له الامر ألغى المكوس

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٢٨ . أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢١٤ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .  
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٢١٢ .  
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .  
الفساني : المسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

والجبايات ثم ولى على مكة المكرمة الحسن بن علي بن قتادة الذي اعترف بالطاعة والولاء لصاحب اليمن . (١)

ويبدو أن الاعطيات قد توقفت عن أمير مكة ، لأننا نقرأ في سنة ٦٤٨ هـ يمنع الناس من الخروج بعد أن أغلق أبوابها ولم يسمح لأحد بالخروج منها إلا لممن وزن ديناراً عن نفسه وعن كل حمل لديه فاعطاه الناس ما طلب . ويقال : ان أمير مكة هذا كان يميل للمذهب الزيدي اذ عين مؤيداً للزيدية واماماً خامساً في الحرم يوم الزيدية وجعل مقامه أمام الركن اليماني . وما أقدم على أفعاله تلك الا ليتقرب من امام الزيدية باليمن آنذاك وهو الامام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين العلوي . (٢)

ويبدو أن قطع الاعطيات استمر خلال سنة ٦٤٩ هـ أيضاً لأنه ذكر أن الغلاء في هذه السنة قد عظم أمره وارتفعت أسعار الخبز والحفظة والماء والتمر والعسل والدहन . (٣)

- 
- (١) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلاً في الفصل الأول من هذه الرسالة .  
انظر ابن الديبع ، قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٨ .  
القاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢١٥ .  
(٢) الغساني : المسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ .  
ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٣ . القاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .  
(٣) السهمودي : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ١٣٨ . ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٤ . القاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

ولعل هذه الأمور مجتمعة قد دفعت سلطان بنى رسول فى اليمن الى ارسال  
الأعطيات الى مكة فيقال ان أعطياته تلك شملت كل بيت فى مكة المكرمة وانه اطعمهم  
الحجاج فى يوم عرفة ، كما أنه أرسل الغلمان من اليمن الى مكة المكرمة ليقوموا  
بسفاته الحجاج فى مشاعر الحج وبذلك تكون قد انتهت أعطيات الأيوبيين والعباسيين  
لبلاذ الحجاز . (١)

وهكذا بدأت فترة جديدة من تاريخ بلاد الحجاز حيث سيطر بنى رسول  
على مقاليد الأمور بها وكان لها أثرها الواضح على الحياة الاقتصادية .

\* \* \*

- 
- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٦٧ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .  
دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٣٣ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

## الفصل الرابع

### الحياة الاجتماعية و العمرانية



### طبقات المجتمع الحجازى

يضم المجتمع الحجازى شتاتاً من مختلف بلاد العالم الاسلامى لأهميته الدينية عند المسلمين وبالتزواج فيما بينهم لذا ذاب السكان الأصليون مع هؤلاء المجاورين الذين يفدون اليهم كل عام ، واتصف بقاؤههم بأعمال رئيسية أهمها التجارة وبعضهم جاور من أجل طلب العلم الأمر الذى أدى الى زيادة عدد الغرسة الوافدين زيادة كبيرة وقل عدد سكانها الأصليين تبعاً لتضخم المدينة من المجاورين بأعدادهم الكبيرة ويظهر ذلك جلياً فى طبقات المجتمع الحجازى آنذاك والتس نوجزها فيما يلى :

( ١ ) الأمراء : كان أمراء مكة من أسرة الأشراف الحسينيين من أبناء محمد بن جعفر الحنفى محمد بن سليمان (١) واستمرت هذه الأسرة حتى استطاع أبوهاشم محمد بن جعفر سنة ٤٥٥ هـ أن ينتزع إمارتها واستمر حتى سنة ٥٩٧ هـ . وفى تلك

---

( ١ ) تتمثل أسرات الأشراف فى بنى سليمان أبناء الحسن بن جعفر الحنفى تولى أمر مكة سنة ٣٥٨ هـ ثم أسرة المهوشم ٤٥٥ هـ وأخيراً أبناء قتادة بن إدريس سنة ٥٩٧ هـ .

انظر : البرادى ، الدرة السنية ص ٢٢ .  
مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة ، ص ١٨ .

السنة استطاع أبو عزيز قتادة بن ادريس مع لنا قيام الأسرة الثالثة من أسـرات  
الأشراف . (١)

ولقد اتصف الأشراف بحسن معاملة الأسر المقيمة في مكة . كما أنهم كانوا  
يهتمون بسكان البوادي من القبائل ، مما أدى الى استمرارهم فترة طويلة فـسـى  
الحكم ، فقد كانوا يقومون بزيارة مرضاهم ، والذهاب الى جنازتهم لمشاركتهم  
في أحزانهم ، كما كانوا أيضا حريصين وحذرين في مسائل الخصومات . (٢)  
فـعملوا على تجنب الأحكام القاسية . وكانوا يميلون دائما الى طرق الصلح  
في فض المنازعات . وضعت القوانين لهذا الغرض ، ومما يؤيد ذلك  
ما نلاحظه في الوثيقة التي وضعها الشريف أبو نمس الأول سنة ٨٥١ هـ ،  
وتسمى بقانون أبي نمس . (٣)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٣٦ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .  
الجزيري : درر القوائد ص ٢٦٢ .  
المباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٢٠ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .  
الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٦٢ .  
البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٦٥ .  
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٧ .
  - (٣) الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٨٥ .  
ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٥ .  
الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٨٥ .  
الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٤٠ .

(٢) سكان مكة الأصليين :

ومن الجدير بالذكر أن سكان مكة الأصليين من قريش ، وبعض القبائل التي استقرت في مكة نالت من قريش حسن الجوار أما القرشيون الأوائل فقد خرجوا من مكة مع الفتح الاسلامي الى الشام والعراق ، واستقروا في هذه الأمصار ولم يبق من القرشيين الأصليين في مكة الا العدد القليل أضف الى ذلك بعض العائلات القرشية التي سكنت بوادي مكة والطائف حيث كانوا يشتغلون بالزراعة وخاصة في وادي الوهط في الطائف . (١)

(٣) المجاورون بمكة :

وهم الذين يأتون مكة من مختلف أقطار العالم الاسلامي مع ركب الحج في كل عام وجاوروا البيت الحرام ، ومنهم التجار والعلماء وطلبة العلم ومالبثوا أن استقروا والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة واصبحوا يشكلون جزءاً منه . (٢)

- 
- (١) الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٩٠ .
  - ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٦ .
  - البرادعي : الدرة السنية ، ص ٣٣ .
  - علي السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .
  - ياقاسي : بلاد الحجاز ، ص ١١٠ .
  - (٢) القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٩٨ .
  - النهر والي : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٨١ .
  - ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٨ .

ومن المفيد أن نذكر أن المدن في الحجاز منذ القرن الرابع الهجري وفـسـد  
اليها تجار مسلمون من بلاد بعيدة مثل الهند والمغرب والأندلس واستقروا في هذه  
المدن ناقلين اليها منتجاتهم في أوطانهم . (١) ويؤكد هذا القول وثائق الجنيـزـة  
(٢) وما نذكره لنا من كثرة هؤلاء التجار في هذه الفترة الزمنية . ويؤكد هـذا  
القول صاحب كتاب شفاء الغرام (٣) ، حيث يقول : ( أن هؤلاء التجار بنـسـبـوا  
في مكة أربطة كثيرة أوقفت على سكان هذه الأقاليم وجزء منها خصص لسـكـن  
هؤلاء الحجاج في أيام الحج ) .

#### ( ٤ ) أغاوات الحرمين : ( ٤ )

قام هؤلاء الأغاوات بخدمة الحرمين والحجرة الشريفة منذ عهد السلطان

- 
- ( ١ ) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٠ .
  - التبانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٥٤ .
  - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٢٠ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .
  - ( ٢ ) ربيع : وثائق الجنيـزـة ص ٢٥ .
  - بافاس : بلاد الحجاز ص ١١١ .
  - ( ٣ ) الفاس : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٠٢-٥ .
  - ( ٤ ) الأغاوات : جمع أغا والمقصود بها خدم بيت الله الحرام وخدم الحرم النبوي الشريف وهم غالبا ما يكونوا من الأقارعة خصصوا ليكونوا خدما للحرمين .
  - انظر : الانصاري : تحفة المحبين ص ٥٣ .

صلاح الدين يوسف بن أيوب (١) ومن قبل ذلك أن أمراء مكة والمدينة وولاتهم—  
ومن جاور من الحجاج يقومون بالخدمة في المسجدين الحرام والنبوي الشريف ،  
وهم المسئولون عن النظافة فيهما وأمر الخدمات (٢) حتى تولى السلطان صلاح  
الدين أمر بلاد الحجاز سنة ٥٦٨ هـ فأرسل فتيانا من الأخابيش والصقالية—  
وكساهم بملابس بيضاء وعلق عليها اشارات الخاصة بهم فكان أول سلطان وضع  
قاعدة الخدام في الحرمين الشريفين وأوقفت لهم الاوقاف (٣) ، وأهم الوظائف  
التي أسندت اليهم المحافظة على المسجد النبوي نهارا وتقل أبوابه وحراسته—  
ليلا وكذلك تنظيف القناديل ومسحها وتنظيف المسجد وفرش البساط الخاص  
بالأمراء وإيقاد البخور للمسجدين وتطيبب الكعبة بالعطور . (٤)

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١١٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٣ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٢٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٤ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٤ .
  - (٣) الانصاري : تحفة المجيبين ، ص ٥٤ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٥ .
  - (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٣ .
  - السخاوي : التحفة اللطيفة ج (١) ص ٥٠ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٠٩ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٣ .

ويشبه التكوين الاجتماعى بالمدينة نظيره فى مكة من حيث طبقة الاشراف  
من بنى الحسين بن على علاوة على سكانها الاصليين من الاوس والخزرج ثم قلة من  
مهاجرى قريش وكذلك المجاورين الذين استوطنوا دار الهجرة واندمجوا مع  
السكان الاصليين عن طريق النسب يشكلون أكبر نسبة فى عدد السكان . ومن أشهر  
هذه العائلات بنى مهس ، وآل الرفاعى ، وآل سفر ، وآل الطيار . ومن هذه  
الأسر التجار والصناع وطلبة العلم والعلماء الذين جاؤوا فى المدينة المنورة .

\* \*

- 
- ( ١ ) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١١ .  
ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .  
التبانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٤ .

## العوادات الاجتماعية والدينية

لأهل مكة عادات وتقاليد خاصة بهم في حالات الوفاة والزواج والولادة .  
ففي الزواج مثلاً ، اذا رغب فتى الزواج من فتاة ، يتفق أهلها مع أهلها  
على مراسيم الزواج وتقام الولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وكذلك تقام  
الافراح والولائم يومين قبلها ويوما بعدها . (١) وفي الوفاة يقيم أهل المتوفى  
عزاءً هم ثلاثة أيام بعد صلاة المغرب يستقبلون المعزين فيها . (٢) أما في  
حالة الولادة فان المولود يغسل بعد ولادته بأربعين يوماً ، اذا ينظفونه  
ويلبسونه ملابس جديدة بيضاء ولكنها تكون مزركشة بالقصب ويذهبون به  
ويضعونه عند باب الكعبة في مكة . ثم يذهبون به الى المدينة المنورة  
ويدخلونه الحجرة الشريفة ويغسلونه بساترتها ويدعون له بالخير . (٣)

- 
- (١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٤ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٦ .  
العياش : المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ١٨٥ .
  - (٢) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٦ .
  - (٣) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٥ .  
التبانوي : الرحلة ، ص ١٦١ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .  
العياش : المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ١٨٧ .

وكان من عاداتهم أن يقدم كل واحد منهم كل سنة كمية من الحنطة كهدية الى الحجرة الشريفة بعد أن تغسل جيدا ثم يضعها في كيس جديد من القماش ، فاذا وصل الباب المؤدى الى الحجرة الشريفة استغساث برسول الله واضعا الكيس بكل أدب . وهذه الاكياس يأخذها خدام الحجرة ، ويقومون بتقديمها الى عظماء المسلمين في فترة الموسم تبركا . (١)

ولا أهل المدينة أوقاتهم التي يروحون فيها عن أنفسهم ، فيخرجون للتنزه في يومى الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ، فيذهبون فرادى وجماعات ، ويعودون في المساء . وبعضهم يخرج من أول النهار حاملا زاده معــــه وهذه النزهة تسمى مقيالا (٢) . بينما يحب المكيون الذهاب الى الطائف لطيب هوائها وكثرة مائها ومزارعها (٣) .

- 
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٥٠ .  
التبانوى : الرحلة الحجازية ص ١٦٢ .  
العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ص ٢٠١ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢١١ .
  - (٢) العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ص ٢٤١ .
  - (٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٠٤ .  
التبانوى : الرحلة ص ٢٦٤ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢١١ .



ولقد سبق لنا القول بأن المكيين اشتهروا بتأنقهم فى الملابس وكثرت فى ملابسهم الألوان الزاهية . أما الأمراء فكانوا يرتدون ملابس مصنوعة من الحرير وموشاة بالذهب والفضة (١) ومن المفيد أن نذكر بأن هذه الملابس التى كان يرتديها أمراء مكة هى الخلع المرسلة من الخلفاء الفاطميين لهم ثم صار باقى الأمراء يرتدون هذه الملابس الدالة على الأبهة والعظمة . (٢)

أما طبقة العلماء والمجاورين وطلبة العلم فكانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان ويضعون على رؤوسهم العمام ويرتدون الجبة التى تختلف من شخص لآخر حسب ما وصل اليه من درجة علمية . (٣)

ولقد تمتع أهل مكة بفضائل جمّة وأفعال جميلة ومكارم وأخلاق حسنة وإيثار للضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء فمن مكارمهم أنه متى صنع

- 
- (١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٣ .  
البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٤ .
  - (٢) السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٢ .  
المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٨٤ .  
ماجد : نظم الفاطميين ، ص ٩٢-٩٦ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٢ .
  - (٣) البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٥ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .

أحد هم وليمة يبدأ أولاً باطعام الفقراء والمنقطعين المجاورين فيستدعيهم بلطفه  
ثم يطعمهم<sup>(١)</sup> وأكثر المساكين يتجمعون بالافران حيث يصنع الناس خبزهم فإذا  
حمل الواحد خبزه تبعه المساكين فيعطى كل واحد ما قسم له حتى لو كان لديه  
رغيف واحد فانه يعطى ثلثه أو نصفه لطالبه ولا يردده خائباً حتى تطيب نفسه  
من غير ضجر ولا سخط. (٢)

ومن عاداتهم أيضاً استعمال الطيب والاكتمال واستعمال السواك بعيدها  
من الأراك الأخضر. (٣)

\* \*

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٧ .
  - ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٧ .
  - الغمرى : مسالك الأبصار ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .
  - (٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٨ .
  - ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٩ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
  - (٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ .
  - البتانوني : الرحلة ، ص ٢٦٧ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٣ .

## الأعياد والاحتفالات الدينية

لم يعرف المجتمع الحجازى سوى الأعياد الرسمية الدينية التى تمثلت فى عيـدى  
الفطر والأضحى فقد اتسم الأول فى مكة بتزاور أهلها نهارا وليلهم ليلا وذلك  
بالألعاب الشطرنج وسباق الخيل ومارسوا ألعابا أخرى على أصوات المزامير وأنشادهم  
أشعارا فى المدح والغزل والهجاء. (١)

أما النساء فيمارسن ألعابهن فى فترة عيد الأضحى المبارك وفى يوم عرفات  
وأيام التشريق لخلو المدن من الرجال فى هذه الأيام ولانشغالهم فى خدمة حجـاج  
بيت الله الحرام. (٢) وفى عيد الفطر يحتفلن فى بيوتهن وخاصة فى اليوم الرابعـع  
منه الذى يعتبر عيد النساء (٣) فيتزاورون ويقدمن الحلوى المصنوعة بأيديهن التى  
بعضهن. (٤)

- 
- (١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٧ .
  - البتانوى : الرحلة ، ص ٢٦٨ .
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٣ .
  - (٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٥ .
  - البتانوى : الرحلة ، ص ٢٦٨ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٨ .
  - السليمان : العلاقات ، ص ٢١٣ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١١٣ .
  - (٣) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٨ . السليمان : العلاقات ، ص ٢١٣ .
  - (٤) العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ٢١٧ .

وغدت مكة في عهد الفاطميين تمارس أعياداً مختلفة اذ اهتم الفاطميون بعيد المولد النبوي الشريف ولقد انتشر الاحتفال بهذا اليوم في الحجاز كما انتشر عيد مولد السيدة فاطمة رضى الله عنها ومولد السيد خديجة والسيدة آمنه رضى الله عنهما . ولقد احتفلوا بمولد الامام على كرم الله وجهه ومولده ابنه الحسن والحسين - رضى الله عنهما - واحتفلوا بيوم عاشوراء وآخر أربعاء من شهر صفر . (١)

ومن الواضح أن هذه الأعياد مارسها أبناء خلفاء البيت الفاطمى فى مصر وانتقلت الى بلاد الحجاز الذين مارسوها . ويعود سبب ذلك الى أن الحجاز كان خاضعاً لسيطرة الفاطميين فى هذه الآونة ومع كل فلم يكن أهل الحجاز من الشيعة لذلك لم يحتفلوا بأعيادهم مثل عيد الغدير وعيد النبروز وبعض الأعياد التى كانت موضع اهتمام الشيعة . (٢)

---

(١) ان ممارسة الحجازيين لمثل هذه الأعياد انتهى بانتهاء العصر الفاطمى ولم يبق منها سوى الاحتفال بعيد المولد النبوى الشريف الذى يتدارسون فيه السيرة النبوية ومناقب الرسول عليه الصلاة والسلام أما باقى أعياد الشيعة فلم تمارس فى مكة بالرغم من السيطرة السياسية عليها من قبل خلفاء الدولة الفاطمية .

- انظر: الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٨٥ - ٩٠ .
- ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٣ - ٢٨ .
- النهروالى : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢ .
- ماجد : ظهور الفاطميين فى مصر ، ص ٣٢٥ - ٣٣٠ .
- (٢) ماجد : ظهور الفاطميين ، ص ٣٣١ .

ومن المحتمل أن تكون هذه الأعياد ممارسة من قبل الشيعة القاطنين  
ببلاد الحجاز فيما بينهم ، ولم تنتشر في بلاد الحجاز انتشاراً عاماً . وسبب  
انتشار هذه الأعياد أن أمراء الحجاز هم من أبناء الحسن والحسين لذا فقد  
ساعدوا على رواج هذه الأعياد . (١)

كما أن هناك أعياداً احتفل بها أمراء مكة والمدينة وهو الاحتفال بأول يوم  
من الشهر . إذ يخرج أمير مكة مع كبار رجال الدولة يرتدون الملابس البيضاء  
ثم يصلون عند مقام إبراهيم ركعتين ثم بعد ذلك يقومون بتقبيل الحجر الأسود  
ثم الطواف بالبيت سبعاً ثم يرتفع صوت رئيس المؤذنين بأعلى قبة زمزم  
مردداً عبارات الدعاء للامير مهنئاً إياه بدخول الشهر ثم يرفع صوته بالدعاء  
مبتدئاً بقوله "صبح الله مولانا الأمير بسعادة دائمة ونعمة شاملة" ثم يتابع  
الدعاء بتبريك الشهر بعبارات مسجوعة مكللة بالدعاء والثناء مختتماً قوله بأبيات  
في مدح الأمير (٢) . كما يحتفل في الحجاز بظهور هلال شهر

- 
- (١) السخاوي : تحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٥٣ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٧١ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٣ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ . ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .  
الأنصاري : تحفة المحبين ص ٥٨ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢١٤ .  
البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٥٣ .  
إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٢ .

رجب لأن الحجازيين يعتبرونه من الشهور المباركة وهو أحد الأشهر الحرم . (١)

ويؤكد لنا ابن جبير (٢) أن أهل مكة يعتبرون العمرة في شهر رجب تساوى الوقوف بعرفة لذا فانهم يحتفلون بهذا الشهر احتفالا عظيما ويصف موقف المكيين حينما يدخل عليهم شهر رجب فيقول : كان ذلك في ليلة الخميس ، فخرج أهل مكة في تلك الليلة الى التنعيم ميقات المعتمرين وكل يتأنق ويحتفل قدر استطاعته وترى الهوداج تنتشر في بطاح مكة وشعابها وتحشها الابل قد زينت بأبهى أنواع الزينة وبعد قضاء العمرة يذهب أهل مكة للسعى بين الصفا والمروة ، فيزدحم السعى بالساعيات على هوداجهن والساعين وفي ذلك يتلأأ المسجد الحرام بالانوار . وعند ثبوت رواية الهلال لدى الأمير يأمر بضرب

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٥ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .  
البتانوس : الرحلة ، ص ٢٦٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ .

الطبول والريادج والابواق اشعارا بأنها ليلة الموسم<sup>(١)</sup> وبعد أن ينهـوا  
مشاعر العمرة يخرج أهل مكة فى نهار اليوم من شهر رجب يخرج جميعهم  
حسب مراتبهم حاملين أسلحتهم متطين خيولهم ومنهم من يلعب بالأسلحة  
فيضون ذلك اليوم فرحا ولعبا ويظهرون فنونا من ألوان الحرب والدفاع عن  
النفس ولا تزال هذه الألعاب متداولة حتى يخرج الأمير اليهم فيستمرون فى  
اللعب معه ويستمرون فى السير معه بالكبان حتى يصلوا الى المسجد الحرام  
فيطوف الأمير بالكعبة ثم يصلى عند الملتزم ويخرج من باب الصفا الى المسمى  
ومن المتعار أن عمرة رجب يمارسها سكان الحجاز عامتهم طوال شهر  
رجب وتستمر الاحتفالات فى مكة بالعمرة فى الليل والنهار فى هذا  
الشهر. (٢)

وفى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب يحتفل أهل الحجاز

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٢ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٩ .  
البتانوى : الرحلة ، ص ٢٧٠ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٩ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٠ .

احتفالا عظيما . ويعتَمرون في هذه الليلة ، ويسمون العمرة فيها عمرة الأكمة<sup>(١)</sup>  
لأنهم يحرمون فيها من أكمة مسجد عائشة رضی الله عنها والأصل في هذه العمرة أنهم  
يحتفلون ببناء البيت زمن عبد الله بن الزبير . (٢)

ويقال بأن هذه الليلة ليلة الاسراء والمعراج ، وبقيت هذه العمرة سنة متبعة عند  
أهل مكة . وبعض المكيين يذهبون الى المدينة وبعض المدنيين يذهبون الى مكة  
ويحتفلون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب يفتح بيت الله الحرام للنساء خاصة  
فتحتفل نساء مكة في هذا اليوم ويسمون ذلك اليوم يوم الزينة المشهور عند نساء مكة<sup>(٣)</sup>  
وتعتبر ليلة النصف من شهر شعبان المبارك من الليالي التي يحتفل فيها

- 
- (١) الأصل في هذه العمرة نسبة الى أن ابن الزبير أكمل بناء الكعبة في هذه الليلة  
وخرج ماشيا حافيا معتبرا حتى وصل الى الأكمة والأكمة هي ثيابه الحجـون  
الذي دخل منه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة كما أن هذه الليلة هي  
ليلة الاسراء والمعراج لذا فهم يحتفلون بها .  
انظر : القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٨٧ .  
النهر والى : الأعلام ، ص ٨٣ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٧٠ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٣ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦١ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٠ .  
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٠ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٢٤ .  
البتانوني : الرحلة ، ص ٢٦٩ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٢ .



أهل الحجاز فيتسابقون في هذه الليلة الى أعمال البر والخير كما أن بعض المكيين يذهبون للاعتبار في هذه الليلة ، وبعضهم يتجمع في المسجد الحرام لقراءة القرآن الكريم والطواف والصلاة جماعات وفردى وفي هذه الليلة يقرأون سورة يس .<sup>(١)</sup>

ولقد استمرت هذه العادة الدينية حتى زمن سلاطين المماليك ويذكر لنا ابن بطوطة<sup>(٢)</sup> أن هذه الليلة من الليالي العظيمة عند أهل مكة اذ يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف والصلاة والاعتقاد ويجمعون في المسجد الحرام على شكل جماعات لكل جماعة امام . ويوقدون السرج والمصابيح والمشاغل . ويقابل ذلك ضوء القمر يتلألأ في الأرض والسماء يصلون مائة ركعة يقرأون في كل ركعة أم القرآن . وسورة الاخلاص يكررونها عشرا وبعض الناس يصلون في الحجـر منفردين وبعضهم يطوف بالبيت الشريف وبعضهم يخرج للاعتبار .

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٥ .  
العمري : مسالك الابصار ، ج ١ ص ٨٨ .  
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٦٦ .

ومن المعلوم أن سكان الحجاز يحتفلون بهلال شهر رمضان المبارك فيضربون الطبول عند باب أمير مكة ويبدأ الاستعداد للاحتفال في البيت الحرام فتجدد فيه الحصر ويكثر من إيقاد الشمع والمشاعل حتى يتلأأ المسجد الحرام نورا وتقام فيه صلاة التراويح ومن عاداتهم الإفطار في الحرم المكي في شهر رمضان . (١)

ويحسن بنا القول أن نذكر بأنه في مطلع القرن السادس الهجري أقيم في الحرم المكي المقامات الأربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، واتخذ كل مذهب من المذاهب ناحية من نواحى المسجد الحرام فالشافعية اتخذت لها الناحية الشرقية من المسجد والاحناف والحنابلة الناحيتين الغربية والشمالية أما المالكية فقد اتخذت الركن اليماني مقرا لها . وبعد ذلك انشئ "مقام الزيدية وجعل الركنين ويقوم كل امام في صلاته بجماعته المعتقدين مذهبه . (٢)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .
  - القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤١ .
  - ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .
  - القاسى : تحصيل البرام ، ورقة ٨٦ .
  - الجزيرى : درر القوائد ، ص ٢٧٨ .
  - القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٣ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٢ .

ويذكر لنا ابن جبير (١) أن عامة الناس بمكة كانوا يعتنقون المذهب الشافعى أما الأمراء فغالباً اعتنقوا المذهب الحنفى . وكثيراً ما كان يحدث الخلط بينهم فرفع أصوات الأئمة يومى إلى عدم سماعهم من قبل المصلين وربما يحدث الخلط بين المصلين فيركع المالكى بركوع الشافعى ويسجد الحنفى بسجود الحنبلى وظل الحال على هذا الفوال إلى أن صدر أمر السلطان الناصر فرج المملوك سنة ٨١١ هـ بأن يصلى الشافعى بالجميع . (٢)

ومن المعلوم أن العشر الاوآخر من رمضان أن يحيا كل وتر منها كل ليلة فى الليلة الحادية والعشرين يختم أبناء مكة القرآن ويحضر هذه الليلة القاضى وجماعة من العلماء وبعد أن يفرغ الصبية من القراءة يقوم بعضهم بالقراءة خطبة فى الجالسين وعلى والد الصبى أن يقوم بعمل وليمة لهؤلاء الضيوف فى منزله (٣) وفى الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان يختم القرآن أيضاً

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ : ١٠٧ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٠ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢١ .

من قبل هو "الغلمان ويختار من بينهم غلام ويقوم والده بالاحتفال بالجلوس ويحضر لهم جميع الفواكه الموجودة في البلد رطبة أو مجففة مع القيام بعمل الحلوى المصنوعة بأيديهم ويوقد الشمع ويؤم الأطفال المصلين في صلاة التراويح مرتديا أفراس ثيابه مكتحل الصينين مخضوب الكفين إلى الزندين ويعمل له منبر من الخشب يصعد له لتلاوة القرآن ويقوم المدرس بالقراءة خطبة يلهم بها أفئدة السامعين لتذكيرهم وحشهم ثم يسكت الخطيب حتى يفرغ الغلام من قراءة القرآن ثم يختتم الخطيب خطبته ذاكرا فيها البيت العتيق مذكرا الناس بمآثر البيت مشيرا إلى توديع الشهر المبارك والدعاء للخليفة وللأمير. (١) وفي الليلة الخامسة والعشرين يحضرون غلاما يقارب الغلام الأول سنا ويحضرون الشموع والفواكه الموجودة آنذاك ويزينون الحطيم بقناديل الشموع

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٦ •  
القاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٩٠ •  
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٨ •  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٣ •  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٩٨ •  
البتانوني : الرحلة ، ص ٤٢ •

المختلفة ويعمل محراب ومنبر من الخشب يحيطونه بالشمع ويحتفل  
الناس بشهادة هذا المنبر ويعتبر هذا الاحتفال الثالث من العشر  
الأواخر ويصلى بهم الصبي صلاة التراويح ثم يخرج من محرابه الى المنبر  
مرتدياً أفخر الثياب ويسلم على الحضور ويخطب في الناس بسكينة ووقار  
خطبة أبلغ من خطبة سابقة وبعد الانتهاء منها توزع الأطعمة على  
الحضور أو يذهبون الى منزل والد الغلام لتناول الطعام . (١)

ومن أعظم ليالى الوتر عند الملكيين ليلة السابع والعشرين من رمضان  
اذ يحتفلون بهذه الليلة أكثر من احتفالهم بالليالى السابقة اذ يختتم  
فيها القرآن الكريم ويقام الاحتفال قرب مقام الشافعية وينصب فيه الخشب  
حتى الحطيم وتبسط الأطباق الصفراء حيث تعلق في الهواء

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٢ .  
الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٨٠ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .  
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٩ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٤ .

بواسطة سلاسل مربوطة بنصب الخشب وتوقد الشموع وتشعل المصابيح وقناديل  
الزجاج فيبدو المنظر وكأنه موائد ذات أرجل مشتعلة بالأنوار ويوقدون الشموع  
أيضا أعلى قبة زمزم<sup>(١)</sup> ويضعون صبيان مكة على شرفات الحرم • ويضعون  
في هذه الشرفات المشاعل ويتبارى الأطفال في سرعة ايقاد هــــــ  
المشاعل فيتبادر للناظر أن النار تشب من شرفة الى شرفة لاختفائهم  
وراء الأضواء ويرفع الأطفال أصواتهم قائلين : يارب يارب بصوت واحد  
فيتقدم القاضي فيصل بالناس صلاة العشاء قارئا سورة القدر ويكــون  
بأقى الأئمة قد ختموا القرآن في الليلة السابقة وتقام الصلاة خلف امام  
واحد ثم يدعو بهم دعاء ختم القرآن ثم يخطب فيهم خطبة يذكرهم فيها  
بأهمية ليلة القدر ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة والامير ويسلم

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٤ •  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٢ •  
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٦٣ •  
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٩ •  
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٥٨ •  
الانصارى : تحفة المجيبين ، ص ٦٠ •  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٤ •  
التبانينى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٦١ •  
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٢١ •

عليهم ويحتفلون بليلة التاسع والعشرين من رمضان بإيقاد الشموع  
والمشاعل ويكثر اشعال الشمع في هذه الليلة ثم يجتمع الأئمة الخمسة  
يتدارسون علوم القرآن ومعهم الصبية يستمعون الى هذه المناظرة . (١)  
وماكان يحدث في مكة كان يحدث في المدينة المنورة وفي الطائف  
ونلاحظ أن الحجاز يختلف عن باقي أوصار الدولة الاسلامية فــــــ  
احتفالاته واحيائه وقراءة قرآنه . (٢)

وما يجدر ذكره في هذا المجال أن شهر شوال يعتبر عند أهل  
مكة هو أول أشهر الحج المعلومات فيحتفلون بعيد الفطر المبارك .  
ومن المعروف أن أيام العبد هي أربعة أيام ثلاثة منها للرجال ويوم  
للنساء ثم بعدها يستعد سكان مكة لأعمال الحج ومايقدمونه

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٨ .  
الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٨١ .  
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٩ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٤ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .  
البتانوني : الرحلة ، ص ٥٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .  
العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ١٥٤ .

من خدمات للحجاج في أشهر الحج وأمكنة المشاعر وتوفير السكن للحجاج في مكة المكرمة لاستقبال أعظم عيد عند المسلمين وهو عيد الأضحى المبارك الذي يسبقه يوم عرفة فيفد إلى مكة لأداء النسك وفود الحجاج من جميع أقطار الدولة الإسلامية لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام . (١)

\* \* \*

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٦٩ .  
الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٧٨ .  
الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٢٣ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٥ .  
الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٨٦ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١١٨ .



### الملابس والأطعمة والأشربة

لقد عرف الحجاز فى هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث ألوانا مختلفة من الألبسة فقد صنعت ثياب من الحرير والكتان وأنواع أخرى من الثياب تتسلافاً إذا انعكست عليها أشعة الشمس وأنواع أخرى من العمام المزركشة بما يشبه القصب وانتشر لباس الجبة . (١)

ومن المفيد ذكره أن سيطرة الفاطميين على الحجاز أدى الى انتشارها وأن خلع الفاطميين التى كان يمنحها الخلفاء للوزراء كانت ترسل من مصر لأمراء مكة والمدينة فى الأعياد والمناسبات وهذه الخلع كانت تطعم بالذهب والفضة وكثرة ألوانها الزاهية . كما أن هذه الثياب الموشاة بالطرز الفاطمية انتشرت بين سكان مكة والمدينة . (٢)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ .
  - ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٤ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .
  - البتانوى : الرحلة ، ص ٢٩ .
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٥ .
  - (٢) ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ١١١ .

ولقد طورها التجار من المكين بسبب اختلاطهم بتجار الهند فان  
الطرز أصبحت تختلف عن طراز الفاطميين بما أدخلوه من تغيير من الطرز  
الهندية . واستمرت هذه الثياب الموشاة طيلة العصر الايوبي . (١) أما  
العلماء وطلبة العلم والمجاورون فقد كانوا يرتدون ثيابا وجبها مصنوعة من  
الكتان وغالبا ماكانوا يرتدون عمام سوداء . (٢)

ومن عاداتهم في الطعام والشراب فان الحجازيين يقومون بتقديم  
الشاي تحية للقدامين عليهم . كما أنهم يقيمون الحفلات ويتفاخرون  
بتقديم أصناف الطعام المختلفة في شكلها وطعمها ولقد تنوعت الاطعمة  
في الحجاز فمنها الهندي والشامي والمصري والخراساني وتقدم هذه  
الاطعمة في الولائم على سطح تمر على الأرض . (٣)

- 
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٥ .  
التبانوني : الرحلة ، ص ٥٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٤ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٤ .  
باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٣ .
  - (٢) البتانوني : الرحلة ، ص ٥١ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٥ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٤ .
  - (٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٦ .  
البتانوني : الرحلة ، ص ٥٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٥ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٥ .  
باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٤ .

## المنشآت الاجتماعية بمكة والمدينة

### أ - المنشآت الاجتماعية بمكة :

تتمثل هذه المنشآت في حفر الآبار وبناء العيون والاربطة واقامة السبل  
وانشاء البرك وهذه المنشآت هي :

#### الآبار:

بئر زمزم : كان العرب في الجاهلية يتبركون بمياه زمزم واستمر ذلك  
على مر العصور منذ زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ولاريب في ذلك  
فما زمزم من المياه المباركة المفيدة للانسان الدواء الشافي لما يشكون منه من  
أمراض (١) ولقد قام بأمر سقاية الحجاج من مياه زمزم في العصر الجاهلي العباس  
ابن عبد المطلب ثم أقر هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة  
وقد استمر عمل السقاية في البيت العباسي حتى زوال الخلافة

---

(١) الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٥٣ .

الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٤٤٣ .

الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٥٨ .

الأموية ثم استمرت بعد ذلك في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٣٨ هـ إلى آل الزبير بن العوام (١) واستمر أمر السقاية حتى الوقت الحاضر على أيدي هذه الأسرة التي لم تهمل خدمتها بل قامت بخدماـت كثيرة إذ أمر الخليفة أبو العباس السفاح ببناء حجرة بجوار زمزم لمن يتولـى أمر السقاية منها (٢) ولقد أقيمت على بئر زمزم قبة عام ١٣٨ هـ مـمع زيادة عدد البرك داخل الحرم وذلك تسهيلا لسقاية الحجاج وتجنبـا لازدحامهم على حوض واحد وفي سنة ١٢٣ هـ أقيمت مظلة المـوءـذنين فوق بئر زمزم بجوار القبة التي شيدت سابقا وزيد عدد البرك أيضا وذلك فـى عهد هارون الرشيد من أجل السقاية واحضر خمسين من الغلمان الخراسانيين في نفس السنة لسقاية الحجاج من ماء زمزم فيما بين الصفا والمـسـرودة (٣)

- 
- (١) تولت أسرة الزبير بن العوام أمر السقاية بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وكانوا يتولون أمر التوقيت للأذان في مكة ، لذا أطلق اليهم بيت الويس نسبة إلى رئاستهم للتوقيت .  
انظر : الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٥٥ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ٨٣ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٤٣ .  
(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ١٠٧ .  
(٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ١١٠ .

كذلك بنيت قنوات بأمر الخليفة المعتمد عام ٢٢٠ هـ وذلك لايصال ماء زمزم بالبرك الكائنة بالمسجد ولقد هفت نفسه الى نقش جدران حجرة السقاية بالسيفساء ووضع الرخام في أرض زمزم والشباك الحديدى فوقها ثم أصلحت البرك التى تصدعت داخل الحرم فى عهد الخليفة المتوكل على الله وذلك فى عام ٢٤٠ هـ ووجدت مظلة الماء ذنين فوقها . (١)

وفى عهد المهتدى بالله جدد بناء البرك داخل الحرم وبنى بساب حديدى على زمزم يخلق ليلا بعد صلاة العشاء ويفتح مع صلاة الفجر وتم هذا فى عام ٢٥٦ هـ . (٢)

وبعد هذه الفترة الزمنية لم تذكر لنا المصادر التاريخية خدمات أو اصلاحات سوى ماقدمه الخلفاء والأمراء من أعطيات لمن يتولى السقاية بمكة المكرمة .

- 
- (١) الأزرقي : أخبار مكة ٦ ج ٢ ص ١١٢ .  
القاسى : العقد الثمين ٦ ج ١ ص ١٢٠ .  
(٢) القاسى : العقد الثمين ٦ ج ١ ص ١٢٣ .

الآبار في مكة :

(١) بئر العجسول :

حفرها كلاب بن مرة وجعلها لسقاية الناس وتقع هذه البئر عند باب الوداع في دار أم هانئ\* ولهذه البئر أهميتها بالنسبة للحجاج حيث يتزودون منها الماء حينما يدخلون مكة . (١)

(٢) بئر بنس :

تقع في أعلى مكة حفرها قصي بن كلاب وجد د بناءها جبير بن مطعم بنس عدى بعد أن طهرت وهذه البئر ظل يستقى الناس منها حتى زمن الماليك . (٢)

(٣) بئر بندر :

حفرها هاشم بن عبد مناف واختلف المؤرخون حول من قام بحفرها فيقول ياقوت أن الذي حفرها هو عبد الدار<sup>(٣)</sup> ويروي البلاذري أن الذي حفرها هو قصي ابن كلاب (٤) بينما يذكر الأزرق أن الذي حفرها عبد المطلب بن هاشم وهو

- 
- (١) الأزرق : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٥ .
  - (٢) الأزرق : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٦ .
  - القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٦٨ .
  - البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٧ .
  - (٣) ياقوت : المعجم ، ج ٣ ص ٣١٨ .
  - (٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٨ .

أرجح الآراء وأصلح على تسميتها أخيراً باسم بئر الحمام . (١)

(٤) بئر سجلة أو بئر بنى نوفل :

وتقع بين الصفا والمروة وقد أعطاهما عبد المطلب لمطعم بن عدى لانشغال

بسقاية الحجاج من بئر زمزم . (٢)

(٥) بئر طسوى :

تشتهر بعدوة مائها وخصصت لسقاية الحجاج وسكان مكة لوقوعها فـى

مدخلها وقد خفرها عبد شمس بن عبد مناف . (٣)

(٦) بئر خم ورم :

خفرتا أيضاً بواسطة عبد شمس وجعلها لسقيا أهل مكة والحجاج وخفرها

بعد أن انتاب مكة عصر الجفاف . (٤)

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة ج ٢ ص ٢١٢ .

القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٦٨ .

(٣) هذا البئر موجودة حتى الوقت الحاضر يقصدها الحجاج ويتوضأون بمائها  
من أجل التبرك بها وهى ضمن أوقاف عائلة السيد فضل عقى وهم من أبناء  
الحسين بن على رضى الله عنه .

انظر البلاذرى : فتوح البلدان ج ١ ص ٥٨ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة ج ٢ ص ٢١٩ .

(٧) بئر الجفر:

حفرها أمية بن عباس شمس لسقاية أهل مكة وتقع بطرف أجناد قـرب  
البيمارستان المستنصرى وحينما تعطلت هذه البئر سنة ٦٣٣ هـ أمر الخليفة  
العباسى بإصلاحها. (١)

(٨) بئر السنبلة :

تشتهر بعدوثة مائها وتقع بأسفل مكة وسميت ببئر النبى - صلى الله  
عليه وسلم - وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم - بصر فيها حتى  
اصطلح على تسميتها أخيرا ببئر التفلة. (٢)

(٩) بئر السيرة :

كان يشرب منها سكان مكة لغزارة مائها بعد سقوط الأمطار. (٣)  
ومن المفيد أن نذكر أن هذه الآبار قد حفرت فى العصر الجاهلى  
ولما تم للرسول - صلى الله عليه وسلم - فتح مكة أصلح هذه الآبار وجردها

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٧٤ .  
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٩ .  
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٧٤ .



بعضها واشرف على اصلاحها عتاب بن اسيد والى مكة . واهتم الخلفاء الراشدون والامويون الذين ساروا على نهجهم بتوفير المياه واصلاح هذه الآبار . (١)  
ومع بداية مطلع القرن الخامس الهجرى نشطت بناء الارططة فى مكة بواسطة التجار والامراء الذين اهتموا ببنائها وخفر الآبار بداخلها لتوفير المياه لسكانها حتى أننا نجد فى شرط الوقفية ذكر لكلمة سبل السقى يذكرها المؤرخون فى شرط وقفية الرباط أو المدرسة . وفى هذا دلالة واضحة على استمرار حفر الآبار فى بعض هذه الارططة .

\* \*

---

(١) السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٥٣ .

## العيون

عين شعب الارئين : أمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان واليه على مكة  
عام ٤٣ هـ باجراء عين تستمد ماءها من عين قديمة بشعب الارئين ومد قنوات  
منها لايصال مائها الى المساكن المجاورة للحرم حتى لايعانى الحجاج صعوبة  
فى حصولهم على الماء . (١)

ويعتبر هذا الصنيع من حسنات معاوية التى قدمها لسكان مكة .

## عين الرشاش :

أجريت فى عهد هارون الرشيد وتقع فى أعلى مكة داخل شعب  
الخرمانية . وقد أمر الخليفة بإيصال قنوات من هذه العين الى قنوات  
معاوية . (٢)

وقد استفاد سكان مكة والحجاج معا من هذه العيون ، وما تجدر الإشارة  
اليه أن الخليفة هارون الرشيد قد دفع أموالا لأصحاب عين الرشاش لشراءها

- 
- (١) الازرقى : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٢٥ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ٦٠ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٦ .  
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٧ .

منهم ليستفيد أهل مكة وحجاجها من مائها<sup>(١)</sup>، ويعتبر هذا من أهم الخدمات التي قدمها الرشيد لسكان مكة والوافدين إليها.

### عين حنين :

بعد أن تعرضت الآبار المحيطة بمكة لموسم الجفاف استغل أهل مكة الموقف لصالحهم وبدأوا في احضار المياه من خارج مكة وبيعها للحجاج حتى بيعت الراوية بعشرة دراهم<sup>(٢)</sup>، وفي هذه السنة ١٩٣ هـ حجت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وشاهدت معاناة الحجاج في الحصول على الماء فأمرت وإلى مكة بدراسة مصادر المياه وكيفية وصولها إلى مكة وبعد أن أجريت هذه الدراسة تبين أنه لا يمكن دخول ماء الحل إلى الحرم بسبب صعوبة جغرافية مكة وخاصة المنطقة المحيطة بالحرم ، لذا رأى وإلى مكة والصناع زيادة حفر الآبار داخل الحرم ولم تقتنع السيدة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٧ .

الفاكهي : المنتقى ، ص ٦٦ .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

الفاكهي : المنتقى ، ص ٦٧ .

زيدة بهذه الدراسة فأوجدت من بغداد المهندسين والصناع والزمتههم بضرورة  
ايصال مياه عيون الحل الى داخل الحرم ، وأظهرت الدراسة أن هناك  
عيونا خارج الحرم منها عين حنين ، وعين وادي النعمان يمكن الاستفادة  
منهما في سقاية أهل مكة وأمكنة المشاعر . (١)

فأمرت السيدة زيدة ببناء قناة يجرى فيها الماء محترفة الجبال والسهول  
وأقامت على قمم الجبال بركا مختلفة لاستقبال مياه الأمطار وايصالها  
بالقناة الرئيسية لمجرى العين حتى كثرت المياه ولم يعد للناس شكوى  
من نقص الماء ونبتت السيدة زيدة البرك المختلفة على امتداد مجرى القناة  
حتى وصل الماء الى الحرم بالاضافة الى بناء البازانات في كل حي من  
أحياء مكة من أعلاها حتى الحرم . (٢)

ولقد أنفقت السيدة زيدة في سبيل ذلك أموالا طائلة وأوصلت بعض

- 
- (١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ص ٤٢٢ .  
الفاكهي : المنتقى ، ص ٧٠ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٧ .  
عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ٨ .  
(٢) الفاكهي : المنتقى ص ٧٢ .  
ملا قلندر : الخلاصة المفيدة من ص ١٠ - ١٢ .

الآبار القديمة التى تقع فى طريق مجرى القناة الرئيسية واشترت عيونا كثيرة مثل عين ميمونة ، وعين الصرفه ، وعين ثقبه ، وعين الخريبات وأصلقتها جميعها فى قناة واحدة بعين حنين وأمرت بعمل البوك حول الحرم<sup>(١)</sup> ، ومن المفيد أن نذكر فى هذا المقام أن توفير المياه فى مكة المكرمة يعتبر من أهم الخدمات التى قدمتها السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وهذا المشروع لازال باقيا حتى الوقت الحاضر يحمل اسمها على مر العصور التاريخية<sup>(٢)</sup> ، كما أن الدراسة الحديثة عن توفير المياه فى مكة لم تتوصل لمعرفة مصدر جديد للحياة سوى إضافة عيون لهذه العين التى اعتمد عليها مشروع السيدة زبيدة .

وفى سنة ٢٥١ هـ تعطلت مياه عين حنين فى احدى بركها ، فأخبر والى مكة الخليفة المعتز بن المتوكل العباسى بهذا الخراب الذى حدث لهذه العين فأرسل له أموالا لاصلاحها فتم اصلاحها وأضيف اليها عدة آبار

- 
- (١) ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ١٥ .  
محمد رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢١١ .  
محمد أنور شكري : لوحان أثريان ، ص ٤٠ .  
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٢٨ .  
ابن القلاح الحنبلى : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٧٦ .

لتغذية المجرى الأساس للعين<sup>(١)</sup> حتى زاد منسوب الماء وفى سنة ٢٧٠ هـ تعطلت بعض الباذانات فى مكة بسبب دخول الأثرية الى المجرى الأصل للعين مما أدى الى تصدع القناة الأساسية لمجرى العين فأرسل والى مكة الى الخليفة العباسى المعتمد بالله تخبره بما حدث للعين من خراب فأرسل الخليفة اليه الأموال لاصلاح القناة التى تعطلت والباذانات وأمره بتعيين رجال لحراسة قناة ماء العين والاشراف على نظافتها من ترسب الأثرية فى قنواتها فقام والى مكة بتعيين الحواس وأشخاص يهتمون بتنظيف مجرى القناة من الأثرية ولاخبار والى مكة لوطى خراب فى العين .<sup>(٢)</sup>

ومن المعلوم أن أمكنة المشاعر كانت تتزود بمياه الآبار ، وفى عوفة أرسع آبار<sup>(٣)</sup> وفى المزدلفة مثلها<sup>(٤)</sup> ومن خمس عشرة بثرا وهذه الآبار منها ما خفر

- 
- (١) الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٢٥٨ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٩٢ .
  - (٢) الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٢٣٢ .
  - الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٢٣١ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢١١ .
  - ملا قلندر : الأحوال الفريدة ص ١٦ .
  - (٣) الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٢٣١ .
  - القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٥ .
  - (٤) الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٢٣١ .
  - القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٤ .

بأمر من الخلفاء الراشدين ومنها ما حفر بأمر من خلفاء الدولة الأموية ، ومنها ما حفر بأمر من خلفاء الدولة العباسية الأوائل . (١)

وفي سنة ١٩٢ هـ نقصت مياه الآبار في أمكنة المشاعر وأصاب الحجاج عطش شديد حتى بلغت راوية الماء عشرة دراهم وعلت السيدة زبيدة بما عاناه الحجاج وقد سبقت الإشارة لما قامت به السيدة زبيدة في هذا المجال آنفاً وتبعاً لذلك مدت عين وادي النعمان إلى أمكنة الشاعر وبنيت القنوات من هذا الوادي حتى جبل الوحمة في عرفة في جوف الأرض ، وبنيت لها برك في عرفة لتصب قناة العين فيها ثم تسير هذه القناة مع سفوح الجبال الممتدة حتى مزدلفة في قناة محكمة حتى تصل إلى الفجر قرب منى وتنتهي هذه القناة عند بئر زبيدة لتصب فيه لسقاية الحجاج في أيام منى . (٢)

ومن المفيد أن نذكر أن بناء هذه القناة يعبر عما وصل إليه الفن المعماري

- 
- (١) ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ٢٠ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٧ .
  - الفاكهي : المنتقى ص ٨٩ .
  - ملا قلندر : الخلاصة المفيدة في أحوال عين زبيدة ، ص ١٣ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢١٣ .
  - محمد شكرى : لوحان أثريان ، ص ٨ .

الهندس في تلك الحقبة الزمنية إذ أن القناة لاتسير في خط واحد داخل الأرض بل في تعارج اقتضتها طبيعة الأرض إذ أن انحدار الماء داخل القناة كان انحدارا تدريجيا .

لم يستطع هو<sup>١</sup> لا<sup>٢</sup> الصناع أن يوصلوا هذه العين الى مكة لصعوبة المنطقة ووهولتها فاكثفوا بأن تكون عين وادي النعمان لسقيا أمكنة المشاعر ثم بنى فيما بين عرفة ومزدلفة ومنى خمس وعشرون خرزة لسقيا الحجاج في موسم الحج . (١)

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن أية اصلاحات حدثت لهذه العين سوى ما نشره ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين عن أربعة نقوش أثرية ثلاثة منها تشير الى اصلاح عين عرفة والمصانع التي بها في عهد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله والنقش الرابع يشير الى اصلاح هذه العين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ، ص ١٥ .

محمد شكري : لوحان أثريان ، ص ١٩ .



المنصور المستنصر بالله ولقد نقلت هذه اللوحات الى مصلحة الآثار العامة بالملكة العربية السعودية وما جمعتها هذه المصلحة من نقوش وآثار مختلفة لم تتم دراسته بعد وسأكتفى بما أوردته ابراهيم رفعت في كتابه واليك نص النقش الاول :

(( بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى امام الله ظل مولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، أمر الامام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زيد الديين صاحب اربل سنة ٥٠٠ هـ لابن جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الاسلام )))

ولدينا عدة ملاحظات على هذا النقش :

أولاً : أنه ذكر اسم خليفتين هما الناصر لدين الله والمستنصر بالله وهذان الخليفتان لم يكونا في هذه الحقبة الزمنية • وأن زمن خلافة الخليفة الناصر لدين الله تنحصر في الفترة من ٥٧٥ هـ الى ٦٢٢ هـ . (١)

---

(١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ج ١ ص ١٣ ، ج ٢ ص ٣٤٩ .

ثانياً : ان الأمير نصير الدين صاحب اربل كان متولياً اتابكيه  
اربيل في الفترة من ٥٦٣ هـ حتى ٥٨٦ هـ (١) وهذا أيضاً يختلف مع ذكره  
عن تاريخ اصلاح العين كما ورد بالنقش و خلاصة القول أن هناك خطأ فى  
تحديد تاريخ الاصلاح المذكور بالنقش فالمرجع الذى أورد هذا النقش  
ذكر التاريخ بالأرقام فى حين أن العادة جرت فى كتابة مثل هذه التواريخ  
بالحروف وليست بالأرقام ويبدو أن ابراهيم رفعت لم يحاول التحقيق فى  
صحة هذه التواريخ وربما يعود ذلك الى عدم تخصصه أو أن عوامل  
التعريف قد أثرت بشكل أو بآخر على هذا النقش مما جعل من الصعب  
قراءته وقد حاولنا قراءه هذا النقش من مصلحة الآثار فلم نستطع  
ولم تتح لنا الفرصة من أجل التحقيق التاريخى .

ويستدل من النقش الثانى على عمارة عين عوفة والمصانع والبرك بأمر  
ال خليفة العباسى الناصر لدين الله سنة ٥٨٤ هـ ونصه كالتالى :  
((( بسم الله الرحمن الرحيم : أمر سيدنا ومولانا الامام خليفة الله  
على كافة أهل الاسلام أبوالعباس أحمد الناصر لدين الله أعز الله

---

(١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام ،  
أجزل الله ثوابه آمين ، وذلك على يد الأمير الاصفهيتلار<sup>(١)</sup> والكبير مجير  
الدين أمير الحاج والحرمين طاشتكين نصر أمير الموّ منين آدام الله توفيقه ،  
وذلك فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة))) . (٢)

وأما النقش الثالث يشير الى عمارة عين عرفة فى سنة ٥٩٤ هـ بأمر من  
ال خليفة العباسى الناصر لدين الله واليك نص النقش الثالث :

(( بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبى وآله ،  
أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التى بها ملتفة مولانا أمير الموّ منين أعز  
الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سوء له ومناه وأمله ومبتغاه فى سلالتـه  
الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهيتلار<sup>(٣)</sup> الكبير

---

(١) الاصفهيتلار وصحته الاسفهلار وهو لفظ فارسى تركى ، الكلمة الاولى  
أسفه فارسى وتعنى المقدم والثانية سلار تركية وتعنى العسكر فيصـبـح  
معنى اللقب مجموعا مقدم العسكر وكان هذا اللفظ مستعملا فى الدولة  
الفارسية ومنها انتقل الى بغداد حتى عصر الاتابكة .

حسن الباشا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق ، ص ١٥٧ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرّمين ، ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) هكذا مذكور فى النص . انظر حاشية (١) فى الصفحة السابقة .

مظفر الدين بكبرى (١) بن على صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله  
سلطانه وأعلى أبدأ شأنه سنة ٥٩٤ هـ تقبل عن يد عبدالرحمن بن أبى  
جرى (٢) غا الله عنه (٣) .

ولقد تعطلت عين عرفة مدة عشرين عاما لذا فان الخليفة العباسى  
المستنصر بالله أمر باصلاح العين والبرك التى تعطلت بسبب الخراب الذى  
حدث لها واليك نص النقش :

(( بسم الله الرحمن الرحيم ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) شرع  
لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه الباهى بهم الملائكة صلى الله تعالى  
ورجاء غوه ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مضرا ) بالارسل (٤)

- 
- ( ١ ) وصحة الاسم مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبى الحسن على كجك بن  
بكتكين . ولد سنة ٥٤٩ هـ فى الموصل أما كوكبرى الذى ذكرها ابراهيم رفعت  
( بكبرى ) نصحتها كوكبرى أو كوكبرى وهى مكونة من لفظين ( كوك ) وهو تركى  
بمعنى أزرق و ( ىرى ) ويعنى ذئب والاسم مجتمع يعنى ذئب أزرق .  
انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٢٧٧ .  
محسن محمد حسين : اربل فى عهد الاتابكة ، ص ١٨٧ .
- ( ٢ ) ويبدو أن عبد الرحمن بن أبى جرى هو الذى اشرف على اصلاح العين  
لذلك ورد اسمه فى النقش الأخير .
- ( ٣ ) انظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢١٥ .
- ( ٤ ) يبدو أن النقش أورد كلمة الاربل وكان يقصد بها الاربل وهى المدينة التى  
كان يتولى حكمها مظفر الدين كوكبرى ، أنا صاحب تاريخ اربل فى عهد الاتابكة  
كان يذكر كلمة اربل ويقصد بها مظفر الدين حاكم اتابكيه اربل .  
انظر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ، ص ١٥٨ .

الاشرف النبوى الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شرفا ، وقد شاده  
جلال المطوع<sup>(١)</sup> بعمارة عين عوفة والبرك التى بها ملتفة بعد عطلها خرابا  
عشرين سنة ، المولى الامير الكبير السيد المولى يد مظفر المجاهد شرف  
الدين جلال الدولة عبد الخلافة<sup>(٢)</sup> المعظم محى الامامة المكرمة ملك  
الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الامام الاغر أبو الفضائل والمكارم  
أمثال الخاص النبوى المستنصرى خاص أمير المومنين<sup>(٣)</sup> مملوك سيدنا  
ومولانا الامام الاعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الامم عبد الله خليفة الله  
فى أرضه المستنصر ابد بالله أمير المومنين ))) .

\* \*

- 
- (١) جلال المطوع هو الذى اشرف على عين عوفة بأمر من صاحب اتابكين اربل  
محسن محمد حسين : اربل فى عهد الاتابكة ، ص ١٨٩ .  
(٢) أورد هذا اللقب ابن خلكان فى كتابه وهو من ألقاب الامير مظفر الدين  
انظر ابن خلكان : ج ١ ص ٨٧ .  
(٣) أورد هذا اللقب صاحب كتاب ( النوادر السلطانية ) ص ١٠٥ .

## الاربطه في مكة

من المعلوم أن بداية بناء الاربطه في مكة بدأ منذ مطلع القرن الخامس الهجرى . ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن الاربطه اقيمت فى مكة قبل هذا التاريخ . ويعود السبب فى ذلك الى كثرة الوافدين الى مكة لاقامتهم من أجل طلب العلم والبعد عن العواصم الاسلاميه التى كانت تزج بكثرة الفتن التى انتابت هذه الحقبة الزمنية . (١)

والاربطه التى ذكرتها المصادر هى :

### (١) رباط السارة :

أوقف هذا الرباط سنة ٤٠٠ هـ ، كما يذكر الفاسى . وأن هذا الرباط يقع عند باب السلام ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سوى شرط واحد لوقفية هذا الرباط وهو أن يكون سكنا للمنقطعين . وهو أول رباط أنشئ فى مكة (٢) .

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٩ .  
المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ١٢٨ .  
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .

(٢) رباط دار الخيزران :

ويقع هذا الرباط قرب الصفا<sup>(١)</sup> . ويذكر الفاكهي في كتابه ان دار  
الخيزران أوقف على أن يكون رباطا للمنقطعين والغرباء سنة ٤٠٢ هـ .  
ويقول النهرواني أن الذي أوقف هذا الرباط والى مكة . وأنه جعل  
في شرط وقفه أن يكون سكنا لاقامة الحجاج في فترة الموسم .<sup>(٣)</sup>

(٣) رباط الفقاعية :

أوقفت هذا الرباط والددة الخليفة العباسي المفتدي بالله على النساء  
المنقطعات الاعجبيات وأن تاريخ وقفه سنة ٤٩٢ هـ .<sup>(٤)</sup>

(٤) رباط القزويني :

أوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ ، ويقع قرب المسجد الحرام ، ويذكر لنا<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
  - (٢) الفاكهي : المنتقى ، ص ٨٤ .
  - (٣) النهروالي : الاعلام ، ص ٩٨ .
  - (٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .
  - ابن بهير : الجامع اللطيف ، ص ٧٨ .
  - (٥) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٦٣ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .

الفاكهى (١) والفاسى انه لم يعرف من الذى اوقفه وان شرط وقفته على جميع الرجال الغرباء المقيمين فى مكة من سائر أنحاء العراق . واشتهر هذا الرباط باسم رباط القزوينى لأن حجاج قزوين ، كانوا ينزلون فسى هذا الرباط فترة الموسم . (٢)

٥) رباط الدمشقية :

انشاء تجار مدينة دمشق ، وسمى رباط الدمشقية نسبة الى مدينة دمشق حاضرة الشام ، واقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ . وشرط وقفته على الفقراء من أهل الشام والعراق العلماء منهم والمجاورين فى مكة والحجاج . (٣)

٦) رباط الزرندى :

أوقف الشيخ نجيب الدين أبوالحسن محمد من أهل زرنده (٤)

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٣ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٨٥ .
  - (٢) باقازى : بلاد الحجاز ص ١٢٨ .
  - (٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .  
النهروانى : الاعلام ص ٩٨ .
  - (٤) زرنده بلدة تقع بين اصفهان وساوه وهى مدينة قديمة وكبيرة وهى من أهم مدن كرمان .  
انظر : ياقوت معجم ج ٣ ص ١٣٨ .



رباطا جعل شرط وقيته أن يكون سكنا للغرباء من أهل زرنده وسأوة<sup>(١)</sup>  
المقيمين في مكة وللحجاج القادمين من بلاد فارس لهم حق الإقامة فيه فـس  
فترة الموسم . (٢)

(٧) رباط المغاربة :

في سنة ٥٦٢ هـ اوقف مجموعة من تجار بلاد المغرب رباطا فـس  
مكة . (٣) ، ويقول الفاكهي<sup>(٤)</sup> ان هذا الرباط يقع عند باب العمرة .  
بناء تجار المغرب لكي يكون سكنا للمقيمين في مكة من طلبة العلم  
للرجال دون النساء ، وان يسمح للحجاج بالسكن في هذا الرباط  
فترة الموسم . ويذكر لنا أحد المعمرين في مكة أن هذا الرباط كان

- 
- (١) سأوة : بلدة تقع بين الوري وهمدان .
  - انظر : ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ .
  - (٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٧٦ .
  - (٤) الفاكهي : المنتقى ، ص ٨٩ .

موجودا عند باب العمرة أحد أبواب الحرم الشريف . وقد ازيل فى  
التوسعة الاخيرة التى قام بها جلالة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٧٥ هـ .

#### (٨) رباط الحضارمة :

أسس هذا الرباط سنة ٥٧٠ هـ . ويقع فى منطقة اجياد .<sup>(١)</sup> والذين  
بنوه تجار من مدينة حضرموت وان شروط وقفه على طلبة العلم  
المقيمين فى مكة ، وان يكون سكنا للحجاج القادمين من حضرموت فى  
فترة الموسم<sup>(٢)</sup> . وان هذا الرباط لازال موجودا حتى الوقت الحاضر .  
وقد جدد بناؤه فى العصر الحديث .

#### (٩) رباط المرائى :

اوقف هذا الرباط قاضى القضاء أبوبكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم  
المرائى سنة ٥٧٥ هـ . ويقع هذا الرباط عند باب الجنائز .<sup>(٣)</sup> وان

- 
- (١) القاسى : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٧٠ .
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤١ .  
القاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٦ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ٩١ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤ .  
القاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٨ .

شرط وقفته أن يكون مقصورا على الصوفية من الرجال الزهاد من العرب  
والعجم الذين يقيمون في مكة •

#### (١٠) رباط البخارية :

أوقف هذا الرباط سنة ٥٧٦ هـ مجموعة من تجار مدينة بخارى • ويقع  
هذا الرباط في منطقة السوق الصغير بمكة المكرمة • وجعلوا شرط وقفته  
أن يكون سكنا للحجاج من بلاد بخارى • وأن يسكنه الفقراء المقيمون  
في مكة طوال السنة ماعدا موسم الحج • (٢)  
ولتجار بلاد بخارى عدة أربطة أكثرها في أسفل مكة (٣) وغالبا لا يعرف  
تاريخ وقفيتها ومن الذي أوقفها ، ولا يزال موجودا فيها حتى اليوم خمسة  
أربطة •

#### (١١) رباط الخاتون :

أوقفت الشريفة فاطمة الخاتون (٤) رباطا سمي بلقبها سنة ٥٧٦ هـ • وعرف

- 
- (١) الفاكهي : المنتقى ص ٩٢ •
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤١ •
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ •
  - (٣) يسمى هذا الحي الواقع جنوب مكة باسم حي المسغلة نسبة الى أسفل مكة •  
انظر : ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٨٠ •
  - (٤) الشريفة فاطمة بنت الشريف محمد الحسني محمد بن سليمان وكانت تلقب  
بالخاتون •  
انظر : الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ •

فيما بعد برباط ابن محمود لأن المشرف على هذا الرباط كان اسمه ابن محمود  
ويقع هذا الرباط عند باب العمرة . (١) وأن شرط وقفته على الصوفية  
الرجال من العرب والعجم . (٢)

#### (١٢) رباط قايمـاز :

نسبة الى الأمير قايماز بن عبد الله بن قلع بن ارسلان الشامى السلجوقى  
من أمراء سلاجقة الروم والارمن . أوقفه على المجاورين المقيمين فى مكة من  
الأنحاف فى سنة ٥٧٨ هـ . وعلى أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم . (٣)

#### (١٣) رباط الزنجبيلسى :

فى سنة ٥٧٩ هـ بنى عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن امام  
مدرسته فى مكة عند باب العمرة رباطا أوقفه على طوب المدرسة وعلى  
الانحاف المقيمين فى مكة . (٤)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢ .  
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٦ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .
  - (٢) الفاكهى : المنتقى ، ص ٩٤ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٤٤١ .  
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٥ .
  - (٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢ .  
أبوشامه : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٦ .  
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٩١ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .

(١٤) رباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه :

---

أوقف هذا الرباط سنة ٦٠٤ هـ . ويقع فى السوق الصغير ويعرف  
برباط المغاربة نسبة لأنه يقع فى زقاق المغاربة .<sup>(١)</sup> وسمى بهذا الاسم  
لأنه يقع فى دار عثمان وأنه موجود حتى وقتنا الحاضر . وقد جدد بناؤه  
فى العصر الحديث ، وعليه نقش يقرأ على هذا النحو :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد  
وعلى آله .

(٢) هذا ماوقف وجبى وسبل<sup>(٢)</sup> وتصدق به القاضى الفقيه الموفق  
المكين الأمين جمال الدين .<sup>(٣)</sup>

(٣) ولى أمير الموٴ منين أبو الحسن على بن القاضى السعيد الايمن  
أبى القاسم عبد الوهاب بن الشيخ أبى عبد الله بن محمد .

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .

القاسى : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ .

(٢) سبل والمقصود بكلمة سبل نسبة الى السبيل والسبيل عبارة عن مياه  
الشرب التى تقدم سبيلا للناس . والغرض من كلمة سبل لوجود بئر فى  
داخل الرباط وجعله سبيلا لكى يرتاده الناس للشرب .

(٣) هو القاضى أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن محمد بن أبى الفتوح  
الاسكندرى ، انظر هذا النسب الذى ذكره ابن فهد .

انظر : ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٧ .

(٤) ابن أبي الفرج العدل بالأعمال المصرية رضى الله عنه ، وقف

وحبس وسبل وتصدق بجميع هذا الرباط .

(٥) على فقراء المغرب الغرباء المتعبدین ذوی الحاجات المجردین

ليس للمتأهلين فی حظ ولا نصيب .

(٦) تقبل الله ذلك منه واثابه عليه بالاحسان وقف ذلك وحبسـه

بجميع حقوقه وقفا صحيحا .

(٧) " (١) فمن غير ذلك فعليه لعنة الله

ولعنة اللاحين وجرى ذلك فی سنة أربع وسبتمائة .

فان هذا الرباط لم تذكره المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة الزمنية . وان هذا النقش يوضح لنا تاريخ تأسيس هذا الرباط وان الذى بناءه هو أحد قضاة مصر جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى — أبو القاسم عبد الوهاب بن الشيخ ابن عبد الله محمد بن أبي الفرج ، وانه أوقفه وتصدق به على الفقراء المغاربة الغرباء ، المنقطعين فى مكة للعبادة .

---

(١) لم أستطع قراءة هذه الكلمات الموجودة فى بداية السطر السابع من هذا النقش .



كذلك بنى بیمارستان عرف بالمستنصرى عام ٦٤٨ هـ فى مكة لمعالجة  
مرضى الرجال والنساء • ولقد أمر بإنشاء الخليفة العباسى المستنصر بالله  
عند مدخل شعب أجیاد (١)، وهو عبارة عن مئین أحدهما خاص بالنساء  
وثانيهما خاص بالرجال • وكل مبنى مكون من طابقين • وإمام كل طابق  
روقه خاصة به وبينهما فناء به بئر خصص لسقيا من يسكن هذا بیمارستان مسن  
المرضى والخدم والاطباء • (٢)

### السبل والسبك :

نظرا لضرورة توفر المياه فى مكة فقد أهتم بعض الخلفاء والأمراء والسلاطين  
وعامة النامرينشاء السبل والسبل عبارة عن خرائات صغيرة تبني على فوق  
سطح الأرض تملأ بالمياه لسقيا الناس فى غدوهم ورواحهم بها • ومن أهم  
هذه السبل التى تذكرها لنا المصادر التاريخية هو سبل الجوخى (٣)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٦ •
  - القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٢١ •
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ •
  - القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢١ •
  - النهروانى : الاعلام ص ٩٩ •
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٦ •
  - النهروانى : الاعلام ص ١٠٠ •



ويقول الفاسي : ان الذي أمر ببنائه هو الخليفة المقتدر بالله العباسي . وأمر  
بحفر بئر خلف هذا السبيل ، ليتزود منه السبيل بماء الشرب . (١)  
الفاكهي موقعه ، اذ يقول انه يقع بمنى قرب حجرة العقبة الكبرى . وهو  
أقدم سبيل مكة (٢) .

وتوجد غده سبيل انشئت لسقيا الفاسي من أهمها : سبيل الملك  
المنصور ، صاحب اليمن بمكة الذي أمر ببنائه . وجدت عمارة هذا السبيل حينما  
تعطل زمن سلاطين المماليك . (٣)

في سنة ٥٧٩ هـ ، أمر الزنجبيلي ببناء سبيل قرب المسجد الحرام حيث يقع  
قرب مدرسته التي أمر ببنائها في السنة نفسها (٣) .

ومن المعلوم أن بأعلى مكة عدة سبل لم توضح لنا المصادر التاريخية تاريخ

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٧ .
  - (٢) الفاكهي : المنتقى ، ص ٩٦ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٨ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٨٤ .  
علي السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٦ .
  - (٤) النويري : نهاية الأرب ج ٣ ص ٢١٢ .

بنائها ، ومن أوقفها ، ويعرف منها سبيل واحد يسمى بسبيل أم سليمان المتصوفة . (١)

أما عن أهمية البرك ، فقد اقتضت الحاجة ببنائها لاستخدامها فى الأغراض التالية وهى :

لتخزين مياه الأمطار فى أطراف الأودية ، ولسقى الدواب التى كانت هى الوسيلة الوحيدة للنقل آنذاك . وتبنى داخل البساتين لتدريب أبنائهم على السباحة ، وفرت منها قنوات لوى المزارع . (٢)

وتوجد بركنان بأعلى مكة عند باب المعلاة متلاصقتين أحدهما لتخزين المياه والأخرى لسقى الدواب . وتوجد بأعلاهما أيضا بركتان بداخل بستان المصارى . وهاتان تستخدمان لوى زرع هذا البستان (٣) وفى شعوب بنى هاشم قرب مكان ولادة النبی صلى الله عليه وسلم بركة يستخدمها الناس لسقى الدواب . (٤)

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٨ .
  - (٢) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٦٦ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحريين ج ١ ص ٣٢٩ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٦٠ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٩ .
  - (٤) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٦٢ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٠ .
  - الفاكهى : المنتقى ص ١٠٢ .

وبأمكنة المشاعر توجد عدة برك لم توضح لنا المصادر التاريخية من أمر  
بنائها ، وذكر لنا الفاس أن إحدى هذه البرك أمر ببنائها والدة الخليفة  
المقتدر بالله العباسي (١) ونرى بعضها بأمر من المظفر صاحب اربل . وبأسفل  
مكة بركة كبيرة تسمى بركة باب الماجن ، إذ تقع عند باب مكة المعروفة  
بباب الماجن . وتستخدم هذه البركة لسقيا المزارع التي تقع بأسفل مكة .  
ولم تذكر لنا بعد ذلك المصادر التاريخية أى توضيح عن باقى البرك الستى  
أنشئت داخل الحرم وخارجه وعن تاريخ بنائها .

\* \*

---

(١) الفاس : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٠ .

## المنشآت الاجتماعية في المدينة المنورة

من أهم المنشآت الاجتماعية التي تمت في المدينة في هذه الحقبة من البحث هي الآبار والعيوان وأنشاء البازانات في جميع اطراف المدينة لتوفير المياه للحجاج ، وإقامة الأريطة لسكنى الغرباء والمنقطعين الذين كان قصدهم المجاوره .

### الآبار :

من المفيد ذكره أن المدينة بلد زراعى لأنها تشتهر بكثرة مياهها ، ولذلك تشتهر منازلها بوجود آبار في داخلها هي :

#### ( ١ ) بئر أنسا :

هي بئر ليهود بنى قريظة وتقع في منطقة العوالى بالمدينة ، يستفيد منها سكان المدينة في سقيا مزارعهم . ( ١ )

#### ( ٢ ) بئر أنس :

هي ملك لأنس بن مالك وقد زارها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتشتهر بعدوية مائها . ( ٢ )

- 
- ( ١ ) ابن شبه : تاريخ المدينة ورقة ٢٠٢ .  
عبد القدوس الأنصارى : آبار المدينة ص ٢٤١ .  
( ٢ ) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ص ٩٥٣ .  
العباسي : عمدة الأخبار ، ص ٢٦٦ .

(٣) بئر اهاب :

يقع فى الحرة • ارتادها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب منها  
ويسببها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها • (١)

(٤) بئر حلوة :

وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد فى زقاق حلوة • وهذه البئر أوقفت  
فى القرن الرابع لسقيا الحجاج • (٢)

(٥) بئر القريصة :

تقع فى شرق المدينة أتاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشرب  
منها • ويقال بأن خاتمه وقع فيها • وهى معروفة حتى اليوم ببئر الخاتم •  
يقصدها الحجاج للزيارة تبركا بها • (٣)

- 
- (١) ابن شبة : تاريخ المدينة ورقة ١٠٣ •  
السمهودى : وفاء الوفاء ج ٦ ص ٩٥٤ •
  - (٢) المرائى : تحقيق النضرة ص ١٠٧ •  
السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٦٢ •
  - (٣) المرائى : تحقيق النضرة ص ١٢٤ •  
العباس : عمدة الاخبار ص ٢٢٦ •  
الانصارى : آثار المدينة ص ٩٥ •

(٦) بئر حار :

هذه البئر ملك لابی طلحة الخزرجی وتقع خارج سور المدينة المنورة .  
وجعلها وقفاً لسقيا الحجاج الوافدين الى المدينة . (١)

(٧) بئر عروة :

وتقع فی طرف وادی العقیق . وتنسب الى عروة بن الزبیر . وتشتهر  
بعذوبة مائها . ويذهب اليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها . (٢)

(٨) بئر فاطمة بنت الحسين :

تقع فی الحرة جنوب غربی المدينة المنورة . وقامت بحفرها السيدة  
فاطمة بنت الحسين . وواقفته لسقيا المسلمين . (٣)

- 
- (١) السهمودی : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .  
العباسی : عمدة الأخبار ص ٢٥٤ .  
(٢) ابن شبة : تاریخ المدينة ورقة ١١٣ .  
السهمودی : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .  
الانصاری : آثار المدينة ص ٩٥ .  
العباسی : المدينة بین الماضی والحاضر ، ص ٢١٨ .  
(٣) ابن الاثیر : الكامل ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .  
السهمودی : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٩٠ .  
العباسی : عمدة الأخبار ، ص ٢٥٦ .

## العيون :

### ( ١ ) عين الخيف :

تقع شمال شرق المدينة المنورة ، من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح • ولقد انشئ لها قنوات ومجارى لسقيا المزارع التي تحيط بها واصلحت هذه القناة التي خربت في عهد الخليفة هــارون الرشيد ولم تذكر المصادر التاريخية ان اصلاحات حدثت لهذه العيون في الحقبة الزمنية لهذا البحث •

ومن المفيد أن نذكر أن أصحاب المزارع اهتموا باصلاح هذه القنوات حينما تعطل لانهم المستفيدون من ذلك • ( ١ )

### ( ٢ ) عين الشهدا :

تقع هذه العين قرب جبل احد شمال المدينة • وانشئت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة • واصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة الى

- 
- ( ١ ) ابن هشام : السيرة ، ج ٣ ص ١٢٨ •  
الانصارى : اثار المدينة ص ١٠٢ •  
على حافظ : فصول في تاريخ المدينة ص ٣٨ •  
حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ص ٥٤ ، ٥٥ •

شهداء<sup>١</sup> أحد أو الى حمزة بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم . ويذكر لنا  
المسعودي أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية من أبي سفيان . أما  
المراغي فانه يؤكّد بأنها كانت عينا قديمة . وكان يستفيد منها المزارعون  
في سقيا مزارعهم . ومن المرجح أنها سميت بعين الشهداء نسبة الى  
شهداء أحد . ومن الملاحظ أن الذي كان يقوم باصلاحها حين خرابها  
أصحاب المزارع لحاجتهم اليها في سقيا مزارعهم . (١)

### (٣) عين الزرقاء :

تقع جنوب غرب المدينة . وتستمد ماءها من عين الجعفريه . تتصل  
بمياه آبار عديدة . أوصلت بواسطة قنوات لتتصل هذه الآبار بعضها  
ببعض لتلتقى بمجرى هذه العين ثم تنقسم الى ثلاث قنوات رئيسية تصب  
في ثلاثة بازانات بداخل المدينة لسقيا أهلها والحجاج معا . (٢)

- 
- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ص ٣٠ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٣ .  
العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى ص ١٤٢ .  
حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ص ٦١ .  
(٢) الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٤ .  
على حافظ : فصول من تاريخ المدينة ص ٤٠ .  
العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى ص ١٤٠ .



ولقد أنشأ هذه العين الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠ هـ جريسة بعد أن رأى راحة أهل الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام وكان هدف الخليفة واهتمامه من إيصال ماء العين إلى المدينة هو استمالة سكانها اليه . (١)

وسميت بعين الزرقاء نسبة إلى وإلى المدينة مروان بن الحكم لزرقته عينيه (٢) . وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية إذ أن أحـدى هذه الآبار المتصلة بها تسمى ببئر الأزرق . وهي تقع قرب عين جـمرانـه . (٣)

وتذكر لنا المصادر أن هذه العين لم يحد ثلثها إصلاح سوى ما قام به ابن أبي الهيثماء (٤) سنة ٥٦٠ هـ حينما تعطلت بعض قنوات هذه

---

(١) أحمد الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية ص ٦٥-٧٠ .

الانصاري : آثار المدينة ص ١٠٧ .

(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٠٦ .

(٣) المرائي : تحقيق النضره ص ١٤٨ .

ابن الثمار : الدرة الثمينة ص ١٨ .

(٤) هو مقاتل بن عطية ولد سنة ٥١٥ هـ جريسة وكان شاعرا ويعتبر من شعراء العصر العباسي الثاني ولقد قصد الذهاب إلى أدياء النسل سنة ٥٦٠ هـ . وحينما ذهب إلى زيارة المدينة المنورة قام بأعمال خيرية فيها . منها عمل البازانات وزيادة عدد قنوات العين .

انظر : ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٨ ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، وخير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج ٩ ص ١١٩ .

العين ، اذ أمر باصلاحها ، وقام ببناء بازانات جديدة تحت سطح الأرض ينزلها السقاء بواسطة سلالم بنيت لهذا الغرض . كما أنه قام بتعيين عمال يشرفون على هذه العين وتنظيف قنواتها الرئيسية من الترسبات . (١)

### (٣) الأربطة :

لقد نشط بناء الأربطة في المدينة منذ بداية القرن الخامس الهجرى . وكان الغرض الاساسى من بنائها لتكون سكنا للمجاورين والمنقطعين والغرباء والارامل وطلبة العلم ، لكى يقيموا فيها . وبعضها خصص فى شرط وظيفته أن يكون سكنا لزوار المدينة . ومن أهمها :

#### (١) رباط سيدنا عثمان بن غان :

فى سنة ٤٢٣ هـ اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار الصغرى لسيدنا عثمان بن غان رضى الله عنه . وجعلوها رباطا لطلبة العلم من بلاد المغرب (٢)

- 
- (١) السهمودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١١١٨ .  
المراغى : تحقيق النضرة ص ١٣٦ .  
(٢) المراغى : تحقيق النضرة ، ص ١٢٦ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ٤٩ .

الذين يقيمون في المدينة • وان تجعل هذه الدار سكنا للحجاج في موسم الحج • (١)

ولقد تمت توسعة هذا الرباط فيما بعد • وبعد توسعته خصصوا غرفة منه لتكون مكتبة • وغدت هذه المكتبة من أهم المكتبات التي احتوت على أعظم كتب الفقه المالكي ويمكن القول بأن هذا الرباط كان يسكنه علماء وطلبة العلم اذ انها كانت تقام فيه حلقات الدروس • (٢)

ويذكر بعض نظار هذا الرباط وصفا لهذه المكتبة ويقول ان الدواليب أو الخزائن الحاوية للكتب الموجودة في مكتبة هذا الرباط قد اهديت الى مكتبة الحرم النبوي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري • (٣)

## ٢) رباط الناصر لدين الله :

أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة ٥٧٠ هـ ببناء

- 
- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة • ص ٥٨ •
  - (٢) الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٥٠ •
  - (٣) المرجع السابق ص ٥٣ •

رباط فى المدينة المنورة ليكون سكنا لطلبة العلم والغرباء المقيمين فى  
المدينة • ويقع هذا الرباط عند باب النساء قرب الحرم النبوى الشريف<sup>(١)</sup> •

(٤) رباط المرائى :

اقف قاضى القضاء أبوبكر محمد بن عبدالله المرائى سنة ٥٧١ هـ  
رباطا يقع عند باب السلام • وجعل فى شرط وقفته أن يكون سكنا  
لصوفية الزهاد المقيمين فى المدينة • وان يكون سكنا للحجاج من العرب  
والعجم للزيارة لفترة الموسم • (٢)

(٥) رباط البخارية :

لقد بنى تجار مدينة بخارى عدة أربطة فى المدينة • وأشهرها الرباط  
الذى يقع أمام باب الرحمة وجعلوا شرط وقفته أن يكون سكنا للمجاورين  
والغرباء المنقطعين فى المدينة المنورة • (٣)

- 
- (١) المرائى : تحقيق النصرة ص ١٧٨ •  
القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٢ ص ١٦١ •  
الانصارى : آثار المدينة ص ٥٤ •  
(٢) العباسى : عدة الاخبار ص ٣٩٦ •  
المرائى : تحقيق النصرة ص ١٧٨ •  
الانصارى : آثار المدينة ص ٥٥ •  
(٣) المرجع السابق ص ٥٦ •

(٦) رباط الزنجبيلى :

أمر ببناء هذا الرباط عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن فى سنة ٥٧٩ هـ ويقع عند باب النساء • أوقفه على الاحناف المقيمين فى المدينة المنورة • وجعل فى شرط وقفته أن يكون سكنا للحجاج القادمين من عدن أثناء موسم الحج • (١)

(٧) رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله :

أوقت والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسى رباطها المعروف بالمدينة المنورة قرب باب جبريل عليه السلام سنة ٥٩٩ هـ ، وجعلت فى شرط وقفته أن يكون سكنا للفقراء المنقطعين المقيمين فى المدينة وسى هذا الرباط فيما بعد باسمها • (٢)

(٨) رباط الاصفهانى :

أوقف جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصفهانى رباطه المعروف

---

(١) المرائى : تحقيق النضرة ص ١٧٩ •  
ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٨ •  
(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٩ •  
المسعودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٥٧ •

برباط الاصفهانى • ويقع هذا الرباط فى الدار الكبرى لسيدنا عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه • وأوقف هذا الرباط فى أواخر القرن السادس  
الهجرى • وجعله سكنا للفقراء المنقطعين من الاعاجم من بلاد الفرس •  
ويذكر السهمودى بأن هذا الرباط يسمى برباط العجم نسبة الى شرط  
وقفته ولقد جعل شرط وقفته بأن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم •  
(١)

#### (٩) رباط خالد بن الوليد :

يقع هذا الرباط فى دارى خالد بن الوليد • وعمرو بن العاص حيث  
كانتا متجاورتين وقد اشتراهما تجار بلاد غزنه سنة ٦٢٠ هـ • وبنيتا  
رباطا بعد هدمها لمبنى الغرباء من سكان الهند المجاورين فى المدينة •  
وكان شرط وقفته أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم • وسى هذا  
الرباط فيما بعد برباط السبيل • (٢)

- 
- (١) المرائى : تحقيق النضرة ص ١٨٠ •  
السهمودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٥٨ •  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمينة ، ص ٨٠ •  
الانصارى : آثار المدينة ، ص ٥٧ •

## الحياة العمرانية

### توسعة المسجد الحرام وعمارته :

أول من قام بتوسعة المسجد الحرام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أدخل ضمن مساحة المسجد الدور المجاورة بعد أن اشتراها وهدمها • وأحاط المسجد أيضا بجدار قصير ثم سار على نهجه ونسج على منواله من تولى الخلافة بعده وهو عثمان بن عفان الذي قام بتوسعته وعمارته •  
(١)  
ويذكر لنا الأزرقى (٢) في كتابه أن عبد الله بن الزبير قد زاد في الجدار المحيط بالمسجد ورفعده وسقف جزءا منه ليحتمى الناس تحته حماية من أشعة الشمس •

ويقول الفاكهي : (٣) ان توسعة ابن الزبير كانت من جانبه الشرقي وبعد أن تم القضاء على عبد الله بن الزبير وتمكن عبد الملك بن مروان أمر واليه

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ٨٩ •  
الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٢ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٦٨ •  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ص ٣٤ •  
(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ٩٠ •  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٨ •  
(٣) الفاكهي : المنتقى ص ٧٤٠ •  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٩ •

على مكة الذي يدعى الحجاج بن يوسف الثقفي بتجديد بناء المسجد  
الحرام والكعبة الشريفة مما حدث لها من خراب وأرسل الأساطعين لتزيين  
بها أروقة المسجد .

ويذكر الأزرقى (١) أن الأساطعين هذه قد نمت جزء منها من  
حجارة مكة والآخر أرسله عبد الملك بن مروان من الشام وهو من الرخام .  
وقد حليت رؤوس هذه الأساطين بصفائح من فضة وذهب حتى لقد  
بلغت هذه الحليه أربع أوقيات . (٢)

ثم أتى من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك وقام بتعمير المسجد الحرام  
بعد أن نقل أساطين الرخام اليه من الشام . وأرسل اليه الفسيفساء

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٣ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .  
ياسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٦ .  
(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .  
ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٢٠ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١١٠ .  
النهر والى : الاعلام ، ص ٦٨ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٨٨ .



حتى تزيد النوافذ والابواب وكانت هذه الزيادة سنة ٨٩ هـ . (١)

ثم توقف تعمير المسجد واصلاحه حتى كانت خلافة ابي جعفر المنصور العباس الذي وسع المسجد من جهة الشمال ومن جنوبه عند باب احياد وقد بناء بالحجارة وزينه بالقناديل والمشاعل وزاد من الاساطين الرخامية ، وأنشأ المنارة التي تقع فوق باب بنى سهم وتولى هذا

التشييد زياد بن عبيد الله الحارثي القائم بأعمال شرطة مكة . (٢)

وقد زينه بالفسيفساء وسقف أروقتة بخشب العرعر الذي أتى به من الطائف وقد قام بتوسيع مساحة المسجد أيضا فأدخل دار الندوة ، ودار شيبه بن عثمان ودار العجله ضمن مساحة المسجد . وبعد ذلك رصف أروقتة بالحجارة المنحوتة . (٣)

ومما يدل ويشهد على ما قام به أنه عثر على نص كان موجودا

- 
- (١) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٥ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ٨١ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٧ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٧ .  
(٣) الازرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

حتى زمن أبي الوليد الأزرق صاحب كتاب تاريخ مكة . (١)

وقد سجل هذا النص الأعمال المعمارية للمسجد الحرام في عهد أبي جعفر المنصور وقد كتب على اسطوانة من اسطوانات المسجد الحرام وهذا نصه :

(( "بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بتوسعة المسجد الحرام ، وعمارته والزيادة فيه نذرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم ، وكان الذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وأمر ببناؤه وتوسعته في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ منه ورفعت الأيدي عنه

- 
- (١) الأزرق : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
  - (٣) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١١٢ .

فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة بتيسير أمر الله بأمر أمير المؤمنين  
ومعونة منه له عليه وكفاية منه له وكرامة أكرمه الله بها فأعظم الله أجر أمير  
المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه (١) .

وحين حج ابنه المهدي سنة مائة وستين هجرية وجردت الكعبة من  
كساءاتها المختلفة . قام بتعمير المسجد الحرام وأمر بزيادة ارتفاع أروقته ،  
وشراء الدور المجاورة التى تقع من الجانب الغربى للمسجد لاضافتها  
اليه . (٢) .

وتنفيذا لذلك فقد ترك أموالا كثيرة عند قاضى مكة محمد بن عبد الرحمن  
المخزومي ليقوم بتجديد بناء المسجد وتوسعته . (٣) .

ونتيجة لذلك فقد أدخل دار جبير بن مطعم ، وسباع الخزاعي ، وأدخل

- 
- (١) هذا النص منقوش على أحد أعمدة المسجد الحرام التى بداخل أروقته  
حتى الوقت الحاضر وقد ذكرها الأزرقى فى كتابه تاريخ مكة ج ٢ ، ص ٧٣  
وابراهيم رفعت ج ١ ، ص ٢٢٦ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ، ص ٢٢٩ .  
باسلامه : عساره المسجد الحرام ، ص ٣٨ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ، ص ٩٨ .  
(٣) الأزرقى ، ج ٢ ، ص ٧٤ .  
النهرالى : الأعلام ، ص ١٣٢ .

أيضا دار القوارير • ثم الصق الجدار بالجدار القديم ، وشيد الأروقة الجديدة بعد أن نقل أساطين الرخام من دمشق الى مكة التي جرت بواسطة العربات وأقيمت هذه الأساطين في الأروقة على ثلاثة صفوف • وقد اعتمدت على أساسات من الحجارة والتدرة • (١)

وقد زاد أيضا في عدد أبواب المسجد الحرام وأصلح بعض المنائر فيه • (٢)

هذا كله عن عمارة المسجد الأولى في زمن المهدي ، وله زيادة ثانية قام بها في تربع المسجد حتى أصبح عرضه كطولـه تقريبا وتحت العمارة الثانية للمهدي في سنة ١٦٤ هـ حينما تبين له أن عمارته الأولى لا تتناسب فنيا مع التوسعة التي جرت له في زمنه ، فأمر المهندسين

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٥ •  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٩ •  
(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٥ •  
ابراهيم رفعت : مآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣١ •  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد ، ص ٤٠ •

بتوسعته حتى تتوسط الكعبة المسجد ولو استنفد الأمر ما في بيوت  
المسلمين من أموال . (١)

وقد نصبت الرواح على الدور التي تقع في الوادي ووضعت  
الاشارات ، وقيست بالاذرع المعمارية فاشتروا الدور من الناس ،  
ونقلت الموءن من مصر والشام ، وأحضر العمال والصناع من  
أمصار الدولة الاسلامية . (٢)

وقد بدأ تنفيذ هذا العمل سنة ١٦٧ هـ اذ قاموا بجـرف  
مجري الوادي عند باب احياد ورفعوا أروقة المسجد عن مستوى الوادي  
خوفا من دخول ماء السيل الى الحرم وانتهى العمل منه زمن ابنه  
الهادي . (٣)

- 
- (١) الأزرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٦ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
  - (٢) الأزرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٧ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
  - (٣) الأزرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٧ .  
الفاكهي : المنتقى ، ص ١٢١ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٩ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

ويقال ان عدد الاساطين من الجهة الشرقية بلغت ثلاثة ومائة  
اسطوانة ، ومن الجهة الغربية مائة اسطوانة ومن الجهة الشمالية  
ثلاثون ومائة اسطوانة ، ومن الجهة اليمانية واحد وأربعون بعد  
المائة اسطوانة .

ويلاحظ أن المسافة بين كل اسطوانتين عشرة أذرع وبلغت  
جملة الاسطوانات المحلاة بالذهب ثنتان وأربعون اسطوانة . (١)  
وبلغت المحلاة بالفضة ثنتان وسبعون اسطوانة وقد حليت  
الفسيفساء أيضا بماء الذهب والفضة . (٢)

وأما القناديل فقد صنع بعضها من النحاس والآخر من  
القوارير . (٣) أما عن نوافذ المساجد هذا فقد بلغت عدد نوافذه أربعمئة

- 
- (١) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٤ .  
ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٣٤ .  
الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٨٤ .  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد ، ص ٤١ .  
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٠ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٣ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .  
الصياغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٧ .  
(٣) الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٤ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

نافذة ، ولم تحدثا المصادر التاريخية عن أى اصلاحات أو توسعة  
حدثت سوى ما قام به بعض أهل الخير فى مكة حينما كتبوا الى الخليفة  
المعتضد العباس سنة ٢٨٤ هـ يطلبون توسعة الحرم الذى ضاق عن  
عدد المصلين وخاصة فى المواسم الدينية الأسبوعية أو السنوية كـ  
عام . (١)

ولهذا فقد أمر بادخال دار الندوة ضمن الرواق الشامى للمسجد  
ثم وضع لها باب سى باب الزيادة لأنها خرجت عن شكل تزيين  
المسجد . (٢)

وقد تم الانتهاء من الزيادة هذه سنة ٢٨١ هـ ، أما التوسعة  
الآخيرة فهى الزيادة التى حدثت عند باب ابراهيم زمن خلافة  
المقتدر بالله العباس سنة ٣٠٧ هـ من الجهة الغربية للمسجد . (٣)

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٦ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٧ .
  - (٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٩ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٦ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٤ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٥ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٦ .  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٥ .

ولم تطرأ بعد ذلك أى توسعة جديدة حتى زمن سلاطين  
المماليك . (١)

أما الإصلاحات فقد اقتصر على النوافذ والابواب والقناديل حتى  
نهاية هذا البحث .

وللمسجد الحرام أربع منائر رئيسية شيدت زمن عبد الملك بن  
مروان . وأنشئت المنارة الخامسة زمن الخليفة أبى جعفر المنصور على  
باب العمرة . (٢)

وقد قام ابنه من بعده بإنشاء منارة سادسة على باب السلام .  
ثم أنشأ وشيد قايتباى المنارة السابعة (٣) والتي بقيت حتى يومنا

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٦ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٢٨ .  
القاسى : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .  
(٢) القاسى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .  
القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٤٧ .  
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٧ .  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٧ .



هذاء شاهدة على براعة ماقام به الخلفاء والساطين والامراء من  
أعمال عظيمة لكان عظيم من بناء وتشبيد وزيادة وزخرفة احتفاء به  
لما له من مكانة فى قلوبهم وأيضاً لطبع خلائقهم بطابع دينى أمام جموع  
المسلمين فى أمصار الدولة الاسلامية .

\* \*

### توسعة المسجد النبوي وعماراته

حين تمت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى يثرب الذي سماها طيبة يتنا واستبشارا . كان أول عمل قام به فيها أن اختط مسجده الشريف وسط دور الأنصار وقد بنى حوله حجرات أزواجه رضى الله عنهن . (١)

وقد ضرب النبي صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة والمثالية فى العمل والمشاركة بنفسه فى تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله . (٢)

هذا وقد جعل مواد بنائه أن يبنى من اللبن واستخدم فى سقفه واسطواناته النخيل فجعل سقفه من الجريد المغطى باللبن ، واسطواناته من خشب الاسطوانى الشكل وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى . (٣)

- 
- (١) السهمودى : وفاء الوفا ١ ج ١ ص ١٦٣ .  
المراغى : تحقيق النضرة ١ ص ٣٢ .  
ابن النجار : الدرر الثمين ١ ص ٥٨ .
  - (٢) السهمودى : وفاء الوفا ١ ج ١ ص ١٦٤ .  
العباسى : عمدة الأخبار ١ ص ٥٨ .  
ابن النجار : الدرر الثمين ١ ص ٥٩ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ١ ج ١ ص ٣١ .
  - (٣) السهمودى : وفاء الوفا ١ ص ١٧٨ .  
المراغى : تحقيق النضرة ١ ص ٣٤ .

خلفه أبوبكر رضى الله عنه فلم يزد على ما كان عليه أيام النبی صلى الله عليه وسلم . (١)

وحین آلت الخلافة الى عمر رضى الله عنه قام بتوسعته من جهة القبلة أخذاً من اشارة النبی الى التوسعة من جهة القبلة فلقد سمع النبی صلى الله عليه وسلم يقول : ( لو زدنا فی مسجدنا هذا وأشار بیده نحو القبلة ) وقد أقام أساسه بالحجارة فی جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع . (٢)

وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقاه بالجريد وعمده بخشب النخل ، ولم یغیر فی الابواب شیئاً عما كانت علیه من قبل . (٣)

- 
- (١) ابن النجار : الدرہ الثمینة ، ص ٦٠ .  
العباسی : عمدة الأخبار ، ص ٧١ .  
ابراہیم رفعت : مرآة الحرمین ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .  
(٢) العباسی : عمدة الأخبار ، ص ٧٢ .  
ابراہیم رفعت : مرآة الحرمین ، ج ١ ، ص ٣٧١ .  
ابن النجار : الدرہ الثمینة ، ص ٣١ .  
(٣) السخاوی : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٥ .  
ابراہیم رفعت : مرآة الحرمین ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .

وفى خلافة عثمان بن عفان زيد المسجد زيادة هائلة ولكنه جعل  
مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد مرة ثانية  
وخاصة فى المواسم الدينية للمسلمين الأسبوعية والسنوية كـ  
عام . (١)

وقد غير الوضع عما كان عليه من قبل فوضع الاسطوانات  
الحجرية بدلا من خشب النخيل . (٢)

وقد زاد فى مساحته من الجهة الشمالية خمسين ذراعا ، ومن  
جهة المشرق ستين ذراعاً ، ومن جهة المغرب خمسـين  
ذراعاً ، ومن جهة الجنوب مائة ذراع ، ولم يزد من أبوابه ، بل زاد  
من عدد نوافذه . (٣)

هذه جملة ما زيد فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه

- 
- (١) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .
  - المراعى : تحقيق النضرة ، ص ٤٧ .
  - ابن النجار : الدرر الثمينة ، ص ٣٨ .
  - (٢) المراعى : تحقيق النضرة ، ص ٤٧ .
  - (٣) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

وحين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة المشرق والمغرب ، وشراء الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها فأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وثلاث دور لعبد الرحمن بن عوف ، دار عبد الله ابن مسعود ، ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله ، ودار عمر بن الخطاب ، ودار ياسر ، ودار العباس بن عبد المطلب . (١)

وأمر بإرسال الأعمدة الرخامية من الشام ، والفسيفساء من مصر ، وخمرة النوره في المدينة . (٢)

وأقيم الأساس من الحجارة والرصاص ، والحديد وبني الجدار بالحجارة

---

(١) السهودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

المرافق : تحقيق ، ص ٤٩ .

(٢) ابن النجار : الدرر الثمينة ، ص ٦١ .

العباس : عدة الأخبار ، ص ١٠٣ .

السخاوي : التلخفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٩ .

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

المنقوشة التي حشيت بالرصاص فأصبح طول المسجد بعد ذلك مائة

وثمانين ذراعاً ، مائة وعشره من ناحية الشمال . (١)

ونقشت جدره بالفيسفساء ، وبذلك أدخل قبر النبي صلى الله عليه

وسلم ضمن المسجد . (٢)

هذا وأقيم أربع منائر في زوايا المسجد . (٣)

وفي عهد الخليفة أمر جعفر المنصور سنة ١٤٠ هـ تصدع جدر المسجد

فأمر بتجديدها . (٤)

وفي عهد ابنه الخليفة المهدي سنة ١٦١ هـ ضيق المسجد بحجـاج

الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن علي العباس بزيادة

المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسون

ذراعاً ، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل والنص الآتي يبين

- 
- (١) ابن النجار : الدرر الثمين ، ص ٦١ .
  - المسعودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .
  - (٢) المسعودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .
  - (٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .
  - المسعودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

ماقام به من انشاء وزيادة (١) واليك نص النقش الخاص بأمر الخليفة :

((أمر عبد الله المهدي أمير المؤمنين أكرمهم الله وأعز نصرهم بالزيادة ففى  
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل  
والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من  
أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من  
حسنه فى ذلك وأحسن ثوابه \* انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم  
الآخر . .

وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أكرمهم الله من  
الزيادة فى مسجد الله صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ  
منه سنة خمس وستين ومائة ، فأمر المؤمنين أصلحه الله بحمد الله على  
ما أذن له واختصه من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته  
حمدا كثيرا ، والحمد لله رب العالمين على كل حال ))) .

---

(١) وقد ذكر هذا النص المراءى فى كتابه تحقيق النضره بتلخيص معالم دار  
الهجرة ص (٥١) كما أوردها ابن النجار فى كتابه الدر الثمينه ص ٦٣  
وأن كلا من ابن النجار والمراءى قد نقلوا عن رواية ابن زباله ويقال  
بأن هذا النص كان منحوتا فى احدى اسطوانات المسجد النبوى الشريف  
ولكنها غير موجودة فى الوقت الحاضر .

ثم استمر بعد ذلك خلفاء البيت العباس في ارسال  
الاموال الى ولايتهم في المدينة لاصلاح وترميم مايتصدع  
من المسجد . (١)

ولما حج نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٥ هـ أمر  
بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص  
وفي خلافة الناصر لدين الله العباس عمر المسجد النبوى  
الشريف بواسطة ارسال النقاشين والصناع من بغداد  
سنة ٥٧٦ هـ لعمارة المسجد . (٢)

وأرسلت القناديل التى صنعت وهيئت لاضائه .  
ولقد احترق المسجد ولم يبق منه الا الحجرة الشريفة وذلك  
في عهد الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٤ هـ فأمر  
بعمارته سنة ٦٥٥ هـ وأكمل زمن السلطان المنصور

---

(١) الموائى : تحقيق النضرة ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .



عمر بن رسول صاحب اليمن وانتهت عمارته سنة ٦٥٧ هـ بعد  
أن أنفق على عمارته أموالاً طائلة . (١)

\* \*

- 
- (١) السهمودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .  
الخزرجي : العقود اللوئية ، ج ١ ، ص ١٤٣ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .  
ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

## بناء المساجد وتجديدها

### أ - المساجد بمكة :

#### مسجد التنعيم :

أشهر هذه المساجد الذى يقع فى منطقة التنعيم خارج حدود مكة المكرمة .

وينسب الى السيدة عائشة رضى الله عنها .

ولا يكاد يعرف من بنى هذا المسجد . والذى أمر بتجديد بنائه هو الخليفة المقتدر بن الراضى سنة ٣١٥ هـ والذى قام بتعمير الأعلام التى تحدد نهاية حدود الحرم ، وبداية حدود الحل والدة الخليفة المقتدر العباس . (١)

ويذكر لنا فى كتابه تحقيق النضرة (٢) . أن زوج الملك المنصور صاحب اليمن أمرت بتجديد مسجد السيدة عائشة سنة ٦٤٥ هـ وأيضاً بإنشاء حوض خلف المسجد لتخزين الماء ، وقد بنى بالحجارة .

---

(١) ابن السجار : الدرر الثمينه ، ص ٧٨ .

السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٥٨ .

(٢) المرافى : تحقيق النضرة ص ٥٧ .

ويؤكد لنا هذا القول ما ذكره ابراهيم رفعت في كتابه —مرآة  
الحرمين بأنه شاهد هذا الخزان الذي شيّد لخدمة المصلين  
بالمسجد . (١)

مسجد نمرة :

يسمى هذا المسجد بمسجد نمرة ويقع على حدود عرفه وهو مسجد  
كبير يتسع لجمع عظيم من المسلمين .

وقد شيّد أروقة الخليفة الرشيد . (٢)

ثم جدد بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وأيضاً  
زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي وأخيراً أصلح  
السلطان نور الدين عمر بن رسول مابه من خراب سنة  
٦٤٢ هـ . (٣)

- 
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٩٧ .  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمينة ص ٧٨ .  
العباس : عمدة الأخبار ، ص ٨٩ .  
(٣) المسعودي : وفاء الوفا ج ٢ ص ٣٤٤ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٠٠ .

مسجد الصخرات :

سمى بهذا الاسم لوقوعه وسط الصخرات الثلاث ويقع أسفل

جبل الوحمة . (١)

هذا ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن أمر بنائه وتجديده

فلا تزال جداره مهدامة حتى يومنا هذا . (٢)

مسجد الكبش :

يقع بمنى على يسار الذهاب الى عرفه وسمى بهذا الاسم لموقعه

بمجر الكبش ، وتيمنا بما أقدى الله به نبيه اسماعيل حين شرع أبوه

الخليل على تنفيذ أمر ربه بذبحه عليهما السلام . (٣)

وجد د بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمي . ثم جدده الخليفة الناصر

لدين الله العباسي .

---

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ١٣٩ .

القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٧٧ .

السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٧٤ .

(٢) انظر ابراهيم رفعت ، امرأة الحرمين ، ج ١ ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ، ج ١ ص ٤٦ .

مسجد البيعة :

وسمى بهذا الاسم نسبة الى ما وقع فيه من بيعة الانصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان قرب العقبة بداخل شعب نهاية حدود منى<sup>(١)</sup> .  
والذى أمر ببنائه في هذا المكان هو الخليفة أبو جعفر المنصور العباس . وقد  
جدد بناؤه سنة ٢٤٤ هـ ، وفي سنة ٦٢٩ هـ جدد بناؤه ، بأمر من  
الخليفة المستنصر العباس . (٣)

مسجد منى :

ويسمى مسجد ال . ويذكر لنا الفاسي<sup>(٤)</sup> بأن هذا المسجد  
يقع قرب دار المنحر يمين الصاعد الى عرفه ، ولقد أمر ببنائه وتشيد الخليفة

- 
- (١) الفاكهي : المنتقى ص ٧٦ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٨٦ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٢ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٥٧ .
  - (٢) الفاكهي : المنتقى ص ٧٧ .
  - (٣) ابن فهد : ورقة ٢٦٥ .
  - الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٢٨٩ .
  - (٤) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١١٢ .

المهدي وجدده أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٥ هـ وشيّد  
له أربعة أروقة . (١)

كما يذكر لنا ابراهيم رفعت أنه شاهد نصا يؤكّد عبارة الملك المنصور  
صاحب اليمن مكتوب فيه مايلي :

(( هذا مسجد سيدى الاولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحسب  
هدية فيه : ان الملك قطب الدين أبا بكر الدين الملك المنصور عمر بن عيسى  
ابن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عبارته بعد زيارته فى سنة ٦٤٥ هـ )) (٢)

#### مسجد الكوثر:

ويقع هذا المسجد بمنى . وقد عسّر زمن الخليفة المعتمد سنة ٢٥٦ هـ  
وقام بتجديده الوزير محمد بن على المعروف بالاصفهانى سنة ٥٥٩ هـ . (٣)

- 
- (١) الفاكهى : المنتقى ص ٧٨ .
  - (٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤١٧ .
  - (٣) الفاكهى : المنتقى ص ٨٠ .
- النهر والى : الاعلام ص ٤٣ .

وقامت بتجديد بنائه والدة الخليفة الناصر لدين الله  
العباسي . (١)

وجدد بناءه أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة  
٦٤٧ هـ . (٢)

هذا ومع سردنا لمساجد مكة الا أنه توجد مساجد أخرى  
أشهرها :

مسجد الوايه :

ويقع بأعلامكة .

و مسجد الجن :

ويقع هذا المسجد بنهاية سور مكة وهو الذي استمع فيه الجن  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يتلو القرآن الكريم .

ولقد تحدث القرآن الكريم مبينا ومفصلا بلسان عرب مبين هذا المشهد  
فيقول تبارك وتعالى : ( قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١١٨ .  
(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٦٩ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ص ٤٣٣ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٢٣ .

سمعنا قرأنا عجباً يهـدى الى الرشـد فأمنـا به ولن نشرك بربنا أحـدا  
الآيات )) ويوجد أيضاً بمكة مسجد بلال بن رباح بأعلا جبل قبيس عند  
مشق القمر. (١)

وأيضاً يوجد مسجد أبى بكر الصديق بأسفل مكة .

وهذه خلاصة أشهد مساجد مكة القديمة .

\* \*

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ٦ ج ١ ص ١٢٣ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٠٧ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٧٤ .



بـ مساجد المدينة المنورة :

مسجد قباء :

هذا هو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عند وصوله الى قباء في هجرته الى المدينة المنورة . (١)

وجدد بناؤه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وللمسجد أهمية اسلامية وذكرى طيبة تهفو اليها نفس كل مؤمن ، ولعموم زائري المدينة . (٢)

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

(( من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين

كان له كأجر عمره )) .

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك جدد المسجد وزيد في توسعته . فأرسلت الاسطوانات من دمشق

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينه ص ٧٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

كما جدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور (١).

وفي سنة ٥٥٥ هـ أمر نور الدين محمود زنكسى بتجديد بناءه  
بعد أن أضرت له أساطيسن رخامية من بلاد  
الشام . (٢)

#### مسجد القبلتين :

ويقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي  
العقيق .

ويقال ان الذي جدد بناءه أخيراً هو الملك المنصور صاحب  
اليمين سنة ٦٤٧ هـ . (٣)

#### مسجد الفتح :

ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق صاحبه تسمية غزوة الخندق

- 
- (١) المصدر السابق ص ٨١ .
  - (٢) المرائي : تحقيق النضرة ص ٥٩ .
  - المسعودي : وفاء الوفا ج ٢ ص ٣٥٤ .
  - (٣) المرائي : تحقيق النضرة ص ٦٠ .
  - العباس : عمدة الأخبار ص ١٠٣ .
  - المخاوي : الدرة الثمينه ج ١ ص ٨٨ .

تبعاً لهذا المكان وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم فيه فاستجاب  
الله دعاءه ، والذي قام بتعميره عمر بن عبد العزيز رضى  
الله عنه حين كان والياً على المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك  
ان شيد أروقته (١) وفي سنة ٥٧٥ هـ جدد الأمير أبو الهيثم  
أيضاً بناءه ، وشيد قبابه ، وأعدته الرخامية ، وعقوداً محكمة  
بين أعمدته . (٢)

#### مسجد الإجابة :

ويقع شمال البقيع قرب قرية بنى عوف من الأوس وترجع سبب  
هذه التسمية الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه ودعا الله  
فاستجاب الله له ، ولذا سمي مسجد الإجابة . (٣)

#### مسجد المائدة :

ويقع هذا المسجد شرقى المدينة وأقيم على شكل مائدة  
الطعام .

- 
- (١) السخاوى : التحفة اللطيفة ص ٨٩ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج (١) ص ٤٢٠ .  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمينة ص ٨٠ .  
(٣) المصدر السابق ص ٨٢ .

وكان يسمى أولاً باسم مسجد الجمعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى  
فيه أول جمعة بالمدينة وحين جدد بناؤه شيد على شكل مائتة  
فسمى باسمها. (١)

\* \*

---

(١) المرافق : تحقيق النضرة ص ٦٣ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ١٢٣ .

### مساجد جدة والطائف

يوجد في وسط جدة القديمة أربعة مساجد ————  
أقدمها المسجد الجامع .

وهذه المساجد أنشئت مع بداية القرن الخامس الهجري حين  
تعطل ركب الحاج المصري البري . فأصبح طريق الحجاج الى جدة عن طريق  
البحر . (١)

ولذا اهتم الأمراء بانشاء المساجد في حيزه لازدحام المصلين بها  
فترة الموسم . (٢)

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية السنوات التي أنشئت فيها المساجد  
ولا سنوات تجديدها .

أما الطائف ، فقد اهتم خلفاء البيت العباسيين بناؤها

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص ٣٦ .

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٧ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢ .

المساجد فيه ان أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء مسجد عبد الله  
ابن العباس رضى الله عنهما سنة ١٣٨ هـ الذى يقع قرب داره لهجرته من  
مكة الى الطائف زمن خلفاء بنى أمية . (١)

ثم سار على نهجه الرشيد الذى أمر بتوسعة المسجد سنة ١٨٤ هـ ،  
وأخيرا قام بتجديده الخليفة الناصر لدين الله العباس (٢) ، ثم  
السلطان المنصور صاحب اليمن ان جدد وجدد أيضا بناء مأذن فسى  
سنة ٦٤٨ هـ . (٣)

وهناك مسجد الهادى الذى ينسب الى الخليفة العباس  
الهادى بن المهدي الذى جدد بناءه ولم تذكر  
لنا المصادر التاريخية شيئا عن تجديد بنائه فيما بعد .

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ .
  - (٢) الفاكهى : المنتقى ص ٨٧ .
  - الفاهى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٤ .
  - الخرجى : القود اللو لوىة ج ٢ ص ٧٣ .
  - (٣) الفاكهى : المنتقى ص ٨٧ .

مسجد المشناه :

وهو الذى يوجد فيه أثر كسوع الرسول صلى الله عليه وسلم ويقع هذا

المسجد بطرف وادى الوهظ بالطائف فى قرية المشناه . (١)

وقد اصطلح على تسميته باسم مسجد الكسوع لوجود أثر كسوع الرسول

صلى الله عليه وسلم داخل صخرة فيه ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن بنائه

أو من أمر بتجديد بنائه . (٢)

\* \*

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٨ .  
النهر والى : الأعلام ص ٨٣ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٣ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٦٠ .

## بناء الأسوار حول المدن

امتازت المدن الإسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجري حتى سقوط الخلافة العثمانية ببناء الأسوار حول المدن وكان القصد منها حماية المدينة من اعتداءات القبائل عليها . (١)  
ونخص في هذا البحث الحديث عن أسوار مدن الحجاز وأهمها سورة .

كان يحيط مكة سورة من أعلاها إلى أسفلها  
ويقع هذا السور بعد مسجد الجن وله باب محكم يسمى باب  
المعلاة .

ويمثل آخر حدود المدينة وآخر دورها ويأتي بعد

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢١٥ .

المقریزی : الخطط ج ١ ص ١١٣ .

القاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠ .



السور ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو لحماية وادى ابراهيم من سـيـول  
الأمطار العارمه التى تجتاح مكة . (١)

ومن جهة الشمال تقع القـرارـه وبها الباب الشامى ومن ناحية  
الشبيكه بعد جبل الكعبـة يقع السور وبه باب الشبيكه . (٢)  
ومن الجهة الجنوبية بعد بركة الماجن يمتد السور ويقع به الباب  
الجنوبى . (٣)

ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن بنى هذا السور ؟  
ونذكر لنا الفاسى (٤) فى كتابه شفاء الغرام ، أن الشريف  
أبا عزيز قتاده بن ادريس هو الذى قام بتجديده من الجهـة  
الشـرقية .

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ١٤٥ .
  - (٢) النهروالى : الأعلام ص ٩٥ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٨٢ .
  - (٣) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١١ .  
النـهـروالى : الأعلام ص ٩٦ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٧٢ .
  - (٤) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢ .

وذكر لنا الفاكهي في كتابه أن سور مكة كان موجودا زمن خلافة المقتدر

العباس سنة ٢٩٥ هـ وهذا الرأي هو الأرجح .

وجدد بناء هذا السور من جهة الشبيكة الملك المظفر صاحب اربل

سنة ٦٠٧ هـ وهو الذي مهد الجبال التي تقع طرف هذا السور . (٢)

### سور المدينة :

حينما تعرضت مكة لاعتداء القرامطة طلب أمير المدينة من الخليفة

المقتدر بالله العباس ببناء سور حول المدينة وذلك لحمايتها

من أي اعتداء يقع عليها فأمر الخليفة في سنة ٣١٨ هـ ببناء سور حول

---

(١) الفاكهي : المنتقى ص ٨٤ .

(٢) ولد أبو سعيد مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبي الحسن على كسجك بن بكتكين في السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩ هـ وهناك اختلاف في لقبه ، فالذهبي في كتابه تاريخ الاسلام ورقة ١٨٣ يطلق على اسمه كوكبرى وابن خلكان يطلق عليه كوكبوري لاعتقاده بأنها كلمة تركية مكونة من كوك يعنى أزرق ، ويرى تعنى ذئب ويقصد بها ذئب أزرق انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٢٧٧ .  
محسن محمد حسين ، اربل في العهد الاتيكي ص ١٣٩ بغداد ١٩٧٦ .

المدينة على أن يكون سوراً منيعاً حصيناً يحيط بها من جميع جوانبهم —  
وقد وضع له أربعة أبواب : (١)

الأول : باب البقيع بالشرق .

والثاني : الباب الشامى ويقع من الشمال . (٢)

والباب المصرى : يقع غرباً —

والباب الجنوسى : يقع جهة القبلة . (٣)

وفى سنة ٣٧٢ هـ تم تجديد بناء هذا السور بأمر من عضد الدولة بن بويه

زمن الخليفة الطائع بأمر الله العباسى وفى سنة ٥٥٥ هـ جدد بناء هذا السور

على نفقة نور الدين محمود زنكى حينما أتى لزيارة المدينة المنورة . (٤)

- 
- (١) السهمودى : وفاء الوفا ج ٣ ص ٧٩٠ .  
المرافى : تحقيق النضرة ص ٩٦ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ ص ١١١ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٤٠ .
- (٢) السهمودى : وفاء الوفا ج ٣ ص ٧٩٤ .  
المرافى : تحقيق النضرة ص ٩٧ .  
العباسى : عمدة الاختيار ص ٢٥٣ .
- (٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٤٤٧ .
- (٤) المرافى : تحقيق النضرة ص ٩٨ .

وفي سنة ٦٤٦ هـ جدد بناء سور المدينة بأمر من الملك المنصور بن  
رسول صاحب اليمن . (١)

أما مدينة جده والطائف فلم ينشأ لها أسوار في الفترة الزمنية التي تخص  
هذا البحث .

ولكن تم بناء أسوارها زمن سلاطين المماليك حينما أصبحت جده ميناء  
هاما للحجاز فاهتم سلاطين المماليك بها فبنوا حولها أسوارا كما فعلوا  
ذلك حول الطائف أيضا .

\* \*

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٩٨ .

## الفصل الخامس

### الحياة العلمية في بلاد الحجاز

## أ - الحياة العلمية :

لبلاد الحجاز دور قيادي في الحركات العلمية وفي الحفاظ على التراث الاسلامي والعربي . وفي العقيدة الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى وقتنا الحاضر . (١)

وتعددت المراكز العلمية بين حلقات بالمساجد وأخرى خارجها مثل المدارس وقد بدأت الحركة العلمية بالحجاز مشثلة في حلقات العلم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المسجد الحرام ، وقد لعبت الحلقات دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية وظلت المساجد تقوم بدور فعال في تطور الأمة الاسلامية فكريا وحضاريا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (٢) ، الذين تولوا أمر الحركة العلمية في المسجدين الحرام والنبوي الشريف اعتمادا على الكتاب والسنة في جميع المعاملات والعبادات والعقيدة . (٣)

- 
- (١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٣ ص ١٥٨ .  
مرزوق بكري : المسجد محور للنشاط ، ص ٤٦٠ رسالة المسجد .
  - (٢) النهر والى : الاعلام ص ٧٨ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٦٦ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٩٣ .
  - (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٠ .  
أحمد سيف : عمل أهل المدينة ص ٣٥ .

ومنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد التابعين وتمسكهم بآثار  
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . فنجد الامام مالك يتتبع منهاج الرسول  
صلى الله عليه وسلم في أوائل القرن الثاني الهجرى ، ثم يسير على  
منهاجه طلبته ، حتى أصبح متعارفا بعمل أهل المدينة . ( ١ )  
وساعد على ذلك كثرة الصدقات التى تغد اليها من قبل التجار  
والقضاة والخطباء ، والتى كانت تعطى للمجاورين . بالاضافة الى  
ذلك فريضة الحج . فقد كان يفد مع الحجاج علماء من جميع أقطار  
العالم الاسلامى . فتقام فى مكة المناظرات العلمية ، فيتدارس العلماء  
أحوال المسلمين ، وما يتعلق بالعقيدة الاسلامية . ويأخذون عن بعضهم  
علم القراءات ، والتفسير والحديث والفقه وعلوم

---

( ١ ) مرداد : نشر النور والزهور ، ج ١ ، ص ١١ .

Dohaish Abduliatif History of Education p. 33 .

أحمد سيف : عمل أهل المدينة ، الطبعة الاولى ١٩٧٧ — دار الاعتصام

مصر ، ص ٣٧٢ .

اللغة العربية (١) . ومنهم من يجاور ومنهم من يعود الى بلده .  
ويشعرون بما استفادوه من علوم . وأما من يقيم فيدرس ويدرس ويجاور .  
لذا فان المجاورين في الحرمين أصبحوا يشكلون جزءا من المجتمع  
على مر العصور . (٢)

### حلقات العلم في المسجد الحرام والنبوي الشريف :

قلنا ان حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف  
قد لعبت دورا هاما في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحجاز . (٣)  
ومن المفيد أن المسجد كان ولا يزال يساهم مساهمة فعالة في تطوير

- 
- (١) الفاس : العقد الثمين ج ٢ ص ٩٨ .  
النهر والى : الاعلام ص ٨١ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٦ .  
محمد حسين يوسف : رسالة المسجد ص ٤٦٦ .  
الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ص ١١ .
  - (٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام ص ١٨ .  
حسين ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٦٠ .  
محمد الحسيني : الحياة العلمية ص ٩-١١ .
  - (٣) شوقي ضيف : تاريخ الادب عصر الدول والامارات ص ٥٢-٦٢ .  
عبد الرحمن الحوت : رسالة المسجد ص ١٥٢ .  
محمد الحسيني : الحياة العلمية ص ١٥ .



### الحركات العلمية فكراً وحضارياً . (١)

ويذكر لنا ابن جبير موضحاً لهذه الحلقات ، وما يدور فيها من علوم دينية مختلفة ، وأهم هذه العلوم ، علم القراءات ، وتفسير القرآن ، والحديث الشريف ، والفقه ، والعلوم العربية ، وكان لعلم التصوف نصيب قليل في هذه العلوم . (٢)

أما دروس الشعر والعلوم العقلية كالمنطق ، والفلسفة ، فلم يكن

لها نصيب من حلقات العلم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف (٣)

ومن الجدير ذكره أن أروقة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف قد انتشرت فيها حلقات العلم ، لأن المسجدين يمثلان المركز الأول للتوعية الدينية ، فازدحمت الحلقات برجال الحديث والقراءات بسبب كثرة وجود العلماء المجاورين بمكة والمدينة . الذين هاجروا اليهما لبعدهما

---

(١) محمد الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ص ١٩ .

السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٤٤ .

الحسيني : الحياة العلمية ص ٢٠ .

(٢) ابن جيد : الرحلة ص ٦٢ .

(٣) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - عصر الدول ص ٦٣ .

عن الفتن والاضطرابات السياسية . (١)

وظل هو<sup>١</sup> لاء العلماء يؤدون رسالتهم فيهما جيلا بعد جيل . والدراسة في الحرم المكي والنبوي الشريف لم تنهج منهاجا مقررا ، أو محسودا فالمدرس هو الذى يقرر ما يريد تدريسه لطلبته . وهو الذى يختار المنهج الملائم لهم . والدرس يعقد يوميا من قبل هذا الشيخ فى المسجد وتضم الحلقة الجميع بلا تفرقة ، جاعلا البساطة والتواضع الواجب الاساسى تجاه طلبته .

ونلاحظ أن الطلبة يستمعون الى شيخهم ، فيناقشهم ويناقشونه . والطالب يدرس بجد واخلاص . لذا فان الدراسة تأخذ صبغة التنظيم . كما أنهم يستخدمون طريقة الاملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراية . وقد كان لكل مذهب من المذاهب ركنا خاصا به فى المسجد الحرام والمسجد النبوي

---

(١) السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٧ .  
عبد الرحمن الحوت : رسالة المجد ص ١٥٥ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٤٦

الشريف . (١) ويجتمع رجال كل مذهب على حدة للصلاة والدراسة  
معاً .

وتحدثنا كتب المؤرخين وكتب الوفيات دائماً عن مدى تحصيل طلبية  
العلم . فهم لا يحصلون على شهادات ، ولكن يحصلون على اجازات  
علمية من أساتذتهم . واتباع العلماء في منح هذه الاجازات التقاليد  
العلمية فيقال : " وفيها توفي . . . وكان شيخاً جليلاً ، اماماً عالمياً  
فاضلاً . . . منعكفاً على العبادة . . . والاشتغال بالله تعالى . . . سمع من  
. . . وتوفي . . . " .

وهذا نموذج من أنواع الاجازات التي قام بمنحها العلماء ويذكرها  
المؤرخون ورجال كتب الوفيات . (٢)

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٩٠ .  
الحسيني : الحياة العلمية ص ٣٢ .

(٢) الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٤٧ .  
الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٣٩٢ .  
ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٨٣ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٨٨ .  
الباخرزي : دمية القصر ج ١ ص ٦ .  
المكناس : درة الحجال ج ١ ص ١٥ .  
الفيروزبادي : درة الحجال ج ١ ص ١٥ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء العلماء لم يتقاضوا راتباً معيناً لقاء الدروس في المسجدين - الحرام ، والنبوي الشريف - كما أنهم لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة لأن تعليمهم كان في سبيل الله (١) ومن الغيظ ذكره أن حلقات العلم لم تكن تقتصر على الدرس ، بل كان يتم فيها مناظرة العلماء ، من المجاورين والوافدين عليهم من شتى أقطار العالم الاسلامي . وهذا كانت تعقد في الحرمين المكي والمدني في أوقات موسم الحج حلقات مختلفة من جميع العلوم العقلية والعقلية ومختلف المعارف . (٢)

ومن الملاحظ أن بيوت العلم قد انتشرت في مكة المكرمة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ١٣٢ .

الانصاري : تحفة المحبين والأصحاب ص ٢٢ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٣٣ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢١٥ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ص ١٠١ .

مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ص ٤ مطبوعات نادي الطائف .

الحسيني : الحياة العلمية ص ٣٦ .

والمدينة المنورة ، وتوارثها أبناؤهم من بعدهم ، كما كان يتوارث بيوت  
الخطباء والائمة في المساجد . (١)

أما عن المدارس النظامية فان هذه الحقبة التي تخص البحث قد  
انتشرت فيها المدارس بمكة المكرمة ، أما المدينة المنورة فلم تحدث —  
المصادر عن المدارس التي أنشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية . (٢)

\* \*

- 
- (١) مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ص ١٧ .  
الحوت : رسالة المسجد ص ١٥٧ .
  - (٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .  
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٣ ص ١٦٩ .  
الحسينى : المدارس النظامية ص ٢٧ .

## المدارس النظامية

### (١) مدرسة الارسوفى :

تبين لنا المصادر أن أول مدرسة انشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية لهذا البحث هي مدرسة الارسوفى . ويذكر لنا الفاسى (١) فى كتابه شفاء الغرام أن تأسيس هذه المدرسة كان سنة ٥٧١ هجرية وأن مؤسسها هو العفيف عبد الله بن محمد الارسوفى .

كما يذكر لنا ابن ظهيرة (٢) أن تاريخ تأسيس هذه المدرسة هو سنة ٥٩٢ هجرية .

ويتضح لنا من وثيقة هذا الرباط الذى يعود الى رقبه وهو المعروف برباط العفيف صاحب هذه المدرسة ولكن ابا رقبه قد نسب اليه أن الذى أوقف الارسوفى صاحب المدرسة وعن شريكه القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى سنة احدى وسبعين وخمسمائة . والحجج التى على باب هذا الرباط يوضح هذا التاريخ .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٦٨ .

ومن المعلوم أن هذه المدرسة كانت تدرس المذهب الشافعي  
اذ تعتبر أول مدرسة نظامية تأسست في مكة المكرمة (١) . وتقع عند  
باب العمرة من جهة الشبيكة . أما الرباط فيقع أول المسفلة (٢) .

#### (٢) مدرسة الزنجبيلي :

وثاني المدارس النظامية التي أسست في مكة هي مدرسة الزنجبيلي .  
وقد تم تأسيسها سنة ٥٧٩ هجرية عند باب العمرة . وبنى بجوارها رباط  
خاص بسكن الدارسين فيها ويفصلها عن المسجد الحرام دار واحدة (٣) .  
ويذكر لنا ابن ظهيره أن تاريخ تأسيس بناء هذه المدرسة كان سنة عشرين  
وستمئة للهجرة . (٤)

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٢ .  
الفاكهي : المفتق ص ٩١ .  
النهر والي : الأعلام ص ٨٩ .  
ناجي معروف : المدارس الشراييه ص ٣٤٨ الطبعة الثانية ١٣٩٧ .  
الحسين : الحياة العلمية ص ٣٨ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٣٦ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٢ .  
ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٣٥ .  
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٦ .  
السخاوي : التحفة اللطيفة ج ٣ ص ٣٩٧ .  
ناجي معروف : المدارس الشراييه ص ٣٤٩ .
  - (٤) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٦٨ .

(١)  
ويذكر لنا صاحب كتاب شفاء الغرام أن الزنجبيلي توفي قبل سنة ٦٢٠ هـ  
ومن المرجح أن يكون التاريخ الأول هو التاريخ الصحيح لبناء هذه المدرسة  
كما أن الرباط أوقف هذه السنة .

ويذكر لنا المؤرخون أن الدراسة فيها كانت على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان . (٢) وللمدرسة عدة أسماء منها : المدرسة الفخرية نسبة للامير فخر الدين والاسم المتعارف عليه هو مدرسة الزنجبيلي نسبة الى مؤسسها فخر الدين عثمان بن علي الزنجبيلي نائب عدن . (٣)



(١)  
المدرسة بدار زبيدة ، وأوقفها طاب الزمان وقصرتها على فقهاء الشافعية .

(٤) مدرسة النباهوندي :

تقع هذه المدرسة عند السديبة . وقد أسست في أوائل القرن السابع  
الهجري . ولم تذكر لنا المصادر لماذا سميت بهذا الاسم . ومن هم  
فقهاءها . (٢)

(٥) مدرسة ابن أبي زكريا :

سميت بذلك نسبة الى علي بن أبي زكريا ويعرف بأبي ظاهر المودني  
وأوقفها باسم الامام الشهيد ، ولا يعرف شيء عن المدرسة سوى ما ذكره  
القاسي في كتابه . (٣)

- 
- (١) الفاكهي : المنتقى ص ١٠٤ .
  - النهر والى : الأعلام ص ٩٨ .
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٤ .
  - القاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١١٨ .
  - معروف : المدارس الشراييه ص ٣٥٠ .
  - (٣) القاسي : تحصيل المرام ورقة ٦٥ .
  - القاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ .
  - ناجي معروف : المدارس الشراييه ص ٣٥٠ .

(٦) مدرسة ابي الحداد المهدوى :

وتعرف هذه المدرسة بمدرسة الاشراف الادارسة وتاريخ وقفيتها فى شهر ربيع الثانى سنة ٦٣٨ هجرية • أوقت على المالكية ولايعرف من أوقفها ولاشروط وقفيتها • وكانت الدراسة فيها على مذهب الامام مالك • (١)

(٧) المدرسة المظفرية :

فى سنة ٦٤١ هجرية ، أنشئت مدرستان فى مكة • الاولى المظفرية والثانية الفخرية (٢) وتعرف بأسماء عديدة " الفخرية - مدرسة الشلاج - أو المنصوريه - أو مدرسة السلطان " • ويظهر لنا أن هذه الاسماء الخمسة ، أطلقت على هذه المدرسة نسبة الى الاسم واللقب ، أو نسبة الى الواقف أو المتولى أمره—

---

(١) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٦٦ •

ناجى معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٥٠ •

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ •

المدرسة • فالفخرية نسبة الى فخر الدين ، والشلاج نسبة الى فخر الدين  
الشلاج أمير مكة • والمنصورية نسبة الى المنصور صاحب اليمن ، السدي  
عمرها على يد الأمير فخر الدين الشلاج • ومدرسة السلطان نسبة الى  
السلطان السابق ، وتسمى المظفرية نسبة الى الملك المظفر صاحب  
اليمن • (١)

ويذكر ابن بطوطة (٢) في رحلته عن هذه المدرسة أنه سكن بها  
وجلس في حلقات الدرس • وكان مقبلاً في الشباك الذي يشرف  
على المسجد الحرام ، وجلس في حلقات درس الفقيه الزاهد الحاج  
أبو الحسن علي بن رزق الله الانجري من أهل طنجة •  
ويصف ابن بطوطة (٣) هذه المدرسة فيقول : ان لها رواقين من  
الداخل ، رواق يشرف على الكعبة ، تجاه الركن اليماني • والآخر  
يشرف على مخرج باب العمرة • وبداخلها فناء بنيت فيه بركة وسبيل  
باسم الملك المنصور صاحب اليمن •

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٥٠-١٥٤ •  
القاسي : شفاء الغرام ج ١ ، ص ٣٣٢ •  
ناجي : المدارس الشراعية ص ٣٥٢ •  
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٥٥ •  
(٣) المصدر السابق ص ١٥٦ •



ويصف ابن فهد (١) في كتاب اتحاف الوري بأن مكتبة هذه المدرسة

كانت تضم كتباً نفيسة في فنون العام والمعرفة .

وذكر ابن بطوطة (٢) في الرحلة وصفاً للمدرسة وللرباط معا فيقول :

انهما تتكونان من طابقين تقام بهما المدرسة .

كما يذكر صاحب كتاب المدارس الشرايية (٣) أنه لم يعثر على أسما

المدرسين أو الفقهاء بهذه المدرسة على الرغم من أنها ظلت تقام فيها الدراسة

ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف منذ تأسيسها حتى زمن المؤرخ قطب الدين

الدين الشهرواني .

ويؤكد لنا صاحب كتاب المدارس الشرايية (٤) أنه أتى الى مكة

لأداء الحج والعمرة سنة ١٩٥٤ ميلادية ، وبدأ يتجول عند باب السلام ،

من الجانب الايمن لملاحظة ما بقى من أطلال هذه المدرسة الشرايية ، فرأى

بلقايًا من المباني القديمة . كما وجد عدداً من الحجرات الصغيرة تشبه

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٥ .

(٢) بطوطة : الرحلة ص ١٥٨ .

(٣) ناجي معروف : المدارس الشرايية ص ٣٧٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

الخلاوى • ويبدو أنها من حجرات رباط الشرابى • وهى تشبه فى الحجم والسعة ومادة البناء شرابية بغداد • وهذا يوضح أن التصميم والبناء فى كل من شرابية بغداد وواسط ومكة ، كان على أيدى مهندسين معماريين من العراق أوفدهم الشرابى لبناء المدارس • كما أنه لاحظ الرباط الذى بجـوار المدرسة ، والذى بناه وكيل الشرابى فى مكة الشهاب ربحان ، كما لاحظ أمكنة التدريس بهذا الرباط •

ويذكر بأن هذا الرباط ظل قائماً حتى العهد العثمانى • وكانت أوقاف الشرابى على طلبة هذه المدرسة والمدرسين بها قسرى فى وادى مرقرى أخرى فى وادى نخلة على أن يتم توزيع ربع هــذه الأوقاف بشرط هذه الوقفية • (١)

وقد وقف الواقف على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة والرباط ما اشتراه من حدائق فى وادى مروادى نخلة من أعمال مكة المشرفة •

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ •  
الفاكهى : المنتقى ص ٢٤١ •  
النهر والى : الاعلام ص ٢٦٠ •  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٦٢ •

وجعل ربع ما يحصل عليه منها كل سنة ، خمسة أقسام ، قسم للمدرسين بالتساوى فيما بينهم وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية ، والقسم الأخير يقسم ثلاثة أقسام :  
قسم يصرف على مصالح المدرسة من                      والماء • والقسمان  
الآخران يصرفان لخدمة المدرسة والمكتبة • (١)

ومن المعلوم أن هذه المدارس أنشئت في مكة المكرمة اهتمت بدراسة العلوم الدينية وأهمها القرآن وعلومه فقد كان الشغل الشاغل للمدارس بتدريس العلوم الدينية على المذاهب الأربعة فمدرسة الزنجبيلي اقتصت بتدريس المذهب الحنفي • ومدرسة ابن الحداد بتدريس المذهب المالكي • وأما الشراعية فقد اهتمت بتدريس المذاهب الأربعة وعلوم اللغة • وأما المدرسة المظفرية فقد اقتصت بتدريس فقه الشافعي وعلم الحديث والرواية • (٢)

- 
- (١) ناجي معروف : المدارس الشراعية ص ٣٧٦ •
  - (٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ •
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٠ •
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٠٥ •
  - النهر والى : الاعلام ، ص ٩٨ •
  - باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٦ •

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدارس التي ظهرت في مكة في هذه الحقبة الزمنية أنشأها الحكام المسلمون من خارج مكة ولعل ذلك سببه الرئيسى مكانة مكة بالنسبة لقلوب المسلمين ولهجرة أكثر العلماء المهتمين بالعلوم الدينية الى مكة ولذا فان هذه الحقبة أدت الى رواج هذه المدارس وتولى هو<sup>١</sup> لا<sup>٢</sup> الحكام أمر هذه المدارس وأوقت أوقاف مختلفة لها

\* \*



### الكتاتيب :

للكتاتيب دور على هام في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحجاز  
ومن المعروف أن الكتاب ظهر كمؤسسة تعليمية مع بداية نشوء الدولة  
الإسلامية منذ بداية العهد الإسلامي . إذ يعتبر الكتاب هو المؤسسة  
التعليمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي ليهتم بتربية الصغار . وسعى  
بهذا الاسم لأن الطفل يتعلم فيه الكتابة والقراءة . ثم انتشر هذا الاسم حتى  
صار متعارفا على أية مؤسسة تعليمية تعنى بتعليم الصغار . (١)

ومن الموضح أن الكتاب نشأ مع نشوء المسجد ليسهم في نشر العلم  
والمعرفة ومع بداية نشوئه كان مقره المسجد . (٢) ومن أهم العلوم التي ساهم  
الكتاب في نشرها ، قراءة القرآن الكريم ، وحفظه وتجويده . وجميع علماء  
الدولة الإسلامية تتلمذوا في هذه الكتاتيب في بداية حياتهم . (٣) فمثلا

- 
- (١) النهر والى : الأعلام ص ٢٦٣ .  
الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ص ١٤ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٧ .  
(٢) مرزوق بكري : المسجد محور للنشاط ص ٥٠٥ .  
(٣) المقرئ : الخطوط ج ٢ ص ٣٦٣ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٣ .

الامام الشافعى درس فى طفولته فى مكة • وقراً على يد مقرئها الكبير ابن  
قسطنطين سنة ١٧٠ هجرية • (١) • وحينما انتقل الى مصر سنة ١٩٨ هجرية  
ادخل الى المصريين قراة المكيين وهى التكبير من سورة الضحى الى آخر  
القرآن الكريم بعد أن انتشرت فى مصر منذ الفتح الاسلامى قراة ورش التى  
كانت تكون المدرسة المصرية فى القراة (٢) • وجاء الامام الشافعى فادخل  
لهم قراة المدرسة المكية (٣) ومثال ذلك قراة الآية : " ذلك ادنى  
ألا تعدلوا " وهى قراة مكية • وأما القراة المصرية " ذلك أدنى  
الا " وهناك أمثلة كثيرة فى اختلاف القراءتين • (٤)

وللمدرسة المدنية دور فى التحام المدرستين معا إذ أن ورش هو من  
تلامذة المدرسة المدنية • والمدرسة المصرية تشبه الى حد كبير المدرسة المدنية

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٠ •
  - ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٢ •
  - الحسينى : الحياة العلمية ص ٣٢ ، ٣٣ •
  - (٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤٣٤ •
  - خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٢ ، ١١٣ •
  - دار المعارف بمصر ١٩٧٥ •
  - (٣) السبكى : طبقات الشافعية ج ١ ص ١٨٨ •
  - (٤) خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٨ •

التي رفع لواءها نافع واستطاع تلامذته أن يجعلوا من قراءته مثلاً آخر  
للمدرسة المدنية في مصر ، وعلى رأسهم تلميذه ورش أحمد بن صالح  
الطبري . (١)

وقد تتلمذ ورش على غير نافع مثل اسماعيل وعبد الحميد أبناء أخت  
الامام مالك . (٢) وهذا فقد اشبهت المدرسة المصرية المدرسة المدنية  
في وجوه القراءات المختلفة كالوصل والوقف والمد اللازم وإثبات الالف  
في الوصل . (٣)

ومن المعلوم أن تاريخ القراءات ارتبط ارتباطاً وثيقاً بقراءة مكسرة  
والمدينة ، فالمدرسة المصرية والبصرية والكوفية ومدرسة بغداد ودمشق تشابه  
وتتحد في قراءتها مع المدرستين المكية والمدنية (٤) والنظام المتعارف  
عليه في الكتابات هو تعليم الأطفال قراءة القرآن ومساعدتهم على

---

(١) خورشيد : القرآن وعلومه في مصر ص ١١٨ .

(٢) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٢٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨ .

(٤) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٤٠ .

على حفظه وتلاوته تلاوة جيدة . (١)

وقد سبق أن أوضحنا ذلك في الباب الرابع من هذه الرسالة عند الحديث عن العشر الاواخر من شهر رمضان ، واحتفالهم بحفظ أطفالهم للقرآن واحتفالهم في أيام الوتر منها .

\* \*

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢١٨ .  
الحسيني : الحياة العلمية ص ٣٣ .

### حلقات الدرس فى الأريطة :

أما النوع الأخير من النظام التعليمى فهو حلقات الدرس فى الأريطة والزوايا • فان عموم الأريطة التى انشئت فى مكة والمدينة كان يسودها طابع الدراسة (١) ، لأن الذين يسكنون فى الأريطة هم طلبة العلم • كما كان يوجد أريطة خاصة للصوفية وأهمها رباط الخاتون الذى انشئ وأوقف سنة ٥٧٧ هجرية • ومكتوب على بابه ان هذا الرباط أوقف وحبس على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم • والذى أوقفه هى الشرفة فاظمة وهذا الرباط كانت تقام فيه حلقات الدرس والذكر والتدريس فيما بينهم (٢) •

ولا يتضح لنا مدى التقدم العلمى فى هذا الرباط فى نفوس الطلاب ، بل يظهر فى نفس الطلاب الحرارة الروحية والشوق للتقرب الى الله •

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ •  
السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ١٥٦ •  
السبكى : طبقات الشافيه ج٤ ص ١٨ •  
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص ٨٥ •  
السخاوى : التحفة اللطيفة ص ١٥٩ •

فربما يقضى الطالب فيه سنوات عديدة دون أن يصل الى درجة روحية  
فيتخرج الطالب وهو غير صالح للتصوف • وربما يقضى طالب آخر فترة  
قصيره فيخرج من كبار أهل الطرق الصوفية (١) •

وثانى هذه الأربطة التى اشتهرت بالتصوف رباط الحوزى الذى  
أوقف سنة ٦١٧ هجرية • وقد أوقف على الصوفية الفرس فقط دون غيرهم •  
(٢)  
أما النوع الاخير من أنواع الدراسة وهو الأعم والاغلب فهو الدراسة  
فى المقامات الأربع فى المسجد الحرام (٣) • وفى الحرم النبوى اتخذ  
أصحاب المذاهب الاربعة زوايا فيه للدراسة والمناظرة • فيجتمع رجال

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٤٠ •
  - الخزرجى : العقود اللؤلؤة ج١ ص ١١٠ •
  - شوقى ضيف : تاريخ الادب ج٥ ص ٤٨ •
  - (٢) الفاسى : العقد الثمين ص ٢٥٨ •
  - الفاسى : شفاء الغرام ج١ ص ٣٣٠ •
  - (٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٤٦ •
  - الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ •
  - السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ٢٢٠ •

المذاهب كل على حده للدراسة والصلاة (١) . واخذ نظام الدراسة  
صبغة نظامية . و اقيمت حلقات فى علم الحديث والتفسير وعلوم اللغة .  
فكان الطلبة يجلسون فى المقام كل حسب مذهبه ، و يستمعون من مشايخهم .  
ويتدرج هؤلاء الطلبة فى الاجازات حتى الطالب الى درجة علمية تتم فيها  
حفله عظيمه ، يقيمها مشايخه لاعطائه الاجازة الكبرى التى تجيز له  
التدريس فى الحرمين الشريفين (٢) .

\*\*\*

- 
- (١) ابن بطوطه : الرحله ص ١٨٠ .  
(٢) القاسمى : العقد الثمين ج٢ ص ٨٥ .  
السخاوى : التحفه اللطيفة ج١ ص ١٦٣ .

### العلوم العقلية :

تتمثل هذه العلوم فى علوم الفلسفة والرياضيات والطبيعة وأول العلماء الذين اشتغلوا بهذه العلوم من سكان الجزيرة العربية هو يعقوب بن اسحق الكنهي فقد صنف فى علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات (١) .

وصف لنا ابن النديم (٢) فى كتابه الفهرست انه زاد فى هذه العلوم فصنف فى الطب والمنطق • وله ما يقرب من مائتين واربعين كتاب • ويقول : انه ترجم أغلب هذه الكتب من اليونانية الى العربية •

ومن الملاحظ أن الكندي اشتهرت علومه بالبصرة التى تعلم بها وهو من أصل يمنية (٣) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج١ ص ١٨٠ •
  - ابن الربيع : ذرة العيون ، ج٢ ص ٦٨ •
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٥٩ •
  - (٢) ابن النديم : الفهرست ص ٦٢ •
  - (٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٨ ص ١٠٨ •
  - خير الدين الزركلى : الاعلام ج٦ ص ١٣٧ •



ومن المعلوم أن اليمن تعتبر أكثر اقاليم الجزيرة العربية اشتراكا فى مراكز العلوم . وفى بداية العصر العباسى الثانى برز عالم يمنى هو أبو محمد الحسن الهنداوى الذى صنف المصنفات المختلفة . ومن أهمها كتاب " سرائر الحكمه " وهو يختص بعلم الفلك كما انه ألف فى الطب والانساب والتاريخ : وله كتب عديدة فى علوم مختلفة (١) .

ومن الملاحظ أن الدعوة الاسماعيليه زمن الدولة الصليحية ساعدت على نشر علوم الفلسفة . ولقد اتخذت من رسائل اخوان الصفا دعاية لنشر هذه العلوم . وبرز دعاة الفاطميين فى هذه العلوم .

ولقد انتشرت علوم المعقولات والمحسوسات (٢) . ويبدو أنه بعد سيطرة الرسوليين على اليمن والحجاز برزت علوم الطب وعلوم الفلك والرياضيات والهندسة فى هذه الفترة الزمنية . ويعود السبب الى تشجيع سلاطين بنى رسول للعلماء ، واغداق الاعطيات والهبات لهم (٣) .

---

(١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٣ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلئيه ج ١ ص ١٨٦ .

ابن الربيع : قرة العيون ج ٢ ص ٦٧ .

### علم الملاحة :

برز علم الملاحة في الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الهجري . وبدأ يزدهر هذا العلم مع دراسة للرياح والشواطئ\* والجزر في البحر الأحمر والمحيط الهندي . وهذا ساعد على اتصال الهند وجزر الهند الشرقية . وانتقال الحضارات بين الجزيرة العربية وهذه الأقاليم (١) . ومن أشهر هؤلاء البحارة هو شهاب الدين أحمد بن ماجد الذي ولد سنة ٨٣٠ هجرية . وكان ينظم الشعر ويجيد النثر وله أواجيز وقصائد تبلغ العشرين كانت مخصصة في علم البحار والفلك والملاحة . وألف كتابا في أصول علم البحر والقواعد . وهو من ضمن مخطوطات مكتبة باريس (٢) . ويختص هذا الكتاب في الملاحة والبوصلة والاسطرلاب (٣) . ومعرض لكتب الملاحة التي قبله .

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٢٠١ .

(٢) الفسافي : المسجد المسبوك ص ٢٢٩ .

(٣) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي ج٥ ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق : ص ٦٤ .

ويذكر ثلاثة من البحارين هم : سهل بن ابان ومحمد  
ابن شانان وليث بن كهلان ، معتمدا في ذلك على كتيب شرعليه  
لسهل بن ابان كان تاريخه سنة ٥٨٠ هجرية (١) .

ومن الواضح أن ابن ماجد استفاد من هؤلاء الملاحين الذين  
سبقوه ، وشيد بهم ، الا أن معارفهم البحرية تدل بأنها لم تتجاوز  
البحر الأحمر والخليج العربي . ويقول في كتابه : ان هذا العلم  
قد توارثه عن ابيه عن جده ، لذا فان عائلته كانت تشتهر بالملاحظة .  
وهو ابرزهم لما صنفه من مصنفات (٢) .

ولقد استفاد الملاحون البرتغاليون من ابن ماجد وعن طريقه  
استطاعوا الوصول الى الهند (٣) .

- 
- (١) حسين الصيرفي : علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية  
العدد ٢٤ مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٤٢ .  
(٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .  
(٣) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٦ ص ٦٢ .

## العلوم الدينية :

### (١) التفسير والحديث والفقه :

من الثابت أن العلوم الدينية انتشرت في جميع امصار الدولة الاسلامية .  
فالجزيرة العربية شاركت واشتركت في نشر هذه العلوم والمعارف ، اذ انه  
لم توجد فوارق بين بلد وبلد • ولم يكن طلاب العلم مكتفين بالأخذ من  
علماء بلدهم • بل كانوا يرحلون للقاء العلم في مصر والعراق والشام  
ليتلقوا العلم عندهم • وحيث أن الحج والزياره كانا ملتقى العلماء وطلاب  
العلم من جميع الاقاليم (١) فمثلا العالم الفقيه عبد الملك بن عبد الله  
النيسابوري كان من علماء الفقه • أتى الى مكة وجاور بها سنة  
٤٧٨ هجرية وقلت بها أربع سنوات قضى جزءا منها بالمدينة المنورة •  
ولقب بامام الحرمين • فكان يدرس ويجتهد في فقه الامام الشافعي

- 
- (١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٣٤ •  
• ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ ص ٦٨ •  
• خورشيد : القرآن وعلومه ص ٢٣٠ •

حتى وصفه علماء بغداد بأنه وقف على المشرق والمغرب لمجزهم  
امامه في بعض المسائل الفقهية (١) .

ولما بلغت شهرته في بغداد عاد الى بلده نيسابور اذ أمر  
نظام الملك وزير السلطان الب أرسلان ببناء مدرسة له في نيسابور .  
وكان يقوم بالتدريس فيها حتى يقال بان حلقته كان عدد طلابها ما يقرب  
من اربعمائة طالب (٢) .

واشتهر في مكة علماء آخرون اشهرهم محب الدين الطبري المكي  
لقب بشيخ الحرك المكي ولد سنة ٦١٥ هجرية . وتلمذ على يــــد  
استاذة أبي الحسن بن علي بن المقيـر درس على يده علوم الحديث .  
وبرع في علم الرواية . ثم قرأ صحيح مسلم على يد عبدالرحمن بن خرمي  
المشهور بالحافظ . وتلمذ على أعمامه من عائلة الطبري امثال  
علي بن يعقوب الطبري . وتلمذ على شيخ الحرم المكي

- 
- (١) السبكي : طبقات الشافيه ج١ ص ٢٤٨ .  
ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ ص ٣٠٤ .  
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧٨ .  
المكناشي : درة الحجاج ج ٣ ص ١٣٤ .

نجم الدين التبريزى • وهو الذى اسند اليه مشيخة الحرم المكى  
سنة ٦٤٩ هجرية (١) •

ومن تلامذته المحدث عبيد الله بن عبدالعزيز المهدوى المسمى  
ونجم الدين بن عبدالحميد وعلاء الدين العطار وشمس الدين بن مسلم  
الحافظ الدمياطى • وهو من قضاة المدينة (٢) • وقد برع تلامذته  
فى علم الحديث فى الحجاز ومغداد ومصر • وقد استدأه المظفر  
الرسول وسمع منه مؤلفاته • وسمع منه علوم الحديث وصحح للملك  
المظفر كتاب العمدة • وهذا الكتاب جمع فيه احكام الصحيحين وهو  
كتاب مختصر (٣) •

ومن أهم كتب الطبى كتاب القرى لقاصد أم القرى وقد حققه الاستاذ  
مصطفى السقا جمع فيه احاديث المناسك من كتب السنة • ولن كتاب  
آخر يسمى غاية الناسك من احكام المناسك بصف فيه حجة النبى صلى الله  
عليه وسلم (٤) •

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ •
  - (٢) المصدر السابق ج٧ ص ١١٩ •
  - (٣) الفاسى : العقد الثمين ج٧ ص ١١٩ •
  - (٤) مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ٧٨ •

ومن مصنفاته الفقهية شرحه على كتاب التنبيه لابي اسحق الشيرازي .

وله مختصرات في غريب القرآن منها : الكافي (١) .

ومن المفيد أن نذكر أن محب الدين الطبري كان رمزاً للحركة العلمية

في بلاد الحجاز في هذه الحقبة الزمنية . وسمعته فافتت جميع اقطار  
الجزيرة العربية (٢) .

ومن المعلوم ان علم التفسير نشطت نشاطا عظيما كعلوم الحديث .

فنلاحظ أن الطبري خدم التفسير خدمات جليلة . وأهمها كتابه الجامع  
لتفسير القرآن . وقد توفي قبل ان يكمله ويتمه (٣) .

وقد سبقه من علماء التفسير الامام الزمخشري محمود بن عمر الذي

جاور بمكة قبيل فترة الطبري ، ولقبه الفاسي في كتابه بانه الامام الكبير

---

(١) أنظر الطبري : القرى لقاصد ام القرى ص م تحقيق مصطفى  
السقا .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٢ ص ١٢٠ .

ابن العماد : شذرات الذهب ج٥ ص ٢٢٦ .

مرداد : نشر النور والزهر ج٢ ص ٣٦٦ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ج٢ ص ١٢٣ .

فى التفسير اذ صنف كتابه الكشاف بمكة المكرمة الذى ضمنه آراءه ،  
الاعتزالية ، ولقبه ابن خلكان بانه كان امام عصره وان تفسيره الكشاف لم  
يؤلف مثله من قبل وقام بتدريس كتابه فى مكة • وكان يعتز بآراء  
قاضى مكة ابي المعالى يحيى بن عبد الرحمن الشيبانى (١) .

❖ ❖

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج٧ ص ١٢٣ •  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٥ ص ٢٣٠ •



مشاهير العلماء والقضاة والمجاورين بالحرمين :

لقد ازدهرت الحركة العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن  
الخلفاء الفاطميين والايوبيين ومنى رسول . ولقد اقتضت هذه الحركة  
على حلقات المدربين في المسجدين الحرام والنبوي قبل نشأة المدارس  
النظامية في الربع الاخير من القرن السادس الهجرى . ولقد برزت عائلات  
اشتهرت بعلمها فأوقفت ابناءها على هذه الحركة (١) .

وتعدنا المصادر التي تخص هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث بذكر  
العلماء الذين جاؤوا في كلتا المدينتين مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولا يكاد  
يخلو مصدر من هذه المصادر من التحدث عن هؤلاء العلماء الذين  
جاؤوا وسرؤا حتى أصبحت أهميتهم بالغة في الحرمين الشريفين (٢) .

- 
- (١) بن فهد : اتحاف الوري ، ورقه ٢١٥ ، الفاسي : العقد  
الشرين ج٢ ، ص ١٠١ ، النهر والى : الاعلام ص ٧٨ ،  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ٩٣ .  
(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ص ٤٠ ، ابن بطوطه : رحله  
ص ٥٤ ، بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ، ص ٤٠٣ ،  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ١٠٣ .

وبما لاشك فيه أن هؤلاء المجاورين كانوا من المصريين ، والسبب واضح في أن هذه الفترة ارتبط الحجاز فيها بمصر ارتباطا وثيقا .  
ويأتى من بعدهم في العدد والعدة الشاميون والعراقيون من بعدهم ثم المغربيون وأخيرا اليمنيون ، إذ أن أكثرهم كانوا مصريين ، والسبب هو قرب المسافة بين البلدين ، وارتباط أشرف مكة بالخلفاء الفاطميين لذا كان من السهل انتقال العلماء من مصر إلى الحجاز . وربما كانت قلة العراقيين ترجع إلى اختلاف الخلافة العباسية مع أمراء مكة والمدينة (١) .

من الواضح أن هؤلاء المجاورين ربما كانوا ثمارا من مختلف أمصار الدولة الإسلامية ، أتوا إلى مكة للمجاورة ، أو لتقديم الصدقات للفقراء في الحرمين الشريفين . وربما كان بعض هؤلاء الكجاورين يأتون إلى مكة ليقضوا فترة من عمرهم الزمنى للراحة والصفاء الروحى (٢) . وربما

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٤٨ ، الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٦٨ ، بن بطوطة : الرحلة ، ص ٧٦ ،  
ابواهم رفعت ، مرآة الحرمين ج١ ص ٢١٠ .  
(٢) المقرئى : السلوك ج٢ ص ١٧٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٢ ص ١٢١ .

كان بعضهم يأتون للمجاورة ويقضون بقية عمرهم الزمنى فى مكة ،  
حتى صاروا جزءا من المجتمع المكي والمدنى (١) . وربما كانت هجرة  
أغليبتهم من منتصف القرن الثالث الهجرى . وسبب ذلك يرجع الى  
كثرة الاربطة التى انشئت فى هذه الحقبة الزمنية بكلتا المدينتين .  
وانشاء المدارس النظامية فى مكة ساعد على استقرارهم . فاصبحوا بذلك  
يتولون المناصب العلمية فى هذه المدارس العلمية (٢) .

ولقد اشتهرت بعض هذه العائلات التى استقرت فى مكة والمدينة  
والذين اصبحوا متخصصين بالعلم ونهج ابناؤهم على نهجهم العلمى  
واشهر هذه العائلات آل الطبرى وآل ظهيره القرشيين وآل النويرى .  
برز منهم اسماء كثيرة ، استطاعوا ان يشاركوا حتى فى القضاء (٣) .

- 
- (١) المقرئى : السلوك ج٢ ، ص ١٨٠ .  
(٢) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٢٩ ، النهر والى : الاعلام ص ١٩٨ ،  
بن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٦٨ .  
(٣) الطبرى : الزوج المسكى ، ورقه ٧٦ ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين  
ج١ ص ١٩٦ ، السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٠٨ .

ومن الثابت أن آل الطبرى خرج من نسائهم عالمات كن يجزن رواية الحديث الذى اخذن روايته عن آبائهن بالعلماء (١) .

ومن الثابت أن منصب الخطابة كان ينتقل فى ثلاث بيوت هى : بيت الطبرى ، بيت ظهيره ، بيت النويرى . وأقدم هذه البيوت هو بيت الطبرى . وأول من قدم منهم الى مكة المكرمة هو الشيخ رضى الدين أبوبكر ابن محمد بن ابراهيم بن على الحسينى الطبرى سنة ٥٧٠ هجره (٢) . وقد انجب الشيخ رضى الدين سبعة أولاد أصبحوا كلهم فقهاء وعلماء ومد رسين وقضاة وخطباء حتى توفى سنة ٦١٣ هجره (٣) .

وذكر القاسى (٤) فى كتابه العقد الثمين انه توفى فى عرافات سنة ٧١٣ هجرية . ومن الملاحظ أن وظيفة القاضى فى الحجاز ، تعتبر الوظيفة الثانية بعد ولاية مكة والمدينة المنورة . ولا بد أن يكون قاضى البيت

---

(١) القاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٦٦ ، القلقشندى ، صبح الاعشى

ج٨ ص ١٤٠ . النهروالى : الاعلام ص ٢٨٨ .

(٢) بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٢٥ ، القاسى : العقد

الثمين ج٢ ص ٢٧٦ ، السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ١١٨ .

(٣) القاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٨٢ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥٠ .

(٤) القاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٨٦ .

الحرام والمسجد النبوي من كبار العلماء والفقهاء . ومن أشهر من  
تولى منصب القضاء من عائلة الطبري هم : القاضي محيي الدين أبو جعفر  
أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم الطبري المكي ، الذي ولد بمكة سنة  
٥٧٣ هجرية . وتلقى تعليمه على يد زاهر بن رستم ويوسف الهاشمي  
وأبي المطهر بن علوان وأبي بكر بن حرز الله . وتفقه عليهم وتتلذذ على  
أيديهم في علوم شتى . وتولى القضاء محيي الدين أبو جعفر واستمر فيه  
حتى توفي سنة ٦١٤ هجرية (١) . وكان أخوه تقي الدين أبو الحسن على  
ابن أبي بكر بن إبراهيم الطبري المكي إماما للمقام وخطيبا للمسجد  
الحرام (٢) .

ومنهم أيضا أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن الحسن الشيباني الحسيني  
الطبري الذي تولى أمر قضاء مكة سنة ٥٤٠ هجرية . وقد عاصره أبو القاسم

---

(١) بن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٦٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ٢٢٨ ، المخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٢١٠ .  
(٢) القاسي : العقد الثمين ج١ ، ص ٣٣١ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ، ص ٢٨٠ ، المخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٢٣٥ .

الطبرى الذى تولى أمر قضاء مكة سنة ٥٥١ هجرية (١) .

ولقد تولى أمر القضاء بمكة من هذه العائلة ايضا عبدالكريم بن يحيى  
عبدالرحمن الشيبانى الطبرى المكى الشافعى . ويبدو مما ذكره الفاسى  
انه توفى القضاء سنة ٦٤٢ هجرية . واستمر فى هذا المنصب حتى  
عزل فى شوال سنة ٦٤٥ هجرية (٢) .

ومن أشهر قضاة المدينة المنورة أبو الطيب الحسنى الخنقى الازهرى .  
وقد وفد من مصر وتعلم فى الازهر الشريف ثم رحل الى المدينة ففى  
منتصف القرن السادس الهجرى وتولى أمر القضاء فيها . ومن ابنائه أحمد  
وعباس اللذان توليا أمر الخطابة والامامة بالمسجد النبوى الشريف (٣) .  
ومن أشهر قضاتها أيضا الحاج أحمد الاندلسى الذى تولى أمر القضاء  
أيضا فى بداية القرن السابع الهجرى . ومن أشهر القضاة أيضا القاضى

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة ج ٢ ، ص ٤٠ ، المقرئى ، السلوك

ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ، ص ٣٨ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ج ٤ ، ص ٢٢٤ ، النهروالى : الاعلام

ص ١٨٢ ، السباعى : تاريخ مكة ج ١ ، ص ٢١٢ .

(٣) بن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

أحمد المغربي المالكى الغريانى ، قدم المدينة سنة ٦٠٠ هجرية وتولى  
أمر القضاء بها سنة ٦٢٥ هجرية • وتوفي سنة ٦٧٠ هجرية وهو لا يزال  
بمهنة القضاء • ومن ابنائه عبدالقادر الذى تولى أمر القضاء بالمدينة  
بعد والده • وأما عبدالقادر فكان يقوم بتدريس المذهب المالكى فى  
رباط المغاربة بالمدينة المنورة (١) •

ومن المعلوم أن تعدد القضاة فى بلاد الحجاز قد صاحبه أيضا تعدد  
العلماء الوافدين الى الحجاز • والذين كانوا يهدفون من وراء ذلك  
المجاورة والتعليم • ومن أشهرهم أبو عبدالله محمد بن على بن اسماعيل  
اليمنى الشافعى الذى استوطن بمكة • ولغزارة علمه اسندت اليه رئاسة  
الفقه والحديث • واستمر بمكة حتى سنة ٦٠٩ هجرية (٢) •

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ، ص ٢٣١ ، النهروالى : الاعلام ،  
ص ١٩٢٨ ، بن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٩٨ ، السباعى :  
تاريخ مكة ج١ ص ٢١٢ •

(٢) بن العماد : شذوات الذهب ، ج١ ص ٢٣٤ ، الفاسى : العقد  
الثمين ج١ ، ص ١٣٦ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٣٣٥ •

ومن العلماء ايضا الشيخ مكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم محمد  
الاصفهانى الاصل • البغدادى المولد • وقد تفقه فى مذهب الامام مالك  
ثم رحل الى مكة وتعلم على يد مشايخها أحمد بن أبى بكر الطبرى • وظل  
يتعلم على يده حتى اتى له التدريس بالمسجد الحرام • واستمر يمارس  
هذه المهنة اعواما حتى توفى سنة ٦٠٩ هجرية (١) .

ويعتبر الشيخ أبو بكر بن ابراهيم بن محمد الارصى من أشهر علماء  
الفقه الشافعى بمكة المكرمة • وقد نزل بها • واستمر فى مهنة التدريس  
بالمسجد الحرام حتى توفى سنة ٦١٣ هجرية (٢) .

أما الفقيه الشافعى امام الدين أبو طالب عبد المحسن بن أبى العيسد  
الذى تولى أمرا مائة مقام الشافعى فانه تلقى علومه بهمدان وبغداد • ثم  
رحل فى طلب العلم الى القاهرة ودمشق • واجيز من الجامع الأزهر

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ٦٦٨ • بن فهد : اتحاف الورى •  
ورقة ٢٢٥ • بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٢٠ • مرداد :  
نشر النور والزهر • ج٢ ص ٧٦ •  
(٢) بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٣١ • مرداد : نشر النور  
والزهر • ج٢ ص ٨٠ • السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٨ •



اجازة التدريس ، فأتى الى مكة وأقام برباط المراغى وأصبح امام  
المقام طوال حياته حتى توفي سنة ٦٢٤ هجرية (١) .

وأما الشيخ تاج الدين أبو القاسم الخضر بن عبد الواحد بن عيسى  
ابن الخضر الشافعى ، فقد كان من فقهاء الشافعية ، أتى الى مكة  
واستوطنها وأخذ يدرس فى الحرم الشريف سنة ٦٢٦ هجرية ، حتى  
وفاته سنة ٦٣١ هجرية (٢) .

أما المحدث المعزى - جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر بن عثمان  
البجائى الذى يكنى بأبى الفضل ولد سنة ٥٨٨ هجرية ، وتلمذ على  
يد أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى فى بغداد ، ودرس علوم الحديث  
بها . ثم أتى الى مكة ، وقام بالتدريس فى المسجد الحرام والمدرسة  
المنصورية المظفرية ، وتلمذ على يده الحافظ شرف الدين الدمياطى

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٦٨ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ٢٤٥ .  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٧ .  
مرداد : نشر النور والزهر ج٢ ص ١٥٥ .  
(٢) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٤٨ .  
النهرى : الاعلام ص ٢١٩ .  
مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ٨١ .



اجازه التدريس فى المسجد الحرام • واستمر بمكة حتى توفى بها  
سنة ٥٧٣ هجرية (١) •

ومنهم جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الفتوح المكباسبى  
أمام المالكية بالحرم الشريف ، أتى الى مكة سنة ٥٨٨ هجرية ، وجاور  
بها ، وألف كتاب القرب الذى يقع فى ستة مجلدات وتوفى سنة ٥٩٢ هجرية •  
أما الامام ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عمر النوروزى (٢) فقد  
تلقى علومه الدينية على يد أبى الحسن شهاب الدين وقرأ عليه كتاب  
عوارف المعارف وكتاب العروض ، وأتى الى مكة سنة ٦٢٠ هجرية • ودرس  
بمدرسة المالكية التى أسسها ابن الحداد المهدوى بالشبيكة فى مكة ،  
وكان يسكن برباط المغاربة امام باب ابراهيم عليه السلام وتوفى بمكة (٣) •

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٤ •

• مرداد : نشر النور ج١ ص ١٨١ •

(٢) الفاسى : العقد الثمين ج٤ ص ٢٤٥ •

• ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٤ •

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٣١٨ ، ابن العماد : شذرات

الذهب ، ج٦ ص ٢١٧ ، النهرى الى : الاعلام ص ٢٣٨ •

وكان لفقهاء الحنابلة وعلمائها دور في الحياة العلمية في هذه  
الحقبة الزمنية ومن أشهرهم أبو محمد مبارك بن علي بن الحسين البغدادي  
امام الحنابلة بالحرم المكي تلقى علومه على يد أبي الحسين عبيد الله البيهقي  
دلائل النبوة • ودرس على يده تاريخ الازرقى • وتلمذ على يده  
أبي القاسم محمد بن أحمد المقرئ • وقام بالتدريس في الحرم المكي  
منذ سنة ٥٧٥ هجرية (١) .

أما أبو الفتوح محمد بن عبدالله الخبيلي امام الحنابلة بالحرم الشريف  
فانه تلمذ في بغداد ثم رحل الى القاهرة ثم توجه الى مكة المكرمة  
واستوطن بها ودرس فيها حتى توفي سنة ٥٩٠ هجرية (٢) .

ومن أئمة الحنابلة ايضا الذين وفدوا الى مكة المكرمة نصر بن محمد  
ابن علي بن ابي الفتوح الهمداني المعروف بالحصري • قرأ القرآن الكريم

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج٤ ص ٢٧٢ • ابن طهيرة : الجامع  
اللطيف • ص ١٨٠ •

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج١ ص ١٣٢ • النهر والى : الاعلام ص ١٣٧ •  
ابراهيم رفعت • مرآة الحرمين ج١ ص ٢١٠ •  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ٢٢٥ •

على يد ابي بكر محمد بن عبدالله وأبي الكرم المبارك الشهرزوري وتلمذ  
على يد الشريف ابي طالب سنن ابي داود وعلى يد ابي زرة المقدسي  
سنن النسائي وابن ماجه ، وخصائص القرآن الكريم ، وتلمذ على يد  
جماعته من الحفاظ برهان الدين والضياء المقدسي والشيخ الحصري .  
وخرج من بغداد الى مكة وجاور بها ، وعين اماما لمقام الحنابلة  
بالمسجد الحرام (١) .

ومن اشهر علماء وفقهاء الاحناف أبو الفتح بن علي بن أحمد بن محمد  
الحنفي امام الحنفية بالمسجد الحرام ، تلمذ على يد المبارك بن الطباخ  
وعلى يد الشيخ نجيب الدين ، ودروس على يدهم اخبار مكة للازرقى ، تولى  
امامة مقام الحنفية سنة ٦١٦ هجرية (٢) .

أما النساء فقد برزن من عائلة الطبري واشهرهن زينب بنت القاضي

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج٥ ص ١١٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ١٨٠ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ص ٤١٠ ، النهر والي :  
الاعلام ص ١٨٦ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٢٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ٢٣٠ ، مرداد : نشر النور ج٢ ص ٧١ .

الحافظ التي اخذت عن والدها علوم الحديث وتعلمت على يده —  
الرضي الطبري وهو ابن عمها • ولقد برزت السيدة الطبرية بنت القاضي  
ابي جعفر في علم القراءات وتعلمت على يد والدها • وكانت تجيز ابنائها  
في القراءات (١) .

ولقد لعبت المدينة المنورة دورا بارزا في الحياة العلمية التي تخص هذه  
الحقبة الزمنية • وكان من اشهر علمائها عبدالله بن محمد بن ابي الحسن  
المسعودي الهذلي وقد تولى امامة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم  
سنة ٦٢٠ هجرية (٢) .

أما الشيخ أحمد بن عبداللبن محمد فقد تتلمذ على يد المحدث  
أبو محمد عبدالعزيز المهدي القسطلاني سنة ٦٤٧ هجرية • ولقب بشيخ  
الحجاز • أما العالم العفيف أبو محمد عبدالسلام محمد بن مزروع المغربي  
البصري المكي قزيل المدينة فقد تتلمذ على يد أبي القاسم بالبصرة وعلى يد  
شيخ الحرم بدر الشهابي • ويقال انه حج اربعين حجة متوالية قدم في  
أكثرها من المدينة وكان يقوم بتدريس الحديث في المسجد النبوي الشريف •  
(٣)

---

(١) بن فهد : اتحاف الوري • ورقه ٣٣٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ٨٧ ، مرداد : نشر النور ، ج٢ ص ٦٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ ، ابن العماد شذرات الذهب ج٦ ص ١٤٢ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ج٢ ص ٢٣١ ، المراغي : تحقيق النضرة ص ٨٢ .

### (ب) علم القراءات :

بدأ الاهتمام بعلم القراءات في عهد الخليفة علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ويرجع السبب في ذلك الى اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول عدد كبير من الاعاجم في الاسلام ووقوعهم في أخطاء لغوية ونحوية اثناء تلاوتهم للقرآن الكريم مما جعل الخليفة علي — كم الله وجهه — يكلف ابا الاسود الدؤلي بوضع القواعد اللغوية والنحوية ليسير عليها كل قارئ ودارس للقرآن الكريم . وقد سار على نهج الخليفة علي — معاوية بن ابي سفيان ومن بعده خلفاء المسلمين (١) .

ولم تظهر مدارس القراءات المختلفة الا من منتصف القرن الثاني الهجري اذ بدأ لكل قارئ مدرسة خاصة به فمثلا طاصم كانت تشتهر به مدرسة الكوفة ، وحزمة والكيماي كانت تشتهر بها مدرسة البصرة . وقد انتقلت القراءات الى اقاليم الدولة الاسلامية فقراءة طاصم أخذها قراء مصر الذين يسند أيتنشرون في كل مكان ويسير على نهجهم قراء عديدون في أماكن مختلفة (٢) .

---

(١) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١١٢ .

الحسيني : الحياة العلمية ص ٤٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٨ .

الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٣٢ .

شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٧٠ .

لقد انتشرت القراءات السبع مع بداية القرن الرابع الهجرى واشتهرت  
بعض القراءات فى كل من الحرمين الشريفين (١) . وفى مكة كانوا يفضلون  
قراءة نافع وفى المدينة كانوا يفضلوا قراءة ابن كثير . وظلت القراءتان  
متداولتين جيلا بعد جيل (٢) .

وأشتهر من القراء أبو يحيى المكي المتوفى سنة ٣٤٤ هجرية . وأبو عبدالله  
البلخى الذى ولد سنة ٣٧٢ هجرية . ويذكر لنا القاسى فى العقد  
الثلثين أشهر القراء فى مكة والمدينة (٣) .

\* \* \*

- 
- (١) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١١٢ .
  - الحسينى : الحياة العلمية ص ٤٨ .
  - (٢) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٣٧ .
  - (٣) القاسى : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٣٤ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الادب ج ٥ ص ٧٣ .
  - الحسينى : الحركة العلمية ، ص ٤٩ .



### علم الكلام :

وأما علم الكلام فلم ينتشر في بلاد الحجاز فلم يكن له نصيب يذكر في حلقات العلم ، ولم يهتم به علماء الحجاز ، ولقد اهتم به علماء اليمن وفقهاؤها ويظهر واضحاً في مصنفاتهم وكانوا ينقضون آراء المعتزلة في كثير من المواقف ومثل ذلك كتاب الحروف السبعة في الرد على المعتزلة للمراغى (١) .

أما علماء الزيدية فانهم ناصرُوا آراء المعتزلة ، وتابعوهم في القول بخلق القرآن ، والقوا كتاباً سموه " الدافع للباطل من مذهب الخنابلة " . ورد على الخنابلة رداً غنياً (٢) .

ومن المعلوم أن الامام زيد بن علي زين العابدين امام مذهب الزيدية تتلمذ على يد واصل بن عطاء صاحب مذهب المعتزلة .

- 
- (١) السخاوي : التحفة اللطيفة ج ١ ص ٥٠٦ .  
العباس : عدة الاخيار ص ٢٥١ .  
(٢) العباس : عدة الاخيار ص ١٩٥ .

لذا فان مذهب الزيدية أخذ بآراء المعتزلة ، مما أدى الى نمو آراء  
الاعتزال في مذهب الزيدية وانتشارها في اليمن . واستمر تأليف الكتب  
الكلامية من أئمة علماء الزيدية مثل كتاب شرح القلائد في علم الكلام ،  
والأدلة على الله في التوحيد ، وألفت كتب عديدة في معرفة رجال  
المعتزلة (١) .

\*\*\*

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج٤ ص ٣٣٠ .

### علم اللغة :

وما تجدر الإشارة اليه أن جميع اعمار الدولة الاسلامية  
قد اشتركت في التراث اللغوي والنحوي . ولذا لم يظهر كتاب من  
كتب اللغة في بيته من بيئات الدولة الاسلامية الا نجده قد نقل  
الى البيئات الاخرى في جميع المجالات اللغوية وغيرها . وساعد على  
ذلك الرحالة . وما قاموا بجمعه من كتب . كما أن بعض العلماء  
اذا فقد كتبها ولم يستطيع الحصول عليه نادى في يوم الحج فيخبره  
من علم بهذا الكتاب (١) .

وكان العلماء يرون ان علومهم لا تكتمل الا اذا رحلوا شرقا وغربا  
ولمناظرة العلماء امثالهم وقراءة الكتب المختلفة الخاصة بالعلم أو الفن  
الذي يراود التعمق فيه (٢) .

ولقد اهتم علماء الحجاز بعلم اللغة ، كما اهتموا بعلم

---

(١) القاسي : العقد الثمين ج٤ ص ٣٣٦ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص ١٨٩ .

النحو وبرز علماءهم فى ذلك (١) . ومن أشهرهم عبد الله بن طلحة  
الاندلسى المتوفى سنة ٥٢٣ هجرية . وله مؤلفات عديدة فى  
اللغة ، وشرح أبيات سيبويه (٢) . ومن كبار اللغويين الحسن  
ابن محمد الصاغى الذى توفى سنة ٦٥٠ هجرية . وكان قد جاور  
بمكة . وهو من أهل ينجاب . رحل الى مكة ومغداد فى طلب العلم  
وتتلمذ على ائمة علماء مكة فى اللغة ، ولف كتباً عديدة فى معاجم  
اللغة من أمثال التكملة والذيل والصلة وكتاب النوادر فى اللغة  
والعباب الزاخر (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا العالم لم ينشأ فى الجزيرة ولا فى أى  
بلد غرسى وإنما نشأ فى الهند . ومع هذا استطاع ان يجيد اللغة

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠

السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ٩٥

مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ١٥

الأنصارى : تحفة المحبين ص ٢٤

(٢) الفاسى : العقد الثمين ج٤ ص ١٧٦

ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص ٢٥٠

(٣) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٤٩

ياقوت معجم الأدباء ج٧ ص ٢٢٠

العربية حتى أصبح ظالما من علمائها ثم اتى من بعده ابن عبد المعطى  
أحمد بن محمد الملقب بنحوى الحجاز . وهو من اصل مغربي ، تتلمذ  
فى مصر على يد ظالمها ابن حيان الغرناطى . قرأ على يده كتاب  
التسهيل لابن مالك . جاور بمكة واجيز للتدريس بها ، واشتغل  
بتعلم العربية والعروض وتوفى بمكة سنة ٧٨٨ هجرية (١) ، واتى من  
بعده محمد بن أبى بكر المرجانى . وهو من ائمة العربية كان يقوم  
بتعليمها بمكة والمدينة وقرى الحجاز (٢) .

ولا غرو أن اهتم علماء الحجاز بعلم البلاغة واعجاز القرآن كان  
واضحا فقد سار علماء العربية على نهج كتاب الامام على كرم الله وجهه  
" نهج البلاغة " ورز من علماء البلاغة فى الحجاز على بن ميثم البحرانى  
المتوفى سنة ٦٧٩ هجرية . فتحدث فى مؤلفه عن البيان . وزعه على  
ثلاث قواعد الأولى لداسة الالفاظ والثانية لداسة المعانى والثالثة لداسة  
الخطابة (٣) .

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٤٢٩ .
  - المخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ١٦٩ .
  - (٢) ياقوت : معجم الأدباء ج١٣ ص ٢٤٣ .
  - الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٩٢ .
  - المخاوى : التحفة اللطيفة ج٢ ص ٧٨ .
  - (٣) الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٨٠ .

ومن أهم علماء البلاغة أيضا الامام الزيدى اليمنى يحيى  
ابن حمزه العلوى صاحب كتاب التبيان فى علم البيان ، ونهاية  
الايجاز فى درايه الاعجاز والطراز المتضمن لاسرار البلاغه وعلوم  
حقائق الاعجاز . وقد طبع فى ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة ١٩١٤م (١) .  
ولقد برز علماء اليمن فى هذه الحقبة الزمنية بسبب انتشار التشيع  
فيما بينهم .

✱ ✱

---

( ١ ) شرقى ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ج ١ ص ٣٥ .

### الأدب :

من الواضح أن القرنين الرابع والخامس الهجريين امتازا بنمو اللغة وكثرة تغيراتها المختلفة • فنلاحظ أن اللغويين في هذا العصر بدأوا مرحلة تبسيط اللغة من قواعد النحو والصرف • ودونوا دواوين الشعراء • كى يتفقه الناشئون فيها • وشارك الشعراء هؤلاء في هذا الصنيع (١) • ويعود السبب في مشاركتهم أنهم شعروا بصعوبة اللغة وبدأوا يسيطون الشعر وعدم الخوض فى غرائب اللغة كى تكون سهلة التداول من قبل المتلقين لها (٢) •

وقد ساعد ذلك كله الناشئين من اعتقان العربية والوقوف على كثير من أسرارها • كما أن علماء الكلام أخذوا يعتنقون

- 
- (١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٦٨ •
  - (٢) المقرئى : الخطط ج٢ ص ٢٥٣ •
  - الباخرزى : دمية القصر ص ٢٩ •
  - شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٦٩ •
  - أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية فى الأدبين ص ٧٣ •

بالصيغ البلاغية التي يفهمها هؤلاء الناشئون<sup>(١)</sup> . وأكبر  
مثل على ذلك الجاحظ وكتاب البيان والتبيين . فقد صور لنا فيه  
كثيرا من أسرار البيان العربي تصويرا يتيح للشباب أن يصل للمعرفة  
دون مشقة . وأن يتذوق هذه الخصائص<sup>(٢)</sup> . والأمثال كثيرة في  
هذا الصدد . مثال ذلك المبرد صاحب كتاب الكامل . لذا فإن هذا  
العصر قد خدم الناشئين في تذوق الأدب . وأصبح الأدب ميسورا  
لكل طالب علم . فيستطيع الناشئ أن يقرأ ديوانا شعريا دون غناء<sup>(٣)</sup> .  
كما أن دواوين الخلفاء امتازت بتوفر الكتاب الماهرين في هذه  
الحقبة الزمنية . لكي يكونوا بمثابة موظفين بديوان الانشاء .

- 
- (١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٤٤ .  
شوقي ضيف : تاريخ الادب ج ٥ ص ٦٩ .  
" " : " " " " " " ص ٧٠ .  
(٢) أحمد بدوي : الحياة الادبية في عصر الحروب ص ٢٦ .  
أحمد سيد : الشخصية المصرية ص ٧٣ .  
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢٦ .  
الفاسي : العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٠ .





معايير أخرى ليست من طبيعته أو من بيئته • وهذا المبدأ  
الترمز به علماء العربيه في سائر اعمار الدولة الاسلاميه (١) • فاستخدموا  
الاساليب التي توافق العصر آنذاك وتلائم الزمن • فبرز الكتاب في  
جميع المجالات الأدبيه المختلفه • ونشأ نظام المقامات • وكتاب  
الانشاء والشعراء وعلماء اللغة • وأهم عامل من عوامل الأدب ظهور  
الشعر في هذه الفترة الزمنية (٢) • وسنتكلم عن ذلك تفصيلاً •

❖ ❖

- 
- (١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ص ٧٤ •  
(٢) الباخريزي : دمية القصر ص ٢٩ •  
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٧٤ •

### الشعر :

ظل الشعر في الجزيرة العربية طوال هذه الحقبة لهذا البحث ينهل من ينابيعه القديمة التي امتازت بها الجزيرة العربية شرقها وغربها شمالها وجنوبها • فنشط الشعر في الحجاز (١) • وفي كل انحاء الجزيرة العربية وخاصة مكة التي استقر فيها عدد كبير من الشعراء وامتألت كتب التراجم بأشعارهم حتى أن أمراءها من الحننيين كانوا يجيدون نظم الشعر والتغنى به (٢) • فقد كان الشعر غذاء المجالس • وانتشرت دواوين الشعر للشعراء المشهورين • وامتاز هذا الشعر بالتزامه باللغة العربية الفصحى (٣) •

- 
- (١) ابن العماد : شذرات الذهب ج٣ ص ١٣٨  
أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج٥ ص ٤٩  
القاسمى : العقد الثمين ج٤ ص ٢٩  
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ١١٢ •  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٣ ص ١٤٢  
القاسمى : العقد الثمين ج٤ ص ١٠٢  
الباخرى : دمية القصر ج١ ص ٣١ •  
(٣) المرجع السابق : ج١ ص ٣٢ •

ولم يأخذ علماء اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين ،  
اللغة والشعر عن مكة والمدينة • والسبت يعود الى أن هاتين المدينتين  
نزع اليهما كثير من الموالى (١) ، مما جعل علماء العربية لا يعتمدون  
بهما في وضع قواعد اللغة العربية ، بسبب اعجميتهم واستمرارهم  
بالمجاورة في مكة والمدينة • واشتغالهم بالتدريس واجادتهم اللغة  
ونظم الشعر زاد من أهمية هاتين المدينتين في هذا العصر • وكذلك  
لمناظرتهم علماء اللغة الذين يفدون في مواسم الحج أدى الى نبوغتهم  
في اللغة (٢) • وكان منهم اساتذة كثيرون يعملون الناس اللغة  
العربية في الحرمين المكي والمدني • وكان منهم من يقوم بتعليم  
الصبية في الكتاتيب مما أدى الى تمكنهم في العربية • وادخل عبارات  
أعجمية في الفاظ عربية (٣) •

- 
- (١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٨٩ •
  - (٢) الباخري : دمية القصر ج ١ ص ٣٢ •
  - ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٥ •
  - (٣) الناس : العقد الثمين ج ٤ ص ٢٠٨ •
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٤٨ •

وذكر لنا عمارة اليمنى فى كتابه " الفيد فى اخبار زبيد " أن  
هؤلاء الوافدين الأعجم كانوا يجيدون العربية • وقد تتلمذ على  
أيديهم • ولم يشعر بأن واحدا منهم لحن فى شئ من الكلام (١) .

وصف لنا عمارة اليمنى انتشار اللغة العامية فى الجزيرة العربية  
فيقول بأن مدن الحجاز واليمن تأثرت بهؤلاء الوافدين من الأعجم ،  
فلحنوا فى لغتهم أما الجوادى فظلوا يحتفظون بنصاحة كلامهم (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن الشعر فى هذه الحقبة الزمنية كان يشمل  
الوانا مختلفة وكان يدور على السنة الناس • والشعر الذى أنتشر  
فى جميع أقاليم الجزيرة العربية هو شعر الغناء الصنعانى واشتهر زمن  
سلاطين بنى رسول (٣) • وهذا الشعر لا يلتزم بقاعدة فى موسيقى العروض

---

(١) عمارة اليمنى : الفيد فى تاريخ اليمن ص ١٢٢ •

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥ •

السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٩٠ •

(٣) الباخزى : دمية القصر ص ٣٨ •

الخزجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٤٠ •

السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٢٤ •

وتكثر فيه المسهطات والموشحات • وغالبا ما كانت تسوده اللغة  
العامية والجيد منه كان يؤدى باللغة الفصحى (١) •

ويرى الدكتور شوقي ضيف (٢) أنه من الشعر النبطى • والأرجح  
أن هذا الشعر كان متعارفا لدى جميع الناس فى شبه الجزيرة  
العربية • ومنه خرج الشعر النبطى • لأن النبطى لم يكن لديه  
قاعدة طمة • أما الصنعانى فانه كان يتغنى به الناس • وهو يشبه  
الموشح فى مقاطعة •

أما النبطى فهو نثر منظوم ولم يكن شعرا • وكان علماء اللغة  
آنذاك لا يعتبرون الشعر النبطى شعرا لكثرة اللغة العامية فيه •  
وخلوه فى الفصحى • وعلى الرغم من ذلك فانه لم يعتبر شعرا له  
ازدهاره فى تلك الحقبة الزمنية • وقد انتشر هذا الشعر فى البوادي

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ١٣٢ •

شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٣ •

على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٣٤ •

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٤ •

وكان الحدادة يميلون لاستخدام الشعر النبطي في قوافلهم  
دائماً (١) .

وقد نشطت الحركة الشعرية في هذه الحقبة الزمنية بسبب كثرة  
الوافدين الى الحجاز ، وهجرة بني عقيل الى الحجاز واختلاطهم  
بالمداين في العراق . وقد أدى ذلك الى نشاط واسع في الشعر  
في هذه الحقبة الزمنية (٢) .

■ ■

---

(١) السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ١٩٣ .  
(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٥ .

### الشعراء :

نبع في هذه الفترة شعراء كثيرون في اليمن والحجاز . والسبب في ذلك قيام دول صغيرة في اليمن . وأدى ذلك الى جذب الشعراء الى اليمن لكثرة الاعطيات والهبات من قبل امراء اليمن لهم (١) .

ومن اشهر هؤلاء الشعراء أبو الحسن التهامي وابن أبي مرة المكسي الذي يلحن بشاعر الحرمين ولقد برز امراء الحجاز وعلى رأسهم أبو الفتح أمير مكة الذي كان يميل دائما الى نظم الشعر (٢) . ولقد وصفه ابن مرة في هذا البيت :

ياسيد افديته بروحى

خولك الله ابا الفتح (٣)

- 
- (١) السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ٢٩٧ .
  - (٢) الباخريزي : دمية القصر ج١ ص ٣٨ .
  - شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٦ .
  - ابن خلكان : وفیات الأعيان ج٢ ص ١١٧ .
  - المكناسي : درة الحجال ج٢ ص ٦١ .
  - (٣) الباخريزي : دمية القصر ج١ ص ٣٢ .



ويذكر لنا الباخريزي في كتابه دمية القصر<sup>(١)</sup> أن الشعراء  
اشتهروا في مدن الجزيرة وبين قبائلها وقد حددتهم بقوله : " انهم  
مجموعة من المكيين والمدنيين ومن المثقفين واليمنيين ومنهم  
العامري والاسدي والبكري والفساني والشيحاني والهمداني  
وجميعهم يمثلون شعراء الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الخامس  
الهجري . ومعهم هؤلاء الشعراء رحلوا الى بغداد وانشدوا القصائد  
بين يدي وزير السلاجقة نظام الملك فاعطى لهم الأعطيات  
والهبات المختلفة .

ومن اعلام الشعراء في هذه الفترة الامير شكري بن ابي الفتوح . ويذكر  
لنا الباخريزي نماذج من شعره أهمها قوله :

وصلتني الهمم وصل هواك  
وجفاني الرقاد مثل جفاك  
وحكى لي الرسول انك غضى  
يا كفى الله شر ما هو حاك<sup>(٢)</sup>

---

(١) الباخريزي : دمية القصر ج ١ ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٣٧ .

وهذان البيتان مطلع قصيدة قالها الشريف شكر سنة ٤٥٣ هجرية يعاتب بنى هلال وكان يشترك معهم فى أقاصيصهم • وحدث بينه وبينهم سوء فى العلاقة مما أدى الى أن تحتال القبيلة عليه فتأخذ ابنتها منه • فأنشد هذه القصيدة (١)

ولق قصائد فى الشجاعة والمواقف الحاسمة والشعور بالكرامة  
ورفضه الصنيم ومن هذا الشعر قوله :

قوض خيامك عن أرض تضام بها

وجانب الذل ان الذل يجتنب

وارجل اذا كان فى الأوطان منقصة (٢)

فالمنديل الرطب فى اوطانه حطب

ومذكر الباخريزى (٣) فى كتابه نماذج شعره لشاعر

---

(١) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٣٨ •

(٢) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٤٠ •

شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٩٨ •

(٣) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ •

الحرمين الشريقين المجاشعي في مدحه لنظام الملك  
وزير السلاطنة منها قوله :

فنبتهتهم والنوم كحل عيونهم

بمدح نظام الملك أهل المدائح

يجود بضمون الثراء تكروما

إذا قام غلات النفوس الش

ومن أهم شعراء هذه الفترة الشاعر أبو الفضل جعفر بن يحيى الحكاك

المكسي وله قصيدة في الفخر بنفسه يقول فيها :

نقر من جماحك في الزمام

وأسفر عن قناعك واللثام

ومنهم أيضا الشاعر هذاب بن دهمم الشيباني ومن نماذج

شعره في مدح نظام الملك :

ما خلق الله تعالى وجل

مثل وزير الوزراء الاجل

أروع كالتصل ولكنسه

(١) أمضى من النصل اذا ما بصل

وينضم الى هؤلاء الشعراء الامير على بن محمد الصليحي مؤسس الدولة

الصليحية في اليمن • وكان يجيد شعرا الفروسيه ، ومن نماذج شعره

قوله :

زوجت بيض الهند سمر رماحهم

فرؤوسهم عوض النثار نثار

وكذا العلا لا يستباح زواجها

(٢) الا بحيث تطلق الأعمار

ويصور في هذه القصيدة معاركه مع خصومه الذين هزمهم وثرثب على

انتصاره بسط نفوذه على بلاد اليمن والدعوة للفاطميين ونشر المذهب

الاسماعيلي (٣) ويقال أنه حينما دخل الحجاز انشد قصيدة لامييه في

الدعاية للمذهب الشيعي ، ويتعرض فيها لمعاركه الحربية ، ورد عليه

الحسين بن يحيى الحكاك المكي بقصيدة على الوزن والقافية يعرفه بأن الحق

---

(١) الباخري : دمية القصر ج١ ص ٤٧ •

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١٠٢ •

(٣) المرجع السابق ج٥ ص ١٠٣ •

لا يؤخذ بالباطل ومظلمها :

رويدك ليس الحق بنفسى

وليس مجد فى الأمور كهـازل

كوعك ان الدرع ليسك فى الوغى

(١) وذاك الجبن فيك غير مزايـل

ومذكر الفاسى (٢) فى كتابه "العقد الثمين" ان الأمير الصليحي

أراد أن ينتقم من الشاعر حينما سمع هذه القصيدة ولكنه لم يستطع العثـور

عليه لأنه كان شاعرا الحرميين فاخفاء الناس عنه حتى خرج من بلاد الحجاز .

ولا يفوتنا فى هذا المقام ان نذكر الشاعر عمارة اليمنى وقصائده فى مدح

الخلافة الفاطمية ومدح امراء مكة . وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك فى الفصل

الأول من هذه الرسالة وشعره من الشعر السياسى (٣) .

(٤)

ومذكر ابن العماد الحنبلى ترجمة أحد امراء المخلاف السليمانى الذى

جاور بمكة بسبب خلافه مع أبناء عمومته أمراء المخلاف فأقام بمكة ويسمى

"دهمش بن دهاش" . وقد ذهب هذا الأمير الى صلاح الدين وهو

---

(١) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٥٨ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ج ٦ ص ١٤٩ .

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٠١ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٠ .

مقيم في حلب وقال قصيدة امامه يدح فيها امير المدينة قاسم  
الحسيني مطلعها :

سما بكرام في ذوائبه هاشم  
غطاريف ماجدين حجاج

ويذكر لنا ترجمة سالم بن أبي سليمان • وهو مغربي الأصل ، أتى  
مكة وجاور بها ، ونظم قصائد في المديح ، واعتنق مذهب الزيدية (١)  
ولا غرابة في أن هذه الحقيبة الزمنية التي تخص هذا البحث اتصفت  
بشعراء المديح • فمثلا ظهرت طائفة من هؤلاء الشعراء مدحت نظام  
الملك السلجوقي • وبرز في هذه الفترة الحكم امثال بنى عقيل فسى  
الموصل ونومزيد في الحلة شجعوا امراء المدائح (٢) •

ولقد برز في الجزيرة العربية شعراء • مما أدى الى ظهور روح  
التنافس بين شعراء الشام والعراق ومصر • وبرز شعراء العقائد  
ايضا • فالصليحيون في اليمن اهتموا بنشر المذهب الاسماعيلي •

---

(١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ١٠٤ •

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٥ ، ١٠٦ •

وال نجاح فى زبيد اهتم امراءهم بالشعراء (١) .

وصف لنا عارة اليمنى (٢) فى كتابه المختصر أن لأحد امراء

آل نجاح وهو جياش ، كان له ديوان ضخم وكان هذا الديوان كان

يجمع بين النظم والنثر . وقد اهتم بنو زريع فى عدن بالشعراء وكان

يدعون للمذهب الفاطمى فنظموا قصائدهم فى نشر هذا المذهب وحينما

سيطر الايوبيون على اليمن والحجاز اهتموا بالشعراء ، واغدقوا

عليهم الاموال ، مما أدى الى ظهور الحركة الشعرية فى المدائن

المختلفة . وسار على منهجهم ملاطين بنى رسول الذين سيطروا على

اليمن والحجاز من بعد سيطرة الايوبيين (٣) .

وامتاز بعض امراء مكة بنظم الشعر والتاخر بانفسهم فى

نظمه . وأبرز شعرائهم الشريف قتادة بن ادريس الذى نظم الشعر

---

(١) الباخريزى : دمية القصر ج١ ص ٦٢ .

(٢) عارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٦٩ .

(٣) أحمد بدوى : الحياة الأدبية ص ٣٥ .

وافتخر بنفسه وبأسرته على غيره فى هذا الغرض حيث يقول  
فى احدى قصائده :

ولى كف ضرغام أذل ببسطها  
وأشرى بها عز الودى وأبيع  
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها  
وفى بطنها للمجدبين ربيع  
أجعلها بين الرحى ثم ابتغى  
خلاصا لها انى اذا لوضع  
وما أنا الا المسك فى كل بقعة  
(١) يضوع وأما عندكم فيضيع

ونشأ شعر المراثى مواكبا لشعر الدائح ، فكان الشعراء ينظمون  
قصائد الرثاء كلما اقتضت المواقف ذلك . وكثر فى هذا العصر تأبين  
الشيوخ والفقهاء والمعلمين . وكان تلامذتهم وزملاؤهم ينظمون هذه  
القصائد ، ومثل ذلك ، شهاب الدين محمود القهرى فى

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج٥ ص ١٤٨ .  
ياقوت : معجم الأدباء ج ١١ ص ٦٨ .  
النهرى الى : الاعلام ص ١٤٨ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٢٨ .



القصيدة التي نظمها لشيخه نجم الدين الطبري قاضي مكة ومطلعها :

ما للجفون بها التسهيد قد نزل  
وما لطبيب الكرى من مقلتي رحلا  
ما بال قلبي بتذكاري الهموم له  
شغل ودعوى ان كفته هملا  
مفتاح كنز علوم الدين كم فتحت  
(١) به بصائر قوم للورى ذللا

وقد نظمت قصائد كثيرة في مواثي الشيوخ والامراء والعلماء ففى  
الحجاز ونظمت مراسم كثيرة فى دعة الدعوة الاسماعيلية ايضا ، ومراسم  
لسلاطين بنى رسول حتى انه لم يكن يموت سلطان منهم الا وينهاى الشعراء  
بقصائدهم الحزينة تصف اهتمام سلاطين بنى رسول بالشعراء (٢) .

ولم يقتصر الشعراء على رثاء السلاطين فحسب بل رثى بعضهم أزواجه

وأولاده بقصائد رثائية خاصة بهم (٣) .

- 
- (١) الباخري : دمية القصر ج١ ص ٦٣ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١٠٩ .
  - (٢) الخرزجى : العقود اللؤلؤيه ج١ ص ٢٢٠ .
  - النهرى الى : الاعلام ص ٢٢٥ .
  - (٣) الباخري : دمية القصر ص ٦٥ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١١١ .

ومن الملاحظ أن أكبر بيئة عربية شهدت شعراء المدائح النبوية هي البيئة الحجازية ، لأن الزهد والتصوف قد انتشروا في هذه الحقبة الزمنية . فما من زاهد قصد الحج لأداء النسك ، أو قام بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا وأنشد مدائحه .

ومن أشهرهم ابن عزمي إذ يقول :

مرضى من مريضه الاجفان

علاني بذكرها علاني

هفت الورق بالرياض وناحت

(١)  
شجو هذا الحمام حاشجاني

وحذا حذوه المتصوفة ، وعلى رأسهم القشيري . وكانت أشعاره صوفية وجدانية . وسار على نهجه ابن الفارض . وله قصائد عديدة في الزهد والتصوف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا أكثر القصائد

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ج٢ ص ٢٧٤ .

الباخرزي : دمية القصر ج١ ص ٦٥ .

شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١١١ .

في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم (١) .

وأصبح المتصوفة يرددون هذه الأبيات ، كما ردها النساك والعباد  
والمجاورون بمكة والمدينة ، على نحو ما نجده في ديوان الزمخشري حتى  
لقب ( بجار الله ) (٢) .

وتمتلى المصنفات بالزهاد والنساك الذين جاؤوا بمكة والمدينة  
وأشدوا القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . مما جعل  
البوصيري ينظم همزيتين في نحو أربع مائة وخمسين بيتا سماها " أم القرى  
في مدح خير الوري " وكذلك قصيدته الميمية المشهورة باسم البردة (٣) .

- 
- (١) النهروالي : الأعلام ص ٢٢٦ .  
المسعودي : وفاء الوفا ج ٣ ص ٧١٦ .  
الباخرزي : دمية القصر ص ٦٦ .  
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ١١٢ .  
(٢) الخزرجي : المقود اللؤلؤيه ج ١ ص ٢٨٣ .  
النهرالي : الأعلام ص ٢٣٠ .  
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ١١٣ .  
(٣) الباخرزي : دمية القصر ج ١ ص ٦٧ .  
المسعودي : وفاء الوفا ج ٣ ص ٧٢٠ .

## التاريخ :

لقد نشطت كتابة التاريخ في الحجاز ، كما نشطت في اقاليم الدولة  
الاسلامية كلها . ولمع كثير من المؤرخين وعلى رأسهم ابن شبه السدي  
أرخ لتاريخ المدينة في القرنين الأول والثاني الهجريين (١) .

وابن زبالة الذي أرخ أيضا لتاريخ المدينة في القرن الثاني ، وقد  
أخذ عنه السهودي في كتابه " وفاء الوفاء " والكتاب يعتبر دأثرة معارف  
كبيرة ، يعتمد عليها ابن مؤرخ يؤرخ لتاريخ المدينة المنورة (٢) .

ولقد أهتم الأزرقى فسى كتابه (٣) " أخبار مكة " الذي يعتبر أول كتاب

- 
- (١) ابن خلكان : وفیات الأبیان ج١ ص ٣٠١ .
  - المسعودی : مروج الذهب ج٢ ص ٧٧ .
  - خيرالدين الزركلى : الاعلام ج١ ص ١٢٨ .
  - (٢) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج٢ ص ٥٦ .
  - السهودى : وفاء الوفاء ج١ ص ٦٨ .
  - الانصارى : تحفة المحبين ص ١٣٣ .
  - خيرالدين الزركلى : الاعلام ج٢ ص ٣٠٣ .
  - السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ٤١٤ .
  - (٣) الأزرقى : تاريخ مكة ج١ ص ٤٦ .

ثم جاء بعدهم في العصر الحديث الشيخ أحمد زيني دحلان  
مفتي الشافعية والف كتابه " خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام "  
وهؤلاء هم اشهر مؤرخي بلاد الحجاز وهم الذين قاموا بتدوين تاريخ  
بلاد الحجاز (١) .

\*\*\*

---

(١) دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٢٠ .  
شوقي ضيف : تاريخ الادب ج ٥ ص ٨٥ .

## المصادر والمراجع

المصنف \_\_\_\_\_ ادر \_\_\_\_\_

أولا : المخطوطات :

- ابن الضياء :

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ، دار الكتب

المصرية ، رقم ١٥٧٠ تاريخ .

- ابن فهد : ( ت ٨٨٥ هـ ) :

اتحاف الوري بأخبار أم القرى ، مكتبة الحرم المكي ، رقم ٢٠٠

تاريخ .

- الأشعدي ( ت ١٠٦٦ هـ ) :

أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، مكتبة الحرم المكي ، رقم

٤٨ تاريخ .

- الرشيدى :

حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي اماره الحاج ، ميكروفيلم

معهد المخطوطات - جامعة الدول العربية ٢١٥٠٠ تاريخ .

- الصباغ ( ت ١٣٢١ هـ ) :

تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام ، مكتبة الحرم المكي

رقم ٤٨ تاريخ .

— الطبرى : ( محمد بن على بن فضل بن عبد الله ) : ( ت ١١٧٣ هـ ) :

اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ، مخطوط مصور

على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٨٧٠ تاريخ .

— الطبرى : ( محى الدين على بن عبد القادر الشافعى الحسينى ) ( ت ١٠٧٠ هـ ) :

الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى

رقم ٣ تاريخ .

— العينى : ( ت ٨٥٥ هـ ) ( بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى )

عقد الجمال فى تاريخ أهل الزمان ٢٣ جزء .

— الفاسى : ( ت ٨٣٢ هـ ) :

تحصيل المرام فى تاريخ البلد الحرام ، مخطوط مصور على

ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٩٣٩ تاريخ .

— سبط بن الجوزى : ( ت ٦٥٤ هـ )

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية

رقم ٥٥١ تاريخ .



ثانيا : المصادر المطبوعة :

- ابن الاثير : ( ت ٣٦٠ هـ )  
الامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
- ابن الديبع :  
قرة العيون بأخبار اليمن اليمون ، تحقيق محمد بن على  
الاكوع ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ابن العماره الحنبلى :  
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ابن النجار :  
الدرة الثمينه فى فضل المدينة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .
- ابن الوردى :  
تاريخ ابن الوردى : جزآن ، القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .
- ابن أيبك الدودارى :  
كنز الدرر وجامع القرر ، تحقيق صلاح الدين المنجى ، القاهرة  
١٩٦١ م .
- ابن بطوطه :  
رحلة ابن بطوطه ، القاهرة ، ١٩٢٩ م .
- ابن تغرى بردى :  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- ابن حوقل :

صورة الأرض ، طبعة لندن ، ١٩٣٨ م .

- ابن جبلة :

الرحلة ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

- ابن حجر العسقلاني :

الدرة الكامنة في أعيان المائة الثانية ، تحقيق محمد سعيد جواد

الحق ، نيودلهي ، ١٣١٩ م .

- ابن خلدون :

العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٧١ م .

- ابن خلكان :

وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

- ابن شداد :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق

جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

- ابن ظهيره :

الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف ، القاهرة

١٩٣٨ م .

- ابن فضل الله العمري : ( ت ٧٤٢ هـ ) :

مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، تحقيق أحمد زكي - القاهرة ،

١٩٢٤ م .

ابن واصل :

مفرج الكروب في أخبار بن أيوب ، الاجزاء من ١ : ٣ ، تحقيق  
جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

— أبو الفدا :

المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

— أبو شامة :

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الفورية والصلاحية ، تحقيق  
محمد حلمي أحمد ومراجعة محمد مصطفى زياده ، القاهرة  
١٩٦٢ م .

— الأزرقى :

أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق رشدي صالح  
مكة ، ١٣٧٢ هـ .

— الأسدي : جمال الدين عبد الرحيم الأسدي ( ت ٧٧٢ هـ ) :

( طبقات الشافعية ، الجزء الاول ، تحقيق عبد الله  
الجاويدي ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

— الأصفهاني :

الآغانى ، القاهرة ١٩٢٧ م .

— الانصارى : عبد الرحمن عبد الكريم الانصارى ، تأليف ١١٢٤ هـ :

تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ، تحقيق  
محمد العروس ، تونس ، ١٩٧٠ م .

— الباخرزى :

دمية القصر وعصر أهل العصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

— البلاذرى :

فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١ م .

— الجزيرى : عبدالقادر بن محمد الأنصارى الجزيرى : تأليف ٩٤٤ هـ

درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة

١٣٨٤ هـ .

— الخزرجى :

العقود اللوئية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد

بسيونى عسل ، القاهرة ، ١٩١١ م .

— العسبى : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى :

تأليف ٧٧١ هـ

طبقات الشافعى الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، تحقيق عبدالفتاح

الحلو ومحمود الطناحى .

— المسخاوى :

التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

— السهمودى :

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى — تحقيق محمد محيى الدينى

عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

— الصفدى :

الواقى بالوفيات — الطبعة الثانية ١٩٦٢ م .

— العباس :

عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، جدة ١٣٥٩ هـ .

— العرش :

بلوغ المرام فى شرح مسك الخرام ، القاهرة ١٩٣٩ م .

— الغسانى : الملك الأشرف أبو العباس الغسانى :

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك ،

تحقيق محمود عبد المنعم ، بغداد ، ١٩٧٥ م .

— الفاسى :

( ١ ) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين — تحقيق محمد

حامد الفقى ، القاهرة : ١٩٥٩ م .

( ٢ ) شفاء الغرام لأخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— الفاكهسى :

المنتقى فى أخبار أم القرى ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

— الفيروز ابادى : مجد الدين أبى الطاهر محمد بن يعقوب — تأليف ٨٢٣ هـ

المغانم المطابه فى معالم طابه ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ،

١٣٨٩ هـ .

— القطبى : عبد الكريم بن محب الدين ( ت ١٠١٤ هـ )

تاريخ البلد الحرام ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٧ هـ .

— القلقشندي : أبو العباس أحمد — تأليف ٨٢١ هـ :

• صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٨ م .

— الماوردي : تأليف ٤٥٠ هـ :

• الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

— المراقى :

تحقيق النضرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد

عبد الجواد الأصمى — القاهرة ١٩٥٥ م .

— المسعودي : تأليف ٣٩٦ هـ :

• مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٣٨ م .

— المقدسى : تأليف ٣٨٨ هـ :

• أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٦٧ م .

— المقرئى :

( ١ ) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق

جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

( ٢ ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .

( ٣ ) السلوك لمعرفة دول الملوك — الجزء الأول ثلاثة أجزاء

تحقيق محمد مصطفى زياده ، القاهرة ١٩٥٦ م .

( ٤ ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا :

الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧ .

الجزء الثانى والثالث تحقيق محمد حلى أحمد — القاهرة ١٩٧٣ م .

— النهروالى : قطب الدين النهروالى المكي الحنفى تأليف ٩٨٨ هـ :

الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

— النويرى :

نهاية الارب فى فنون الادب — دار الكتب ، القاهرة

١٩٤٣ م .

— زينى دحلان : تأليف ١٣٠٤ هـ :

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

— عمارة اليمنى :

تاريخ اليمن — تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

— محب الدين الطبرى :

القرى لقاصد أم القرى — تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ،

١٩٤٨ م .

— ناهد خسرو : تأليف ٤٥٤ هـ :

سفر نامه — نقله الى العربية يحيى الخشاب ، الطبعة

الثانية ، بيروت ١٩٧٠ م .

— ياقوت الحموى : ت ٦٢٦ هـ

( ١ ) معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧ م .

( ٢ ) معجم الادباء ، بيروت ١٩٦٥ م .

— يحيى بن الحسين : تأليف ١١٠٠ هـ :

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، جزآن — تحقيق سعيد

عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ م .

ثالثا : المصادر الحديثه :

- ابراهيم رفعت :
  - مرآة الحومين ، القاهرة ١٩٢٥ م .
- ابراهيم على العياش :
  - المدينة بين الماضى والحاضر ، دمشق ١٩٧٣ م .
- أحمد السباعى :
  - تاريخ مكة — دار مكة للطباعة ١٣٩٩ هـ .
- أحمد السعيد سليمان :
  - تاريخ الدولة الاسلاميه ومعجم الاسرات الحاكمه — القاهرة ١٩٦٦ م .
- أحمد السيد دراج :
  - ( ١ ) ايضاحات جديدة عن تحول فى تجارة البحر الأحمر ، مقال بمجلة الجمعية المصرية التاريخية ١٩٦٨ م .
  - ( ٢ ) عيذاب :
  - مقال بمجلة نهضة أفريقيا ، يوليو — أغسطس ١٩٥٨ م .
- أحمد بدوى :
  - الحياة الادبية فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- أحمد بيلس :
  - حياة صلاح الدين ، القاهرة ١٩٢٠ م .



— أحمد خورشيد :

القرآن وعلومه في مصر منذ الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة

الفاطمية ، القاهرة ١٩٧٦ م .

— أحمد سعيد محمد :

الشخصية المصرية في الأدب الفاطمي ، القاهرة ١٩٧٤ م .

— أحمد عبد الله الحسيني البرادعي :

الدره السنية في أنساب الحسينيه والحسينيه ، مكه ١٣٧٥ هـ .

— اسماعيل باشا البغدادي :

هدية العارفين بأسماء الموهلفين بآثار المصنفين ، القاهرة

١٩٥٥ م .

— السيد البازي العريني :

مصر في عصر الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م .

— جواد عيسى :

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٦٩ م .

— حسن ابراهيم حسن :

( ١ ) تاريخ الاسلام السياسي ، القاهرة ١٩٦٧ .

( ٢ ) تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

( ٣ ) المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— حسن الباشا :

• الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م .

— حسين محمد ربيع :

( ١ ) النظم المالية فى مصر زمن الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٤ .

( ٢ ) وثائق الجنيزه وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى بموانىء

الحجاز واليمن فى العصور الوسطى .

اللدوه الاولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية — جامعة

الرياض ١٩٧٧ م .

( ٣ ) البحر الاحمر فى العصر الايوبي — ندوة تاريخ البحر الاحمر

جامعة عين شمس ١٩٧٩ م .

— حسين الصيرفى :

علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية — مجلة مجمع اللغة

العربية — العدد الرابع والعشرون .

— حسين باسلامه :

تاريخ عمارة المسجد الحرام ، جدة ١٣٩٩ هـ .

— حمد الجاسر :

( ١ ) بلاد ينبع ، الرياض ١٣٨٩ م .

( ٢ ) رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ١٣٩٩ هـ .

- خير الدين زكى :
- الأعلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ذو النون المصري :
- عمارة اليمن ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- زكى محمد حسن :
- الفن الاسلامى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- سعاد ماهر :
- البحرية فى مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور :
- ( ١ ) الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ( ٢ ) الحركة الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- سيده اسماعيل كاشف :
- مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- شوقي ضيف :
- عصر الدول والامارات بالقاهرة ، ١٩٨٠ م .
- صبحى لبيب :
- التجاره الكارميه وتجارة مصر — المجلة التاريخية المصريه — المجلد الرابع — العدد الثانى ، ١٩٥٢ .

— عائشة بافاس :

بلاد الحجاز في العصر الايوبي — رسالة ماجستير ، مكة المكرمة

١٤٠٠ هـ .

— عاتق البلادى :

معجم بلاد الحجاز ، مكة ١٣٩٩ هـ .

— عبدالرحمن فهمى :

السنقود العربية ماضيها وحاضرها — القاهرة ١٩٦٤ م .

— عبدالرحمن الحوت :

رسالة المسجد في رمضان — بحوث مؤتمري رسالة المسجد ، مكة

١٣٩٥ هـ .

— عبدالعزيز الأزهرى :

قصص عكاظ ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— عبدالقادر ملاقلندل :

الخلاصه المفيدة لأحوال عين زبيدة ، القاهرة ١٩٥٠ م .

— عبدالقدوس الانصارى :

( ١ ) آثار المدينة المنورة — بيروت ١٩٧٣ م .

( ٢ ) تاريخ مدينة جدة ، بيروت ١٩٨٠ م .

— عطيه القوس :

تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة

العباسية — القاهرة ١٩٧٦ م .

— عزيز سوريال عطيه :

العلاقات بين الشرق والغرب — ترجمة فيليب صابر ، القاهرة

• ١٩٧٢ م

— على بن حسين السليمان :

( ١ ) العلاقات الحجازية المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ م •

( ٢ ) النشاط التجارى فى شبه الجزيرة أواخر العصور الوسطى —

رسالة دكتوراه فى الآداب — جامعة القاهرة ١٩٧٤ م •

— على حافظ :

• فصول من تاريخ المدينة ، القاهرة ١٩٧٩ •

— على حسنى الخربوطلى :

( ١ ) تاريخ الكعبة ، بيروت ١٩٧٦ م •

( ٢ ) مصر العربية الاسلاميه ، القاهرة ١٩٦٣ م •

— فؤاد سزكين :

تاريخ التراث العربى ( الجزء الاول ) نقله الى العربية فهمس

أبو الفضل — وراجعته محمود فهمس حجازى ، القاهرة ،

• ١٩٧١ م

— محسن محمد حسنين :

أرييل فى عهد الاتابكه ( ٥٢٢ هـ : ٦٣٠ هـ ) بغداد ،

• ١٩٧٦ م

- محمد أبو الخير مرداد :

نشر النور والزهر ، جده ١٤٠٠ هـ .

- محمد الحسيني :

الحياة العلمية والأدبية في الدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٩ م .

- محمد أمين صالح :

(١) دراسات نقدية ، القاهرة ١٩٧٢ م .

(٢) علاقة الفاطميين بالصليبيين في اليمن ، المجلة التاريخية

المصرية ١٩٧٩ م .

- محمد أنور شكري :

لوحان أثريان ، مكة ١٣٩٦ هـ .

- محمد بهجت مختار :

الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية

العصر الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك - رسالة دكتوراه -

جامعة القاهرة - ١٩٨٠ م .

- محمد جمال الدين سرور :

(١) سياسة الفاطميين الخارجية - القاهرة ١٩٧٦ م .

(٢) النفوذ الفاطمي في الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

- محمد حسين الذهبي :

المسجد محور النشاط - بحوث مؤتمرية رسالة المسجد ١٣٩٥ هـ .

— محمد حسين يوسف :

رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ — بحوث مؤتمرية رسالة

المسجد ١٣٩٥ هـ •

محمد عبد العال أحمد :

(١) الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٧٧ م •

(٢) بنى رسول وبنى طاهر ، القاهرة ١٩٧٩ م •

— محمد عبد الفتاح عليان :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بنى رسول في

اليمن — القاهرة — ١٩٧٣ م •

— محمد لبيب البتانوني :

الرحلة الحجازية — القاهرة ١٣٢٩ هـ •

— محمود رزق محمود :

العلاقة بين أرنط أمير حصن الكوك وصلاح الدين — رسالة

ماجستير — جامعة عين شمس ١٩٧٣ م •

— ناجي معروف :

المدارس الشراييه ببغداد ، وواسط وبكة — ببغداد —

١٩٦٥ م •

— نعيم زكي فهمي :

طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور

الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م •

— يوسف أحمد :

المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦ هـ •

— محمد حسين يوسف :

رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ — بحوث مؤتمري رسالة

المسجد ١٣٩٥ هـ •

محمد عبد العال أحمد :

(١) الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٧٧ م •

(٢) بنى رسول وبنى طاهر ، القاهرة ١٩٧٩ م •

— محمد عبد الفتاح عليان :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بنى رسول فى

اليمن — القاهرة — ١٩٧٣ م •

— محمد لبيب البتانونى :

الرحلة الحجازية — القاهرة ١٣٢٩ هـ •

— محمود رزق محمود :

العلاقة بين أرنط أمير حصن الكرك وصلاح الدين — رسالة

ماجستير — جامعة عين شمس ١٩٧٣ م •

— ناجى معروف :

المدارس الشراييه ببغداد ، وواسط ومكة — ببغداد —

١٩٦٥ م •

— نعيم زكى فهمى :

طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور

الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م •

— يوسف أحمد :

المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦ هـ •



- Dohaish, Abdul latif Abdullah, History Education in the Hijaz up to 1925, Cairo 1398 / 1978 .
- Gerold, De Guary: " Rulers of Mecca London 1951.
- Hindley, Geoffrey: Saladin, London 1976 .
- Kammerer, A : "La Mer Rouge, Paris , 1925 .
- Lewis, Bernard, " Egypt and Syria ", in The Cambridge History of Islam, Voll ( Cambridge, 1970).
- Rabie, Hassanein, The Financial System of Egypt .  
A.H. 564 -741 / A.D. 1169 - 1341, London, 1972 .
- Kammerer, ( Albert) :  
" La Mer Rougea travers Les Ages" , Paris ,  
1922.
- The Cambridge History of Estam", Vol. I, Cambridge,  
at the University Press London, 1970 .
- Arashid's A.A. Cirtical Stuc'y of The Pilgrimi Road  
between Kuba and Mecca " Darb Zupaydah with that  
did of field work P.H.D. Thesis University of Leeds  
1977 .

جامعة القاهرة

كلية الآداب  
قسم التاريخ

الأستاذ الدكتور  
محمد جمال الدين سرور  
عضواً

لجنة المناقشة  
الأستاذ الدكتور  
محمد عبد صالح  
مُقرأ

الأستاذ الدكتور  
الميد عبد العزيز سالم  
عضواً

بلاد البحر ازمنذ بداية عهد الأشراف  
حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد  
(من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٦٥٥٩

رسالة دكتوراه

مقدمة من

سليمان عبد الغنى مالكى

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد إسمين صالح

أستاذ التاريخ الإسلامى

كلية الآداب / جامعة القاهرة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

بداية كل نعمة وتمام كل خير

## احمد

أهدى هذا البحث الى سيدتى الوالدہ الحنونة الوفية اعترافا منى لها  
 بالتقدير والعرفان فأثرها فى حسن تربيتى لا أنساه مادمت حيا فبدعائها  
 سرت ، وفضلها نلت الخير الذى قدره الله لى ، وقوة ايمانها كان الطريق  
 المستقيم الذى نهجته وسرت على منواله .

ولا عجب في ذلك فقد قرن الله طاعة الوالدين بطاعته سبحانه وتعالى  
فقال: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً "  
وقضى الله لطاعتها فجميلها لا تستطيع الأقلام وصفه ولا قوة البيان شرحه  
فلها الشكر بعد شكر الهن ولها الفضل في مدى الأيام .  
وانى إذ أهدى لها هذا البحث فانما أسأل الله جل ثناؤه أن  
يجعل خالص عملي هذا في حسناتها يوم الدين يوم لا ينفع مال  
ولا بنون .

اهدا ولدك

ليمان

## محتويات الرسالة

الصفحة

الموضوع

الاهـداء

٢٠-١

المقدمة مع دراسة نقدية لأهم المصادر

الفصل الأول : الحياة السياسية في بلاد الحجاز

أولاً : العلاقات الخارجية

٢٧:٢١

الحجاز قبيل حكم الأشراف

٤٣ : ٢٨

الحجاز بين الخلافتين الفاطمية والعباسية

٥٦:٢٤

النفوذ الأيوبي في الحجاز

٥٩:٥٧

ثانياً : الأحوال الداخلية

٧٠:٦٠

العلاقة بين الأشراف حكام مكة

٧٤:٧١

العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة

٨١:٧٥

القبائل العربية

٩٠:٨٢

المكوس

١٠٥:٩١

التنافس بين الأيوبيين وبنو رسول

١٤٧:١٠٦

الفصل الثاني : أمانة الحج وخدماته

١١٤:١٠٧

وظائف الحج

١٢٤ : ١١٥

كسوة الكعبة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة

١٣٤ : ١٢٥

طريق ركب الحاج العراقي

١٣٩ : ١٣٥

طريق ركب الحاج الشامي

١٤٤:١٣٩

طريق ركب الحاج المصري

٢٩٣	الفصل الخامس: الحياة العلمية في بلاد الحجاز
٢٩٦:٢٩٤	الحياة العلمية
٣٠١:٢٩٦	حلقات الدرس في المسجد الحرام والنبوى الشريف
٣١٢:٣٠٢	المدارس النظامية
٣١٦: ٣١٣	الكتاتيب
٣١٩:٣١٧	الاربطة
٣٢٣:٣٢٠	العلوم العقلية
٣٢٨:٣٢٤	العلوم الدينية
٣٤٤:٣٢٩	مشاهير العلماء والقضاء والمجاورين بالحرمين
٣٤٦:٣٤٥	علم الكلام
٣٥٠:٣٤٧	علم اللغة
٣٧٤:٣٥١	الادب والشعر والتاريخ
٣٩٣:٣٧٥	المصادر والمراجع

- ( ١ ) خريطة توضح موقع بلاد الحجاز ، وحدودها .
- ( ٢ ) خريطة تخطيطية لمكة المكرمة .
- ( ٣ ) خريطة تخطيطية للمدينة المنورة .

# المقدمة